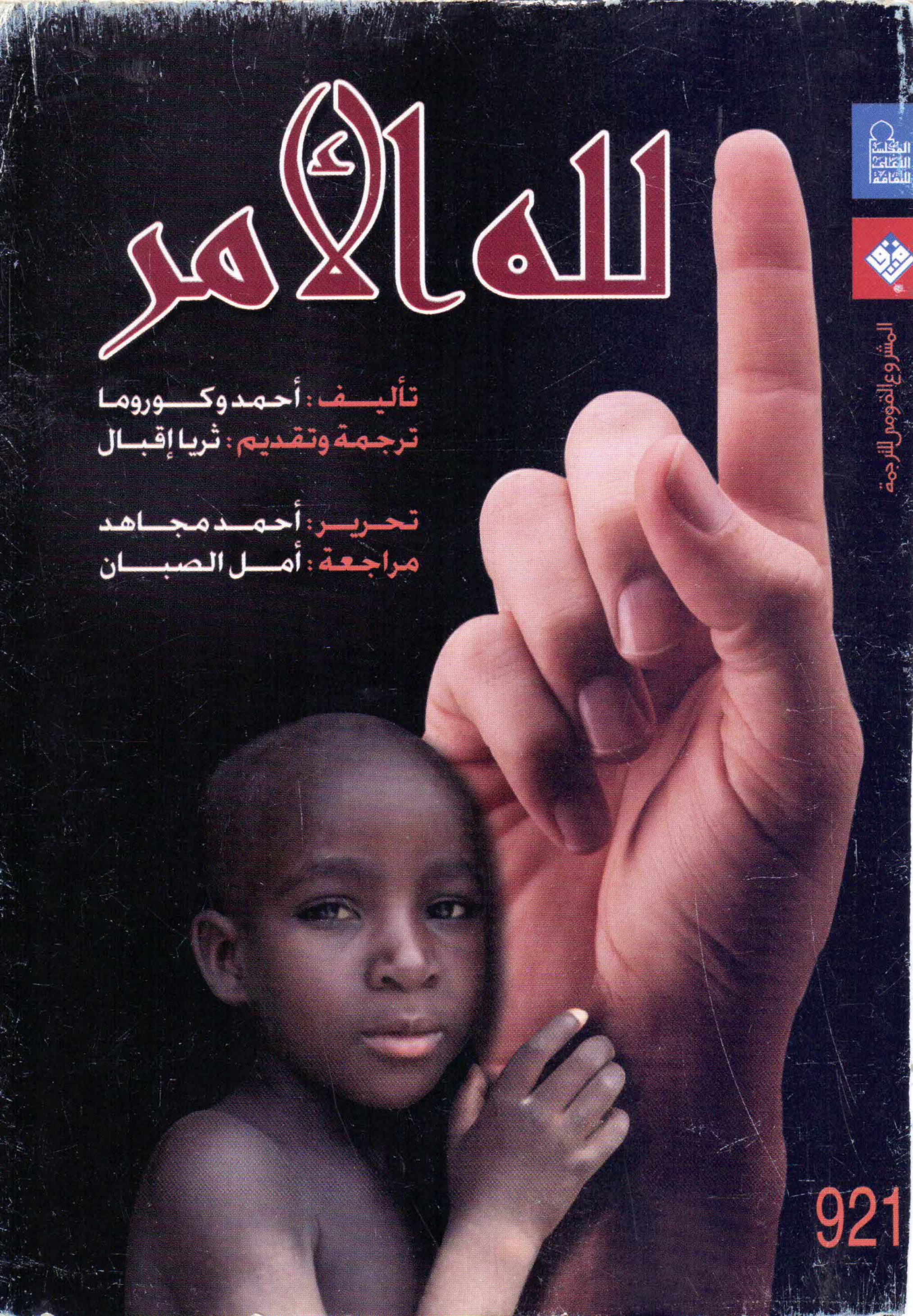


لله الأمر
تأليف : أحمد وكوروما
ترجمة وتقديم : ثريا إقبال
تحرير : أحمد مجاهد
مراجعة : أمل الصبان
المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومي للترجمة
921



تصور الرواية أحداث مصير طفل صغير اسمه براهيما، طفل كان من الممكن أن يكون كالآخرين لا أحسن ولا أسوأ من كل أطفال العالم، لو أنه نشأ فى بيئة أخرى وبلد آخر غير إفريقيا الغارقة فى الفقر والظلم والحرب. مات أبوه وهو صغير السن ولا يذكر عنه إلا القليل. أما أمه التى كانت تزحف على مؤخرتها بعدما أصيبت ساقها برقية مؤذية من طرف ساحرة شريرة، فقد توفيت وهو فى الثامنة أو العاشرة من عمره. لذلك اضطر إلى الذهاب للبحث عن خالته و ولية أمره " ماهان". صاحبه فى رحلة البحث ياكوبا اللص الأعرج، العراف الساحر ومضاعف الأوراق النقدية، ولأنهما لم يكونا محظوظين فقد كان عليهما أن يبحثا فى كل مكان فى إفريقيا من ليبيريا إلى سيراليون حيث كانت الحرب الأهلية على أشدها، ولأنهما لا يملكان قرشا واحدا، كان عليهما لأن يشتغلا، ياكوبا كعراف ساحر مسلم وبراهيما كطفل جندى.

الغلاف/ عبد العزيز السماحى

المشروع القومى للترجمة

لله الأمر

أحمدو كوروما

ترجمة وتقديم: ثريا إقبال

تحرير: أحمد مجاهد

مراجعة: أمل الصبان



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد:
- لله الأمر
- أحمدو كوروما
- ثريا إقبال
- أحمد مجاهد
- أمل الصبان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب:

Allah n'est pas obligé
Par: Ahmadou Kourouma
Édition du seuil

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

إلى أطفال جيبوتي، نزولا عن رغبتهم، كتب هذا الكتاب

إلى زوجتي عرفانا بصبرها

تقديم المترجمة

يحكى أن رجلا غربيا قد استعار من المكتبة العامة كتاب "ألف وليلة" في يوم أحد من شتاء بارد. أسرع إلى قراءته فانسحر إعجابا بقصصه لحد دفعه إلى تقصى الأمكنة التى تدور فيها أحداث الكتاب. فقرر السفر إلى بغداد. حين حطت الطائرة فى المدينة، تفاجأ قارئنا بعدم وجود ما قرأ عنه من جمال وأسواق وليال حمراء وحريم. صدم الرجل وتعرض إلى نوبة كآبة، لزم معها غرفته فى الفندق إلى حين عودته لبلاده. صدمته المدينة بتطور لم يسمع عنه ولا يريده لأن ما يحفظه عن الشرق ليس سوى صحراء.

تشير هذه الحادثة غير سعيدة النهاية إلى دلالة أهمية التبادل الروائى بين شرق العالم وغربه. وقد تكفى رواية واحدة للتعريف بجزء من الأرض وبجانب من شعب، وقد يُحول

الفضول العام والرغبة الشخصية أبطال الرواية إلى إدلاء سياحيين أو إلى شهود عيان على طور تاريخى.

هكذا تعتبر الرواية رحلة نحو منطقة الآخر البعيدة لأسباب مختلفة سياسية أو ثقافية أو بسبب ماض شهد عنفًا فخلف وراءه حذرا أو سوء فهم، فالرواية دعوة إلى إقامة جولة سياحية ثقافية فى ربوع الآخر المختلف تاريخيًا عن سواه. إنها تقصٌ جمالى للتعرف على الاختلاف والتخلف. بعبارة أخرى، يمكن تشبيه الرواية برحلة جوية حيث تتحول الصفحات المقروءة إلى زمن معيش، والزمن هنا لا يعدو أن يكون تلك الساعات التى تقطع جوًا بين بلد وآخر ومدينة وأخرى.

نعم، بعد الإقلاع من مدينة فى غرب العالم والهبوط فى مدينة في شرقه ستتضح الفجوة التاريخية ويتخذ التطور أو التخلف تعريفا جديدًا ومسارًا مختلفًا حد التناحر.

ساعات قليلة فى التحليق في أجواء رواية "الله الأمر" للكاتب الأفوارى أحمدو كوروما ويجد القارئ نفسه على ذمة ثقافة أخرى تملى عليه شرط وجوده فيها، وتجعله يستغنى عن

حاسوبه وعقله معًا ليلجأ إلى السحر لسبر غور شيء ما وإلى التنجيم لحل عقدة ما.

صدرت رواية "لله الأمر" سنة ٢٠٠٠ تحت عنوانها الأصلى "الله ليس مجبرًا" الذي اضطررنا إلى تغييره لأنه قد يوحى للقارئ أن الكتاب يمس بالدين مع أنه يصف الحياة المأساوية للأطفال فى إفريقيا، فى سردية تتداخل فيها أصوات ولغات وأساليب عدة. إنها آلام يصعب تصنيفها فى سخرية جادة أم جدية ساخرة، لكنها فى كلتا الحالتين لا تخلو من شعرية تخلق أنواعًا متميزة من الدهشة.

يكتب أحمدو كوروما بالفرنسية، يبنى عالمًا داخل اللغة، مستمدًا خصوصيته من بيئته وظروفه، ورحلاته، مطوعًا العبارة لتستوعب آلامه ومعاناته وليقبض على الجزيئات اليومية والتفاصيل الصغيرة. وهذا البعد المتداخل يؤكد علاقة متجددة باللغة يضيف إليها ما لديه وما هو حتى يكاد الحديث عن لغته يعادل التعبير عن أناه. وهذا أيضًا ما جعل ترجمة الرواية عملية غير يسيرة، إذ كيف يمكن نقل لغة شديدة الخصوصية حتى لكأنها نحت جديد داخل جسد اللغة الفرنسية

إلى سياق اللغة العربية ببنياتها النحوية والدلالية والأسلوبية مع الإبقاء على نكهة النص الأصلى لكن دون السقوط فى الترجمة الحرفية التى تشوه المعنى ولا تحقق الغرض الذى أقيمت من أجله. تلك هى المعادلة الصعبة التى حاولت الاقتراب منها بتتبع نبض كاتب يقص بقلبه وروحه وجسده مأساة إنسانية بدعابة ساخرة تضحك حد البكاء، لدرجة يصعب على القارئ ترك الكتاب قبل إنهائه رغم الآلام وبشاعة الظلم والفاقة التى تصرخ على امتداد الصفحات.

تصور الرواية أحداث مصير طفل صغير اسمه براهيما، طفل كان من الممكن أن يكون كالآخرين، لا أحسن ولا أسوأ من كل أطفال العالم، لو أنه نشأ فى بيئة أخرى وبلد آخر غير إفريقيا الغارقة فى الفقر والظلم والحرب. مات أبوه وهو صغير السن ولا يذكر عنه إلا القليل. أما أمه التى كانت تزحف على مؤخرتها بعدما أصيبت ساقها برقية مؤذية من طرف ساحرة شريرة، فقد توفيت وهو فى الثامنة أو العاشرة من عمره. لذلك اضطر إلى الذهاب للبحث عن خالته وولية أمره "ماهان". صاحبه فى رحلة البحث ياكوبا، اللص الأعرج،

والعراف الساحر، ومضاعف الأوراق النقدية. ولأنهما لم يكونا محظوظين فقد كان عليهما أن يبحثا فى كل مكان فى إفريقيا من ليبيريا إلى سيراليون حيث كانت الحرب الأهلية على أشدها، ولأنهما لا يملكان قرشًا واحدًا، كان عليهما أن يشتغلا، ياكوبا كعراف ساحر مسلم وبراهيما كطفل جندى.

لا يذكر براهيما هل تسلى فى رحلة البحث تلك أم لا، لكن ما يعرف ويذكر ويحس - ولا يزال - أنه تألم كثيرا لأن أغلبية أصدقائه الجنود لاقوا حتفهم بشكل أو بآخر.

تحتوى الرواية على أكثر من ثلاثين شخصية تتفاوت أدوارها بين الطويل والأقل طولا، لكنها تتوحد بالأهمية وتشترك فى مأساوية المصير، شخصيات أغلبها أطفال معوزون، لم يتمتعوا كسواهم بالحق فى التعليم والتربية، أطفال لا خيار لهم سوى مواجهة قدر عوزهم وسلب طفولتهم، أطفال يسعون إلى الهرب رغم أن لا مفر لهم من التسليم بنهائيات مفروضة على حياتهم. لكن لله الأمر من قبل ومن بعد.

حصلت رواية "لله الأمر" على عدة جوائز أهمها (جائزة كونكور) لعام ٢٠٠١.

(١)

أحسم هذا العنوان الكامل والنهائى لهرائى هذا، وهو: "لله الأمر فى أمور الأرض كافة" هكذا سأبدأ إذن سرد هواجسى.

"... فى البداية... أولاً ... اسمى براهيما ... أنا زنجى صغير، ليس لأنى أســود أو طفــل، لا ... ولكنى كذلك لأنى لا أتحدث الفرنسية جيدًا. يُنعت المرء بهذا الوصف حتى لو كان طويل القامة، طاعنًا فى السن، عربيًا، صينيًا، روسيًا، أو حتى أمريكيًا ... إن لم يكن يتحدث الفرنسية جيدًا، يقال إنه يتحدث مثل زنجى صغير، بل إنه بالفعل زنجى صغير وذلك بموجب قانون العامية الفرنسية.

وثانيًا ... مدرستى لم أتقدم فيها كثيرًا ... فى الصف الثانى الابتدائى توقفت عن الدراسة وتركت مكانى بالمدرسة ... لأن الجميع كان يقول إن المدرسة لا تساوى

شيئًا ... ليس حتى ريح عجوز (هكذا نقول بالزنجية السوداء الإفريقية الأهليـــة، عندما لا يكون للشيء أية قيمـــة نقول إنه لا يساوى ريح جدة عجــوز، لأن ريح الجدة الهــالكة الهزيلة لا يحدث صوتًا ولا يذيع رائحة كريهة جدًا) ... هكذا فالمدرسة لا تساوى ريح جدة لأنه حتى بشهادة جامعية لا يستطيع المرء أن يصبح ممرضًا أو معلمًا فى إحدى جمهوريات الموز الفاسدة فى إفريقيا الفرانكفونية (جمهورية الموز تعنى أنها ديمقراطية ظاهرية، تسودها المصالح الشخصية والفساد)، لكن أن تتردد على المدرسة حتى الفصل الثانى الابتدائى، فذلك لا يعنى بالضرورة نوعًا من الاستقلالية أو أمرًا يستحق الدهشة، تتعلم قليلاً، لكن ليس بما فيه الكفاية، تصبح شبيهًا بما يسميه الزنوج السود الأفارقة الأهليون "بسكوتة محروقة الوجهين" فأنت لم تعد قرويًا بدائيًا مثل الزنوج السود الأفارقة الأصليين الآخرين، بل تسمع وتفهم السود المتحضرين والتوباب باستثناء الإنجليز منهم وكذلك الأمريكان السود فى ليبيريا، لكنك تجهل الجغرافيا والنحو والصرف والقسمة والإنشاء ولا ترتقى للتوصل إلى كسب أجر ميسور بوصفك موظف دولة فى جمهورية مفلسة وفاسدة مثل غينيا وساحل العاج ... إلخ ... إلخ.

وثالثًا ... أنا صفيق ووقح مثل لحية تيس وأتحـدث بقذارة ودناءة لا أقول مثل الزنوج السود الأفارقة الأصليين ذوى ربطات العنق، كلمات من نوع: براز ومومس ودنىء، بل أستعمل مصطلحات ملانكية (Malinkès) مثل فافورو (فافورو يعنى عضـو أبى أو عضـو الأب أو عضـو أبيك) أو نياماكودى (نياماكودى يعنى ابن زنا)، ثم والله (والله يعنى بحق الله).

والملانكيون سلالتى هم نوع من الزنوج السود الأفارقة الأصليين كثيرى العدد فى شمال ساحل العاج وفى غينيا وفى جمهوريات الموز المفلسة الأخرى مثل زامبيا وسيراليون والسنغال ... هناك ... هناك ... إلخ.

ورابعًا ... أريد أن أعتذر عن التحدث أمامكم هكذا .... لأنى لست سوى طفل ذى عشرة أو اثنتى عشرة سنة (منذ عامين قالت لى جدتى ثمانية وقالت أمى عشرة) وأرطن كثيرًا، أعرف أن الطفل المؤدب ينصت، لا يجوز له اللغو دون توقف مثل عصفور حارس أغصان شجرة التين، فذاك من خصال العجزة ذوى اللحى البيضاء الكثيفة، وكما يقول المثل: لا تلبس

الركبة قبعة أبدًا ما دام الرأس على الكتفين، تلك هى عادات القرية لكنى منذ وقت طويل لم أعد أعبأ بها نظرًا لأننى كنت بليبريا، قتلت كثيرا من الأشخاص بالكلاشينكوف (أو الكلاش) وتعاطيت الكانيف وأدمنت مخدرات قوية أخرى.

وخامسًا ... لأحكى قصة حياتى البائسة والمشوشة بلغة تقريبية، أى بفرنسية مقبولة دون أن تختلط الأمور فيما يتعلق بالسباب. أمتلك أربعة معاجم: أولاً: معجم لاروس ولو بتى روبير[1]، ثانيًا: بيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء، ثالثًا: معجم هاربس (Harrap's).

تساعدنى هذه المعاجم على البحث عن ألفاظ السب التى أحتاجها والتحقق منها وشرحها، ويتعين على شرح هذه الألفاظ لأن هرائى هذا ستقرأه فئات مختلفة من الأشخاص؛ التوباب (التوباب يعنى البيض) المستعمرون والسود الأهليون البدائيون بإفريقيا والفرانكوفونيون من كل طراز (طراز يعنى نوعًا).

يسمح لى اللاروس ولو بتى روبير بالبحث عن ألفاظ سب مستخدمة فى فرنسا وللسود الزنوج الأفارقة الأهليين،

---

(1) معجم لاروس ولو بتى روبير(Larousse et Petit Robert): أهم معجمين فرنسيين.

بينما يوضح بيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا ألفاظ السب الإفريقية للتوباب (أى الفرنسيون البيض فى فرنسا)، أما معجم هارابس، فإنه يُعنى بشرح ألفاظ سب البندجان (Pindgin) لكل فرنكوفونى لا يفهم أى شىء بالمرة من البندجان.

كيف حصـلت على هـذه المعاجم؟ هذه حكاية طـويلة لا أرغب فى قصها عليكم الآن ... فلا وقت لدى، ولا يعجبنى الخوض فى ثرثرة من هذا النوع ... هذا كل ما فى الأمر ... فافورو!

سادسًا ... صحيح أننى لست لطيفًا ولا محبوبًا ... بل ملعونًا لأننى تسببت فى أذى لأمى، بالنسبة للزنوج السود الأفارقة الأهليين إذا أغضبت أمك وماتت والغصة فى قلبها فإنها تلعنك وترث سخطها ولا شىء ينجح من أمورك أو يصير إليك أبدًا.

لست لطيفًا ولا محبوبًا ... لأن نيامات مجموعة من الأشخاص تتبعنى (gnama: نياما هى عند السود الأفارقة

الأهليين يجب شرحها للفرنسيين البيض وتعنى - استنادًا لبيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء - الشبح الذى يبقى بعد رحيل شخص ما، الشبح الذى يصبح قوة ماثلة سيئة ويتبع كل من قتل شخصًا بريئًا). وأنا قتلت العديد من الأبرياء فى ليبيريا وسيراليون حيث شاركت فى الحرب القبلية وتعاطيت المخدرات القوية وأصبحت الأشباح تتبعنى ... لهذا فإن كل شىء يستعصى على، نياماكودى!

ها أنذا قدمت لكم نفسى فى ست - نقاط دون زيادة - بلحمى وعظمى مستخدمًا طريقتى الوقحة. هو ذا أنا إذن ... صورة لا تبعث على الارتياح أبدًا ...

والآن بعدما قدمت لكم نفسى، سأحكى لكم فعلاً، فعلاً قصة حياتى الخسيسة والحقيرة واللعينة.

اجلسوا وأنصتوا إلى واكتبوا ودونوا كل شىء ... كل شىء.

لله الأمر فى كل شىء... فافورو!

قبل ذهابى إلى ليبيريا كنت طفلاً لا خوف عليه ولا لوم، أنام فى كل مكان وأخطف أى شىء من أى مكان لآكل، كانت جدتى تبحث عنى خلال أيام وأيام، وهذا ما نطلق عليه طفل شوارع، كنت إذن طفل شوارع، وقبل أن أصبح كذلك كنت فى المدرسة، وقبل ذلك كنت بلاكورو فى قرية طوكوبالا (Bilakoro يعنى حسب بيان الخصوصيات القاموسية الفرنسية إفريقيا السوداء طفلاً غير مختن)، كنت أجرى فى الجداول وأذهب إلى الحقول وأطارد الفئران والعصافير فى الأدغال، كنت طفلاً زنجيًا أسود إفريقيا بمعنى الكلمة.

وقبل أن أكون هذا وذاك كنت صبيًا أعيش فى كوخ مع أمى، صبيًا أركض بين كوخ أمى وكوخ جدتى، قبل أن أكبر كنت فى بطن أمى وقبل ذلك ربما كنت فى الهواء أو ربما كنت ثعبانًا أو ربما فى الماء، فنحن دائمًا شىء ما مثل ثُعبان أو شجرة أو ماشية أو رجل أو امرأة قبل أن ندخل بطون أمهاتنا، هذا ما نطلق عليه حياة ما قبل الحياة، لقد عشت حياة ما قبل الحياة، نياماكودى(ابن زنا)!

الشيء الأول الذى بداخلى ... لا نقول بالفرنسية السليمة بداخلى ولكن برأسى، الشيء الذى يدور بداخلى أو برأسى عندما أتذكر كوخ أمى هو النار؛ لهيب جمرة أو جذوة من نار ... لا أتذكر عدد شهور عمرى عندما جمرت ذراعى، (جمر يعنى حسب الخصوصيات القاموسية، حرق بالجمر)، ولم تكن أمى أيضًا تحسب شهور عمرى، لا وقت لديها لذلك لأنها كانت تتألم طوال الوقت، وتبكى طول الوقت.

آه، نسيت أن أقول لكم شيئًا مهمًا وأساسيًا جدًا .. بل على أعلى درجة من الأهمية: أمى كانت تمشى على إليتيها ... والله! ... على إليتيها الإثنتين وتتكأ على يديها الإثنتين وساقها اليسرى الهزيلة مثل عصا راع، أما الساق اليمنى التى تسميها رأس ثُعبان مفلطح فقد كانت مقطوعة ومعوقة بسبب قرحة (قرحة حسب معجم لاروس هى جرح دائم مع نزيف من القيح)، هكذا نسمى جرحًا فى الساق لا يلتئم أبدًا وينتهى بقتل المريض، كانت قرحة أمى مدثرة فى أوراق تنورة قديمة (مدثرة يعنى حسب لاروس ملفوفة، مغلفة)، كانت الساق اليمنى دائمًا معلقة فى الهواء، وكانت أمى تتقدم بضربات نزقة على

إليتيها مثل يرقة (ضربة نزقة يعنى وقفة مفاجأة متبوعة باستئناف مباغت). وكنت أمشى على أربع، أذكر ذلك وأستطيع قصه، لكنى لا أحب أن أقوله للجميع لأن ذلك سر، لأننى عندما أحكى أرتعد خوفًا مثل جبان وجل من حرق النار على الجسد، كنت أجرى وأدور على أربع وهى تلاحقنى، أسبقها فتلحق بى وساق أمى اليمنى فى الهواء، تمشى على إليتيها بضربات نزقة وهى متكئة على ذراعيها، كنت أسرع وأبتعد ولا أريد أن تلحق بى واندفعت فإذا بى أنقلب وسط الجمر المستعر الذى عمل مفعوله على التو وأحرق ذراعى، أحرق ذراع طفل بائس مثلى لأن لله الأمر فى كل شئون الأرض، لا تزال الندبة الآن فى ذراعى، لا يزال أثرها محفورًا حتى الآن فى رأسى وفى بطنى وفى قلبى وفى كنهة ذاتى كلها مثلها مثل روائح أمى، وروائح نتنة تندى جسدى كله (نتنة يعنى كريهة جدًا، وندى يعنى بلل حسب معجم لاروس) نياماكودى!

إذن عندما كنت طفلاً محبوبًا، كانت هناك فى قلب طفولتى القرحة التى تأكل بنهمم ساق أمى اليمنى، كانت القرحة هى التى تقود أمى (قاد يعنى أرشد إلى مكان)، كانت القرحة

تقود أمى وتقودنا جميعًا، وحول أمى وقرحتها كان هناك الموقد، والموقد هذا حرق ذراعى، إذ كان دومًا متصاعد الدخان ومستعر الجمار (استعر يعنى تحرك الجمر وتأججت ناره)، وحول الموقد كان هناك عدد من الكنارى (الكنارى يعنى حسب بيان الخصوصيات القاموسية) المصنع يدويًّا وعدد من المجامر مجمر أى آنية من الفخار مليئة دومًا بالمستخلصات (المستخلصات هى المحلول الناتج عن الماء المغلى والأعشاب)، مستخلصات لغسل قرحة أمى.

وفى قاع الكوخ كانت هناك مجموعة من المجامر المصفوفة بطول الجدار، وبين المجامر والموقد كانت أمى وقرحتها فى التنورة الورقية وكنت أنا والعراف والصياد والحكيم بالاً وهو حكيم مداوٍ فى الكوخ أيضًا.

كان بالاً شخصًا لطيفًا ورائعًا، يعرف أشياء عديدة وبلدانًا مختلفة، وهبه الله عشرات من الفرص والمزايا والمؤهلات لا يمكن تصورها. كان معتوقًا (أى عبدًا قديمًا تم عتقه، حسب معجم لاروس) وكان أيضًا دونزون با (donson ba) هكذا يسمى الصياد الماهر الذى قتل وحشًا أسود وجنيًا شريرًا حسب

الخصوصيات القاموسية. وكان كافرًا (cafer)، هكذا يسمى من يرفض الديانة الإسلامية ويكتسى بالتعاويذ من رأسه إلى قدميه، وفقًا للخصوصيات القاموسية. فقد رفض حرق أوثانه لهذا فهو ليس مسلمًا، ولا يصلى خمس مرات فى اليوم ولا يصوم شهرًا فى السنة وعند وفاته لا يجوز لمسلم حضور جنازته ولا يجوز دفنه فى مقبرة المسلمين كما لا يجوز قطعًا لأحد (قطعًا يعنى ما لا يتيح أدنى مجال للخيار) أن يأكل ما نحره.[٢]

بالاً كان البامبارا الوحيد (بامبارا يعنى الرافض)، والكافر الوحيد فى القرية وكان الجميع يهابه وكانت تكسوه التعاويذ فى الذراعين والشعر والجيوب ولا ينبغى لأحد من القرية أن يذهب عنده، لكن الكل فى الواقع كان يزور كوخه ليلاً وأحيانًا نهارًا، لأنه كان يمارس السحر والطب التقليدى والشعوذة ومئات من الأعمال الخارقة الأخرى (الخارقة تعنى تلك التى تتجاوز الحدود المألوفة بشكل مبالغ فيه).

([2]) الصحيح فى الدين أنه يجوز لمسلم أن يأكل ما نحره غير المسلم على أن يسمى "بسم الله" قبل بداية تناول الطعام.

كل ما أحكى وأطنطن به (أطنطن به يعنى التلفظ بحماقات أو القيام بها)، وما سأتلعثم به هو الذى علمنى إياه، يتعين علينا دوما الشكر والامتنان لشجرة الكريتة التى نجمع تحتها الثمار إبان فصل الربيع الجيد، وأنا سأبقى دومًا مدينًا بأفضال بالاً الكثيرة على، فافورو! نياماكودى!

كان كوخ أمى يفتح ببابين: الباب الكبير يفضى إلى الضيعة العائلية والصغير إلى السور المحيط بالكوخ، كنت أتدحرج فى كل مكان على أربعة أرجل، وأتعلق بكل شىء، وأحيانًا كنت أسقط فى القرحة، فتصرخ أمى ألمًا، تنزف القرحة وتزداد أمى صراخًا كأنها ضبع قبض قوامه بين أسنان فك ذئب ضخم، ثم تبكى بدموع غزيرة، كانت دائمة البكاء وكانت دموعها موجودة دائمًا وأبدًا داخل قاع عينيها والنحيب يملأ حنجرتها ويخنقها خنقًا.

وكانت جدتى تقول "كفاك دموعًا ونحيبًا"، "إن الله هو خالق كل واحد منا بحظه وعينيه وقامته وبأحزانه، ولقد كتب عليك آلام القرحة وقدر لك أن تقضى كل حياتك على الأرض فوق حصيرة، فى قاع كوخ، بجانب موقد، عليك بذكر الله،

رددى الله أكبر، الله أكبر: فالله لا يعطى متاعب بلا سبب. إنه يبتليك فى الأرض ليصطفيك ويمنحك الجنة والسعادة الأبدية فى الدار الآخرة"، فتمسح أمى دموعها وتبلع نحيبها ثم نعود من جديد إلى لعبنا ومطاردة بعضنا بعضا فى الكوخ، لكنها سرعان ما تنقطع عن اللعب صباح يوم آخر لتتضور ألمًا وتختنق بكاء.

"بدلاً من الشكوى والنواح الأحرى بك أن تشكرى الله سبحانه وتعالى على فضله لأنه ابتلاك فى الأرض لأيام معدودات ... ابتلاك بآلام ألف مرة أرحم من آلام الجحيم .. تلك التى سيعانى منها الكفار الأشرار"، كانت جدتى تقول هذا وتناشد أمى أن تصلى فتمسح هذه الأخيرة دموعها وتصلى مع جدتى، عندما حرقت ذراعى بكت أمى كثيرًا وفاضت حنجرتها وصدرها شهيقًا، وجاء أبى بصحبة جدتى وغضبا هما الاثنان ووبخا أمى هما الاثنان بقولهما "هذا أيضًا امتحان من الله (امتحان يعنى ما بواسطته يمكن الحكم على شخص ما) وربما أن الله يدخر لك سعادة إضـــافية فى جنته، فقد ابتلاك مرة أخرى بمنحة إضافية على هذه الأرض" فمسحت أمى دموعها وبلعت نحيبها ثم تلت الصلوات مع جدتى وسرعان ما عدنا – أمى وأنا – إلى لعبنا.

كان بالاًّ يردد أن الطفل لا يجوز له أن يهجر كوخ أمه بسبب الروائح الكريهة، وأنا من ناحيتى لم اخش يومًا من روائح أمى ولا أى نوع من أنواع النتانة التى تملأ الكوخ سواء كانت ريحًا أو غائطًا أو بولاً أو عفونة الحرقة أو اختناق الدخان أو روائح المداوى بالاًّ، إذ لم أعد أشمها ولا عادت تصيبنى بغثيان، بل كان لكل روائح أمى طيب خاص بالنسبة لى فقد اعتدت عليها، وفى قلبها أكلت أطيب ما أكلت ونمت أفضل ما نمت، وهذا ما يسمى بالمكان الطبيعى الذى تنمو فيه كل فسيلة وتترعرع، وكوخ أمى بكل روائحه كان هو مكانى الطبيعى.

من المؤسف حقًا ألا نعرف كيف كان العالم قبل الولادة، فى صباح بعض الأيام كنت أحاول تخيل أمى قبل ختانها؛ كيف كانت تغنى وترقص وتمشى قبل ختانها عندما كانت فتاة شابة عذراء، أخبرتنى جدتى وبالاًّ أنها كانت جميلة كالغزال، أما أنا فلم أرها إلا نائمة أو على إليتيها ولم أرها على رجليها قط، من المؤكد أنها كانت مثيرة ولا تقاوم لأنه بعد ثلاثين عامًا من البؤس وروائح الدخان والآلام والدموع بقى هناك شىءمن البهاء فى تجويف وجهها، فعندما لا يفيض بالدمع يشع بومضة

تنيره، شيء مثل جوهرة ضائعة مشروخة (مشروخة يعنى بها شرخ على الجانب)، جمال فاسد عفن كقرحة ساقها اليمنى، ومضة باهتة فى دخان وروائح الكوخ، فافورو. والله!

عندما كانت أمى جميلة ومثيرة وعذراء كانت تسمى بافيتينى (Bafitini)، حتى عندما صارت عجوزًا وآسنة تمامًا ظل بالاً وجدتى يناديان عليها بافيتينى. أما أنا الذى لم أرها سوى فى حال مزر من التحلل متعدد الأشكال والألوان فقد كنت أنادى عليها "ما" دون أى لقب آخر، فقط "ما"، وكان هذا الاسم يأتى من الأحشاء كما يقول الأفارقة أو من القلب كما يقول فرنسيو فرنسا.

تقول جدتى إن "ما" ولدت بسيكيرى (Siguiri)، وهو أحد الأماكن العديدة العفنة المتناثرة فى غينيا وساحل العاج وسيراليون حيث يعمل رجال بالحفر وتحطيم الأحجار بحثًا عن الذهب، وكان جدى مهربًا كبيرا للذهب، وكأى مهرب ثرى كان يشترى كثيرًا من النساء والخيول والأبقار علاوة على كثير من القمصان الفضفاضة المنشاة (البوبو)، أما النساء والأبقار فكن ينجبن كثيرًا من الأطفال ولكى يأوى كل من

النساء والأطفال والعجول والعائلة والماشية والذهب اشترى جدى الكثير من الأراضى وبنى كثيرا من المنازل، كان جدى يملك مزارع فى كل قرى المعسكرات حيث يرابط تجار الذهب المغامرون دفاعًا عن أنفسهم من كل هجوم محتمل، كانت جدتى أولى زوجات جدى وأم أولاده الأولين لذا أرسلها إلى القرية لتدبير الضيعة والأملاك العائلية وأبعدها عن قرى الذهب التى تعج باللصوص والمجرمين الأفاقين وبائعى الذهب.

أما ما دعى جدتى للبقاء فى القرية، فهو لتفادى موت أمى بصورة مفاجأة سواء بسكتة قلبية أو بتعفن نهائى للقرحة، كانت أمى تردد دومًا أن الألم سيأتى عليها لا محالة فى الليلة نفسها التى تفارقها فيها جدتى للذهاب حيث يعمل جدى مهربًا فى معسكرات تعج بقاتلى النساء والمنقبين عن الذهب.

كانت جدتى تحب أمى كثيرًا ومع ذلك لم تكن تعرف تاريخ ميلادها ولا يوم ميلادها بين أيام الأسبوع، وكانت جدتى جد مشغولة فى الليلة التى وضعت فيها أمى وشرح لى بالاً أن الأمر ليس له أهمية إذ ليس ضروريًا أن يعرف الإنسان تاريخ ويوم ميلاده ما دمنا قد ولدنا جميعًا فى يوم أو فى آخر، فى

مكان أو فى آخر وسنموت جميعًا فى يوم أو فى آخر لنوارى جميعًا الثرى ونلحق بالأجداد ونلقى الحساب الإلهى ذاته، فى ليلة ميلاد أمى كانت جدتى جد مشغولة بسبب ظهور علامات شؤم متفرقة فى الكون كله، فى تلك الليلة كانت هناك إشارات فى السماء وعلى الأرض وفوق الجبال بدءًا بصياح الضباع فى الجبال إلى صراخ البوم فوق أسطح الأكواخ؛ كل تلك الإشارات كانت تنبئ بأن حياة أمى ستكون شقاء فى شقاء وحزنًا فى حزن، حياة دنيئة وأليمة ولعينة، علل بالاً ذلك بأن ما قُدم من أضحيات وقرابين لتفادى هذا المصير المشئوم لم يكن كافيًا، وليس بالضرورة أن يقبل الله أو أرواح الأجداد تلك الأضحيات، إن الله فعال لما يريد وله وحده الأمر فى قبول دعاء كل البشر المساكين (قبول يعنى استجابة)، كما أن الأشباح بدورها تفعل ما تريد ولها الأمر فى تلبية طلبات كل الداعين.

كانت جدتى تحبنى كثيرًا، أنا - براهيما - حفيدها المفضل، كانت تحبنى أكثر من كل أحفادها الآخرين، فكلما أعطاها أحد قطعة سكر أو فاكهة أو مانجو أو باباى[٣] أو حليبًا

([3]) المانجو (Mangue) والباباى (Papaye): فاكهتان توجدان فى إفريقيا

لم تكن تأكلها بل تتركها لى، لى وحدى، كانت تخفيها فى زاوية من الكوخ وتعطينى إياها عندما أدخل عرقانًا ومتعبًا وعطشانًا وجوعانًا مثل طفل سيئ من أطفال الشوارع.

عندما كانت أمى شابة عذراء وجميلة مثل جوهرة، كانت تعيش فى القرية التى يهرب بها جدى الذهب والتى كانت تعج بالعديد من اللصوص بائعى الذهب الذين يغتصبون الفتيات غير المختتنات ويذبحوهن، لذلك لم تنتظر أمى طويلاً، فعند حلول أول ريح حرور(٤) عادت إلى القرية لتحضر احتفاليات موسم الختان والمُسارة التى تقام مرة واحدة كل سنة عند هبوب ريح الشمال.

لم يكن أحد فى قرية طوكوبالا يعرف مسبقًا فى أى حقل سافانا سيقام الختان، فعند طلوع الفجر تخرج الفتيات من أكواخهن ويدخلن الأدغال تباعًا (تباعا يعنى على التوالى أى الواحدة تلو الأخرى) ثم يمشين فى صمت إلى أن يصلن إلى باحة الختان فى لحظة طلوع الشمس بالضبط.

لا يحتاج المرء أن يتواجد فى باحة الختان ليعرف أن هناك شيئًا ما سيبتر من جسد الفتيات، وقد بتر شىء ما من جسد

---

(4) ريح حرور (Harmattan): وهى ريح حادة تهب فى إفريقيا الجنوبية.

أمى، لكن وللأسف لم يتوقف نزيفها، كان دمها يسيل مثل نهر فائض إثر عاصفة هوجـــاء، توقفت كل رفيقاتهـــا عن النزف إلا هى، فمن ثم كان يجب أن تموت أمى فى باحة الختان، ففى كل حفل يخطف مارد الأدغال فتاة بين المختتنات ويقتلها ليحتفظ بها قربانًا، فتدفن فى المكان نفسه، فى قلب باحة الختان، وعادة لا تكون الفتاة قبيحة أبدًا، إنما من الجميلات، بل أجمل فتاة تم ختانها، كانت أمى أجمل فتاة فى جيلها لذا رشحها مارد الأدغال للموت.

فى بلاد الهورودوكو كان هناك عرقان هما البامبارا والملانكيون، وكانت الساحرة المختتنة من سلالة البامبارا وكنا نحن عائلات كورروما وسسيسوكو وديارا وكوناطى ... إلخ جميعا ملانكيين وديولوس ومسلمين.

أما الملانكيون فهم غرباء جاءوا من وادى النيجر منذ زمن بعيد، وهم أناس طيبون سمعوا كلام الله؛ يصلون خمس صلوات فى اليوم ولا يشربون الخمر ولا يأكلون لحم الخنزير ولا صيدًا مذبوحًا بيد عراف كافر مثل بالاًّ، أما فى قرى أخرى فيتألف السكان من بامبارا وعبدة أوثان وكفار غير مسلمين وعرافين متوحشين بدائيين وسحرة دجالين.

أحيانا يسمى البامبارا أيضًا "لوبيس" (Lobis) أو سينوفوس (Senofos) أو كابيس (Kabiès) إلخ، وكانوا عراة قبل الاستعمار، لذلك كان يطلق عليهم "الرجال العراة"، والبامبارا هم السكان الأصليون، مالكو الأرض الحقيقيون، وكانت المختتة من البامبارا اسمها موسوكوريني، وعندما اكتشفت موسوكوريني أن أمى كانت تنزف بدون توقف وأنها كانت على وشك الموت أشفقت عليها لأنها جميلة وجذابة.

صحيح أن الكثير من الوثنيين لا يعرفون الله وهم دائمًا شريرون لكن قد يُستثنى البعض منهم فيكون طيبًا، والمختتة كانت كذلك فاشتغلت من أجل أمى وبفضل صلواتها وأدعيتها وسحرها استطاعت أن تنتشل أمى من مارد الأدغال الشرير القاتل الذى قبل أدعية وابتهالات المختتة فتوقفت أمى عن النزف ونجت من الموت. كان الجميع فرحًا فى القرية ولا سيما جدى وجدتى، لذلك أجمع كل أهالى القرية على مكافأة المختتة على إنقاذ أمى، ومنحها ثمنًا غاليًا، لكنها رفضت رفضًا تامًا.

لم ترد مالاً ولا ماشية ولا كولا ولا دخنا[٥] ولا نبيذاً ولا ملابس ولا حتى كورى (كورى يعنى: نوع من أنواع قواقع المحيط الهندى يلعب دورًا مهما فى الحياة التقليدية، ويعتبر بالخصوص عملة للتبادل)، ولأنها وجدت أمى غاية فى الجمال أرادت أن تزوجها لابنها، كان ابنها صيادًا كافرًا وعابد أوثان وعرافًا لا يجوز تزويجه من مسلمة تقية تقرأ القرآن مثل أمى، ولهذا السبب كان الرفض جماعيًا فى القرية وتزوجت أمى من ابن عمها – أبى – وقد كان أبوه إمام مسجد القرية، لذلك غضبت المختنة وابنها غضبًا شديدًا، فألقيا على ساق أمى عملاً مؤذيًا للغاية، كوروتى (كوروتى حسب معجم بيان الخصوصيات القاموسية يعنى سما يعمل عن بعد ويصيب الشخص المقصود) وديجيبو (يعنى تعويذة ذات مفعول سيئ) قوى جدًا ومؤثر للغاية.

عندما تزوجت أمى وحملت للمرة الأولى، بدأت نقطة صغيرة سوداء تتكون فى ساقها اليمنى وأخذت تُؤلمها، فلما

([5]) دخن(Mil): ذرة بيضاء

فُقئت حل محلها جرح صغير سرعان ما عولج لكنه لم يُشف تمامًا بل شرع يلتهم الساق شيئًا فشيئًا.

أخذت أمي بسرعة عند بالاً والسحرة العرافين والشوافين فأجمعوا كلهم على أن المختتة وابنها هما اللذان ألقيا العمل المؤذى على ساق أمي، وعلى التو تم التوجه إلى قريتهما لكن الوقت كان قد فات؛ ففي ذلك الحين كانت المختتة قد ماتت، ماتت من الشيخوخة، بل ودفنت أيضًا، أما ابنها الصياد فلم يرد سماع ولا فهم أى شيء لأنه كان بالفعل شريرًا وكافرًا وعدوًا لله.

عندما وضعت أمي أختي الكبرى وبدأت هذه الأخيرة تمشي والجرح لا يتوقف عن التعفن حملت أمي إلى مستشفى الدائرة وكان ذلك قبل الاستقلال.

وفي المستشفى كان هناك طبيب توباب (أبيض) يحمل ثلاث شارات على الكتفين وطبيب إفريقي بدون شارات وممرض أول ومولدة وكثير من السود الذين يرتدون كلهم قمصان بيضاء. وكان كل السود ذوى القمصان البيضاء

موظفين يتقاضون أجرًا من حاكم المستعمرة، لكن لكى يكون الموظف طيبًا مع المريض يتعين على هذا الأخير أن يعطيه ديكًا، تلك هى العادة دائمًا فى إفريقيا.

أعطت أمى خمسة ديوك لخمسة موظفين، وكانوا كلهم طيبين معها، كلهم عملوا على علاجها، لكن جرحها – رغم الضمادات والبرمنغنات – بدلاً من أن يشفى، استمر فى النزف والتعفن الحادين. قرر الطبيب الكابتن إجراء عملية لساق أمى وبترها من الركبة ورمى الجزء المتعفن للكلاب السائبة، لكن من حسن الحظ أن الممرض الأول الذى أعطته أمى ديكًا جاء ليلاً ليخبرها بذلك.

شرح لها أن المرض الذى أصابها ليس من اختصاص البيض وإنما من اختصاص السود الزنوج البدائيين، إنه مرض لا يشفى بالتطبيب وعلم التوباب، قال لها الممرض الأول الذى كان مسلمًا ولا يمكنه الكذب أبدًا: "سحر المداوى الإفريقى وحده يمكن أن يعمل على التئام الجرح، أما إن قبلت أن يجرى الكابتن عملية فى ساقك فإنك ستموتين لا محالة، ستموتين مثل كلب".

استأجر جدى حمالاً بحمار وتحت ضوء القمر ليلاً ذهب الحمال برفقة المداوى بالاً إلى المستشفى وخطفا أمى وأخذاها قبل طلوع الفجر بعيدًا فى الأدغال ثم أخفياها تحت أغصان شجرة فى غابة كثيفة. عندما علم الكابتن بذلك غضب غضبًا شديدًا وجاء إلى القرية بزيه العسكرى وشاراته برفقة حرس من دائرة القرية، وبحثوا عن أمى فى أكواخ القرية كلها ولم يعثروا لها على أثر فلا أحد يعرف أين اختفت وسط الأدغال.

وعندما غادر الكابتن وحرسه القرية، خرج المداوى بالاً والحمال من الغابة، أعادا أمى إلى كوخها واستمرت تمشى على إليتيها، فافورو!

تأكد الجميع وقتئذ أن قرحة أمى مرض من اختصاص الأفارقة السود البدائيين، وأن علاج أى أبيض أوروبى له مستحيل، بل لابد له من دواء بدائى لساحر عراف، لذلك جمع أهل القرية كمية من الكولا وديكين (واحد أبيض والآخر أسود) وعجلاً وتأهبوا لأخذ هذه الأشياء قرابين لابن المختتنة الذى ألقى هو وأمه العمل المؤذى (الكوروتى) على ساق أمى اليمنى، وذلك طلبًا لعفوه وأملا فى أن يبطل مفعول العمل المؤذى

(الديجيبو). كان الجميع جاهزين عندما فوجئوا فجر يوم السفر بوصول ثلاثة شيوخ من قرية المختتة، كانوا حقًا شيوخًا عرافين غير مسلمين يرتدون ملابس مقززة ويبدون ماكرين قذرين مثل شرج ضبع، ومن فرط ما كانوا يقضمون الكولا خلا فكا اثنين منهما من الأسنان تمامًا مثل القرد الشامبانزى، أما الثالث فلم يبق فى فكه سوى كُلابين أخضرين مثل تميمة ومن فرط ما كانوا يتناولون التبغ كانت لحاهم صهباء مثل فأر سمين فى كوخ أمى وليست بيضاء كلحى الشيوخ الذين يتوضأون خمس مرات فى اليوم، وكانوا يمشون كالحلزون وهم يتكئون على عصى وجاءوا ومعهم كمية كبيرة من الكولا وديكان واحد أبيض والآخر أسود ثم عجل، جاءوا بدورهم يطلبون غفران أمى من ابن الساحرة المختتة، هذا الصياد الشرير الذى مات بدوره وهو يحاول قنص جاموس فى الأدغال النائية، مات لأن الجاموس نطحه وقذفه ثم طرحه أرضًا فداسه وأتى عليه تمامًا بعد أن شتت أمعاءه وأحشاءه فى الوحل.

كان ذلك أمرًا مدهشًا وشنيعًا، مما دعى إلى استشارة العرافين والشوافين الكبار ذوى الكلمات النافذة الذين أجمعوا كلهم على أن الجاموس الشرير كان طيف أمى بافيتينى (طيف يعنى تحولاً) وهذا يعنى أن أمى تحولت إلى جاموس شرير، وهى التى قتلت وأكلت روحى المختتة وابنها (آكل الأرواح يعنى هو المتسبب فى الموت بفعل استهلاك الأساس الحيوى للضحية، استنادا إلى بيان الخصوصيات القاموسية)، هكذا إذن صارت أمى أكبر ساحرة فى البلد كله وأصبح سحرها أكبر من سحر المختتة وابنها، أصبحت كبيرة السحرة وآكلى كل الأرواح فى القرية، وكانت تأكل كل ليلة أرواحًا برفقة سحرة آخرين فى قرحة ساقها ذاتها، لذا لم يكن من الممكن لجرحها أن يندمل أبدا ولا يمكن لأحد فى العالم أن يعالج قرحتها العفنة لأنها هى نفسها التى اختارت بمحض إرادتها أن تمشى على إليتيها وساقها اليمنى فى الهواء طيلة حياتها لأنها أدمنت أكل أرواح الآخرين والتهام قرحتها ليلاً ونهارًا (والله)!

لما علمت بهذا كله واطلعت على سحر أمى وعرفت أنها هى التى تأكل طواعية ساقها العفنة، ذهلت إلى حد الغثيان

وبكيت نهارًا وليلاً طيلة أربعة أيام بأكملها، وفى صباح اليوم الخامس تركت الكوخ بنية عدم الأكل أبدًا مع أمى التى بدأت أشعر أنها مقززة جدا.

هكذا أصبحت من أطفال الشوارع بحق، طفلا ينام مع الماعز ويخطف كل ما يجد هنا وهناك فى الضيعات والحقول ليبقى على قيد الحياة.

حاولت جدتى وبالاً انتشالى من الأدغال وإرجاعى إلى الكوخ فمسحا دموعى وطلبا منى أن أبرد قلبى (برد القلب يعنى هدأ من الإحساس بالغضب والأسى)، وأخبرانى أن أمى لم تكن يومًا ولن تستطيع أن تكون ساحرة لأنها مسلمة وأن العجائز البامبارا الكفرة ليسوا سوى مارقين كاذبين.

ولم أقتنع تمامًا بما قالته جدتى وبالاً لأن الوقت قد فات فالريح الذى خرج من المؤخرة لا يمكن استدراكه، لذلك بقيت أنظر إلى أمى من طرف العين باحتراس وحذر فى البطن كما يقول الأفارقة، وفى القلب كما يقول الفرنسيون، كنت مرعوبًا أن تاكل يومًا روحى؛ فعندما تؤكل روحك يستحيل عليك البقاء

على قيد الحياة فتموت مرضًا أو عرضًا لا فرق أيا يكون موتك، نياماكودى!

عندما ماتت أمى أخبرنى بالاً أن السحرة لم يأكلوها، لأنه- هو بالاً - كان شوافًا وعرافًا يرصد الساحرين ويعرف العرافين، أفهمتنى جدتى أن الله وحده الذى اختار أمى لتموت بالقرحة والدموع التى سكبتها لأنه هو الله، إله السماء، فعال لما يريد، له الأمر فى كل شئون الأرض.

ومنذ ذلك اليوم أدركت أننى أسات إلى أمى، أسأت إليها كثيرًا، أسأت لمعوقة بقرحة عفنة، لم تقل لى أمى شيئًا لكنها ماتت بغصة فى القلب، لهذا ورثت لعنتها ولن آتى أى عمل محمود فى هذه الأرض ولن تكون لى أية قيمة فى هذه الدنيا.

ربما حدثتكم لاحقًا عن ظروف موت أمى فلى الأمر فى عدم الخوض فى هذا الموضوع عندما لا أرغب فى ذلك، فافورو.

لم أقل لكم شيئًا عن أبى، كان اسمه مورى، يصعب على الحديث عنه إذ أشعر بأسى وحزن عميقين فى قلبى وبطنى لأنه

مات قبل أن يدرك لحية العجوز البيضاء، لن أتحدث عنه طويلاً لأننى لم أعرفه كثيرًا ولم أعاشره طويلاً فقد مات عندما كنت رضيعًا أحبو على أربعة أرجل، المداوى بالاً هو من عاشره لمدة طويلة، وما أحببته كثيرًا - من حسن حظى - أن بالاً كان على دراية بأشياء عديدة، كان يعرف السحرة ويسافر كثيرًا كصياد فى ساحل العاج والسنغال وغانا وليبيريا حيث يوجد السود الأمريكان وحيث يتحدث الجميع بما فيهم السود من السكان الأصليين البندجان (هكذا تسمى الإنجليزية هناك).

عيسى هو عمى - أخو أبى - وبعد وفاة هذا الأخير كان من المفروض أن تنتسب أمى لعمى وتتزوجه تلقائيا، تلك هى عادات الملانكيين.

لكن أحدًا في القرية لم يوافق على تزويج أمى لعمى عيسى لأنه لم يزرها - ولو مرة - فى كوخها ولم يعتن يومًا بى، بل كان دوما ينتقد بخبث أبى وجدتى وجدى، لذلك لم يكن أحد فى القرية يحبه ولم يسع لتطبيق العادات، كما أنه بدوره لم يرغب فى امرأة تمشى على إليتيها بساق عفنة دائمًا فى الهواء.

وبما أن قانون القرآن والشريعة يحرمان على مسلمة تقية مثل أمى أن تعيش عامًا من اثنى عشر شهرًا قمريًا دون زواج موثق برباط من الكولا (الكولا هى بذرة تؤكل من شجرة تحتوى ثمارها على مواد منبهة وتستهلك لميزاتها المنشطة، وتعد الكولا هدية طقوسية فى المجتمع التقليدى)، كانت أمى مضطرة للكلام وقول ما تريد، كان عليها أن تختار.

قالت أمى لجدتى إن بالاً هو الذى كان دائمًا فى كوخها ليل نهار وأنها تريد رباط الكولا مع مداويها وعرافها بالاً، لكن الجميع فى القرية صرخ ونبح مثل الكلاب المسعورة، لأن بالاً كان بامبارًا وعرافًا كافرًا لا يصلى خمس مرات باليوم ولا يصوم؛ لذلك لا يجوز له أن يتزوج مسلمة تقية كأمى تؤدى صلواتها الخمس يوميا فى أوقاتها.

دار نقاش طويل ممل تخللته تلاوة القرآن ولحسم الأمر قصد الجمع الإمام وهو الشيخ العجوز ذو اللحية البيضاء الذى يتقدم المصلين خلال صلاة الجمعة وصلاة الأعياد وحتى خلال الصلوات الأخرى الخمس وطلب الإمام من بالاً أن يردد عدة

مرات فى اليوم: "الله أكبر، وبسم الله"، وردد بالاً مرة واحدة: الله أكبر، بسم الله. ثم وافق الجمع على رباط الكولا مع بالاً.

وهكذا أصبح بالاً زوج أمى لكنه كان زواجًا على الورق (زواجًا أبيض كما يقال)، فحتى إن كان الرجل والمرأة أسودان ويرتديان ثيابًا سوداء إذا لم يضاجعا بعضهما ولو مرة واحدة فيقال إنهما تزوجا زواجًا أبيض.

وأمى وبالاً تزوجا زواجًا أبيض لسببين، أولهما أن بالاً كان مليئا بالأحجبة فى العنق والذراعين والحزام ولم يود أن يتعرى أمام امرأة، وحتى لو قبل خلع تعاويذه فلن يتوصل إلى إنجاب أطفال لأنه لا يملك تقنية أبى الذى لم يمهله الوقت لتلقين بالاً طريقته البهلوانية فى الانحناء بدقة فوق أمى لتلقيحها بالأطفال نظرا لأنها تمشى على إليتيها، وساقها اليمنى العفنة بالقرحة مرفوعة فى الهواء.

أنجبت أمى من أبى ثلاثة أطفال: أختى مريم وأختى فطومة وأنا. كان أبى مزارعًا كبيرًا ومؤمنًا صالحًا يعول أمى جيدًا، قالت جدتى إن أبى رحل رغم كل الأعمال الصالحة التى

قام بها فى الأرض، فلا أحد يدرك مشيئة الله لأنه هو العلى القدير فى السماء فعال لما يريد وله الأمر فى شئون هذه الأرض كافة، أمى أيضًا ماتت بسبب مشيئة الله والإمام أوضح أن المؤمن المسلم لا يجوز أن يقول شيئًا ولا يعارض مشيئة الله وأضاف أن أمى لم تمت بالسحر وإنما بالقرحة وأن ساقها استمر فى التعفن إذ لم يعد أحد يستطيع علاجها بعد وفاة المختتنة وابنها ولأن مرضها لم يكن ليعالج فى مستوصف البيض وخصوصًا أن الوقت الذى وهبها الله على الأرض قد انتهى، كما أضاف الإمام أن ما جاء به العجزة والقذرون كان بهتانا وزورًا فلم تكن أمى تأكل فى الليل سحرًا داخل جرحها العفن وهذا ما أثلج قلبى فعاودت البكاء عليها، قال الإمام أيضًا إننى لم أكن ابنًا بارًا، فى القرية كان الإمام هو المرابط باللحية الكثة الذى يؤم الصلاة الكبرى كل جمعة فى الساعة الواحدة زوالاً، لذلك بدأت آسف كثيرًا على ما فعلته حيال أمى، ولازلت حتى الآن وكل آن أشعر بألم يحرق قلبى كلما تذكرت موت أمى لأننى أعتقد أحيانًا أنها لم تكن ساحرة تأكل الأرواح، وأذكر دائمًا الليلة التى رحلت فيها.

عندما وصلت أمى لدرجة التعفن المفرط أى التعفن فى آخر درجاته استدعتنى وشدت على ذراعى الأيسر بيدها اليمنى، لم يكن باستطاعتى التخلص منها لأذهب للتسكع فى الشوارع تلك الليلة فنمت على الحصير وأسلمت أمى الروح عند الفجر، وفى الصباح كانت أصابعها ضاغطة على ذراعى بشدة لدرجة أن بالاً وجدتى وامرأة أخرى اضطروا إلى التعاون جميعًا لتخليصى منها، والله! هذا صحيح.

بكى الجميع يومها كثيرًا لأن أمى عانت كثيرًا فى هذه الأرض وأجمع الحاضرون أنها ستدخل جنة الله الطيبة مباشرة هناك فى أعلى عليين لأنها ذاقت هنا فى الأرض كل أنواع الحزن والألم وليس هناك أنواع أخرى ليذيقها إياها، أما الإمام فقال إن روحها ستكون روحًا طيبة تحفظ الأحياء من الشقاء والطوالع السيئة، روحًا يتوجب ذكرها ومحبتها، هكذا أصبحت أمى الآن فى الجنة ولم تعد تتألم والكل أمسى هنا فى الأرض فرحًا إلا أنا فلازال موتها يؤلمنى، يؤلمنى جدا لأن أقوال العجزة الكافرين كانت بهتانًا وزورًا، وكانوا هم أنفسهم مخادعون سفلة، وأنا كنت معها طفلاً سيئًا ونذلاً فقد جرحتها

وماتت بجرحى فى قلبها لذلك فأنا ملعون، أجر اللعنة معى فى كل مكان. نياماكودى!

فى اليوم السابع واليوم الأربعين بعد موت أمى - خلال مأتمها - جاءت خالتى ماهان من ليبيريا (اليوم السابع واليوم الأربعون يعنى - حسب بيان الخصوصيات القاموسية - ذكرى تأبين للموتى).

ماهان هى أم مامادو، لذلك يقال إن مامادو قريبى، كانت خالتى ماهان تعيش فى ليبيريا بعيدًا عن الطريق وراء نهر، وهناك اختبات هى وزوجها الثانى لأن زوجها الأول أبو قريبى مامادو كان صيادًا، بل كبير الصيادين، لكنه كان يصرخ ويشتم ويهدد دومًا بسكينه أو بندقيته، كان من النـــوع العنيف، بل العنيف جدًا، أنجبت خالتى من كبير الصيادين قريبتى فريمة وقريبى مامادو، كان كبير الصيادين - والد مامادو - يدعى موزيفين، ومن فرط عنفه وشتائمه وتهديداته وضربه المبرح خرجت خالتى يومًا وهربت دون رجعة.

لا يجوز للمرأة - فى أى مكان فى العالم - أن تترك فراش زوجها حتى لو كان هذا الأخير يشتم ويضرب ويهدد زوجته التى تبقى دائمًا على خطأ، هذا ما يطلق عليه حقوق المرأة.

حدث ذلك قبل الاستقلال لذا استدعيت خالتى إلى مكتب قائد المديرية الأبيض، وبموجب قوانين حقوق المرأة انتُزع الطفلان من أمهما وعُهد بهما إلى أبيهما الذى أرسلهما إلى ساحل العاج ليحرم خالتى من رؤيتهما، وعُهد قريبى مامادوا إلى عمه الممرض الضخم الذى كفله وأدخله مدرسة البيض هناك فى ساحل العاج.

كانت المدارس وقتها هنالك قليلة وكان التعليم مازال نافعًا لذا فإن مامادوا استطاع أن يصبح طبيبًا ذا شأن كبير، ورغم أن خالتى حصلت على الطلاق بمرور الوقت من الإدارة الاستعمارية، ورغم أن موريفين تولى حضانة الطفلين بفضل حقوق المرأة فقد استمر الصياد العنيف فى البحث عنها وعن زوجها الثانى، وكم مرة استيقظ ليلاً وأطلق العنان لبندقيته مهددًا أنه سيقتلهما معا كضبيين بمجرد أن يراهما. لهذا كله

ذهبت خالتى وزوجها بعيدًا عن المستعمرات الفرنكفونية كغينيا وساحل العاج لتختبئ فى الغابة فى ليبيريا مستعمرة الأمريكان السود حيث لا وجود للقوانين الفرنسية المتعلقة بحقوق المرأة وحيث يتحدث السكان إنجليزية تسمى البندجان، فافورو! عندما جاءت خالتى لحضور جنازة أمى لم يكن الصياد العنيف وقتها موجودًا بالقرية، فقد كان من عاداته أن يترك القرية لمدة شهر ويذهب بعيدًا إلى بلدان أخرى حيث يستمر فى مزاولة العنف وقنص العديد من الحيوانات لبيع لحمها، تلك كانت تجارته ومهنته، ولأنه كان غائبًا جاءت خالتى إلى القرية لتآزرنا أنا وجدتى وبالاً وتشاطرنا محنة فقدان أمى.

بعد ثلاثة أسابيع من وصول خالتى إلى القرية أقيم مجلس كبير للعائلة فى كوخ جدى (مجلس يعنى جمع اعتيادى تناقش من خلاله القضايا المعلقة وتتخذ القرارات)، تكون المجلس من جدى وجدتى وخالتى وخالاتى وأخوالى الآخرين فقرروا جميعًا - بمقتضى قانون العائلة لدى الملانكيين - أن تصبح خالتى ماهان بعد موت أمى أما ثانية لى ويطلق على الأم الثانية أيضا ولية أمر، هكذا أصبحت خالتى ولية أمرى أى

مسئولة عن أكلى ولباسى ولها وحدها الحق فى ضربى وشتمى وتأديبى كما يجب.

قرر المجلس أن أذهب مع خالتى ولية أمرى إلى ليبيريا لاسيما وأننى فى القرية لا أذهب إلى المدرسة الفرنسية ولا القرآنية، كنت أتسكع فى الشارع كطفل شوارع أو أرافق بالاً إلى الصيد فى الأدغال، هذا الأخير الذى كان - بدلاً من أن يعلمنى كلام الله - يدربنى على الصيد والشعوذة والسحر، وذاك ما لم تكن جدتى ترضاه أبدًا، لذلك أرادتنى أن أفارق بالاً لكى لا أصبح بامبارا أى عرافًا كافرًا ولكى أبقى ملانكيا حقيقيا يؤدى صلواته الخمس على أحسن وجه.

ولتشجيعى وإقناعى على ترك زوج أمى بالاً أوهمتنى جدتى أن هناك فى ليبيريا - عند خالتى ماهان - سآكل الأرز واللحم وصلصة البزرة، والله!

إلا أن مجلس الشيوخ أخبر جدى وجدتى أنه لا يمكننى ترك القرية ما دمت بلاكورو. أى ولد كبير غير مختن بعد وكذلك لأن الأرض هناك فى ليبيريا غابة والرجال بوشمان

(بوشمان يعنى رجال الغابة حسب البيان، وهو لقب أطلقه رجال المفازة على رجال الغابة احتقارًا لهم)، البوشمان إذن هم أناس الغابة وليسوا ملانكيين ولا يعرفون الختان ولا المسارة ولهذا كان على الانضمام لأول فوج للفصل الجديد الحالى من البلاكورو لأجل الختان والمسارة.

فى إحدى الليالى جاء من يوقظنى ... فمشينا كثيرًا وعند طلوع الشمس كنا فى سهل بطرف الغابة فى باحة الختان، لا يحتاج المرء أن يكون فى باحة الختان ليعرف أن هناك شيئًا ما سيقطع منه، شرع كل بلاكورو فى حفر حفرة صغيرة ثم جلس أمامها، عندئذ خرج المختن يحمل كمية من الليمون الأخضر بعدد الأولاد المهيئين للختان، كان عجوزًا من طراز الحدادين وكذلك ساحرًا ومشعوذًا كبيرًا، كلما مر أمام أحد الأولاد قطع ليمونة خضراء ومعها قلفة البلاكورو، وحينما وصل إلى أغمض عينى، وفى لمحة بصر، سقطت قلفتى فى الحفرة الصغيرة أمامى، كان ذلك مؤلمًا للغاية .. لكن هذا كان قانون الملانكيين.

انتقلنا بعد ذلك إلى معسكر فى غاب كثيف عند مدخل القرية، وعشنا مجتمعين لمدة شهرين تعلمنا خلالهما أشياء وأشياء عديدة والتزمنا بعدم البوح بها، هذا ما يسمى عندنا بالمسارَّة، لا يجوز أبدًا الحديث عما تعلمناه فى فترة المسارة لشخص غير مهيئ بعد، ففى اليوم الذى تركنا فيه الغاب المقدس أكلنا جيدًا وركضنا كثيرًا ... لم نعد بلاكورو، بل أصبحنا مهيئين ورجالاً حقيقيين، وسار بوسعى ترك القرية دون مضايقة من أحد ودون بلبلة من أحد.

كنت أنا براهيما - ولد لا خوف عليه ولا لوم - وخالتى ماهان - أمى الثانية وولية أمرى - مستعدان للرحيل إلى ليبيريا عندما سمعنا فجأة - مساء يوم وقت صلاة المغرب - صرخة مدوية متبوعة بطلقات نارية آتية من جهة زوج خالتى القديم ذلك الصياد العنيف، ذعر الأهالى وصرخوا قائلين إن الصياد عاد ومن فرط ذعر خالتى اختفت فى الحال ليلاً فى الأدغال بدونى وبعد أسبوعين من مغادرة خالتى وإثر وصولها إلى زوجها هناك، بدأت جدتى وشيوخ القرية فى البحث عمن يرافقنى عند خالتى إلى ليبيريا.

يعرف الجميع عندنا فى القرية أسماء أولئك الذين ينحدرون من أصل قروى والذين صار لهم شأن كبير وأصبحوا أغنياء فى أبدجان ودكار وباماكوا وكونكارى وباريس ونيويورك وروما وحتى فى بلدان نائية وباردة على الجانب الآخر من المحيط فى أمريكا أو هناك فى فرنسا، وأولوا الشأن هؤلاء يسمون أيضًا حجاجًا لأنهم يذهبون كل عام إلى مكة ليذبحوا هناك فى الصحراء كباش عيد الأضحى أو العيد الكبير.

ولذا سمع الجميع منذ وقت طويل عن ياكوبا وهو واحد من ذوى الشأن ينحدر من القرية، وكان يقيم فى أبدجان. يطلقون عليه الحاج الكبير بقميصه الفضفاض المنشى، فى صبيحة أحد الأيام علم الجميع بعودة ياكوبا ليلاً لكنهم كانوا مطالبين بالصمت ولا يجوز لأحد التحدث عن ذلك، ورغم أن الجميع يعلم أن الذى عاد اسمه ياكوبا فإنهم كانوا مطالبين بنسيان اسمه هذا وتسميته تييكورا، كان دائمًا يُرى وهو يتوجه إلى المسجد خمس مرات فى اليوم، لكن لا يجوز لأحد أن يقول لآخر إنه رآه، هكذا كان ياكوبا الملقب (بالفرنسية عندما يحمل

شخص ما اسما ويسمى باسم آخر يقال عنه ملقب) بتييكورا فى القرية منذ شهرين قمريين ولا أحد ينادى عليه باسمه ولا أحد يعلم لم عاد شخص ذو شأن مثله.

ولما لم نكن قد عثرنا بعد عمن يرافقنى من أهل القرية إلى ليبيريا عند خالتى، فقد اقترح الشخص المهم - الحاج ياكوبا الملقب بتييكورا صباح يوم بعد الصلاة أن يقوم هو بذلك، ولأنه كان أيضًا مضاعف الأوراق النقدية ومضاعف الأوراق النقدية هو مرابط يعنى قبضة نقود، فيضاعف عددها أوراقًا CFA [٦] أو دولارات أمريكية، كان تييكورا إذن مضاعف الأوراق النقدية ومرابطًا رائيا بإمكانه صنع التعاويذ، وكان على أهبة الرحيل إلى ليبيريا فى أقرب وقت لأن الجميع كان يعتقد أن المرابطين ومضاعفى الأوراق النقدية والشوافيين والمداوين وصانعى التعاويذ يربحون أموالاً طائلة بليبيريا، إذ لم يبق هناك سوى زعماء الحرب وأناس يروعهم الموت، أما زعيم الحرب فهو شخص مهم ذو بال، قتل أناسًا كثيرين ويملك

---

(٦) CFA : هى العملة المتداولة فى أفريقيا الفرانكفونية

بلدًا بقراه وسكانه ويحكمهم ويجوز له قتلهم دون أدنى محاكمة، وكان تييكورا واثقًا من العمل هناك مع زعماء الحرب وأناسهم دون أدنى مضايقة من طرف سلطات الأمن مثلما يحدث فى أبدجان حيث كان منزعجًا دومًا فى كل الأعمال والحرف التى مارسها بأبدجان ويوبوكون وبورتييوى ومدن أخرى بساحل العاج مثل دالوا وبسام وبواكى وحتى بونديالى فى بلاد السنوفو هناك فى الشمال.

كان يوكوبا الملقب بتييكورا شخصًا مهمًا وحاجًا حقيقيا، عندما خُتن ترك القرية لبيع الكولا فى العديد من مدن الغابة فى بلاد البوشمان بساحل العاج مثل أكلوفيل ودالو وكانيوا وأنيما حيث حقق ثروة فيها وصدر منها العديد من سلل الكولا على متن باخرة نحو دكار، بدهن اللحى أى بقشمة رجال الجمارك (دهن اللحى يعنى رشوة)، على هذا النحو تُشحن قفف من الكولا فى ميناء أبدجان لتصل وتخرج إلى ميناء دكار دون دفع أدنى رسم أو ضريبة جمركية، فى السنغال أو ساحل العاج إن لم يدهن مصدر الكولا جيدًا لحى رجال الجمارك فإنه يضطر إلى دفع العديد من الرسوم والضرائب الجمركية للحكومة بحيث

يتعذر علية ربح أى شئ البتة، أما قفف ياكوبا التى لا تدفع فلسًا واحدًا من الرسوم فإنها تباع بثمن باهظ وتدر عليه أرباحًا طائلة من أسواق السنغال، بتلك الأرباح صار ياكوبا الملقب بتييكورا غنيا، أصبح غنيا وأخذ الطائرة وذهب إلى مكة ليصبح حاجًا، أصبح حاجًا وعاد إلى أبدجان ليتزوج عدة نساء، وليأوى نساء كثيرات العدد اشترى عدة ضيعات فى أنيما وأماكن أخرى نائية ومليئة بمجرمى أبدجان مثل أيوبو، وربما أن هناك غرفًا كثيرة بقيت شاغرة فى ضيعاته حتى إن والديه وأصدقاءه وأصدقاء والديه ووالدى زوجاته أتوا جميعًا من أماكن مختلفة ليسكنوا الغرف ويأكلوا أطيب الطعام وليقضوا اليوم بأكمله فى نقاشات مملة لا تنتهى.

على امتداد النهار وخارج أوقات الصلاة كان ياكوبا الملقب بتييكورا يقضى وقته مجادلاً ومشاركًا فى النقاشات تحت الأباتام بقميصه الفضفاض المنشى محاجًا بأمثال وسور تليق بحاج كبير ذى عمامة مثله (الأباتام بناء خفيف بسطح من القصب أو من السعف يستعمل كوقاء من الشمس).

في أحد الشهور كان مشغولاً جدا بالنقاش والمحاجة ومنزعجًا من مجادليه إلى حد نسيان دهن لحى رجال الجمارك للإفراج عن سفينة محملة بسلال الكولا شُحنت على أتم وجه ووصلت بالفعل إلى دكار.

لكن وصولها صادف إضراب العمال وعمال الجمارك الذين تركوا الكولا تفسد في الأحواض في حين كان ياكوبا الملقب بتييكورا لازال يناقش تحت الأباتام، وعلى هذا النحو فسدت كل حمولة السفينة من سلال الكولا وضاعت ولم تعد صالحة إلا للرمي في النهر، هكذا أضاع ياكوبا كل أمواله وأصبح مفلسًا، مفلسًا تمامًا (هكذا يقال بالفرنسية عمن فقد كل ثروته). وعندما يصبح المرء مفلسًا يطالبه الصيرفيون بالمبالغ التي أقرضوه إياها بسخاء، وإن لم يدفع حالاً يقدمونه للمحكمة، وإن لم يستطع دهن لحى القضاة وكتاب الضبط ومحامي محكمة أبدجان يصدر ضده حكمًا بأقصى العقوبة، وعندما يصدر ضده حكم إن لم يستطع دهن لحى الحجاب ورجال البوليس يتم الحجز على أملاكه وضيعته، وهذا ما وقع لياكوبا

الملقب بتييكورا، ولكن تجنبًا لكل ذلك ولكى لا تحجز على حلى زوجاته هرب إلى غانا.

غانا بلد يقع بالقرب من ساحل العاج حيث تمارس لعبة كرة القدم بشكل جيد ويتحدث الناس البندجان والإنجليزية.

وفى غانا توجد سلع بوفرة وبثمن أرخص بكثير من أبدجان وبدهن لحى رجال جمارك الحدود استطاع ياكوبا الملقب بتييكورا إيصال سلعة إلى ساحل العاج دون دفع الرسوم وبيعها بثمن غال وحقق أرباحًا باهظة اغتنى من جرائها واشترى ضيعة كبيرة فى يوبوكون وبورت بويى علاوة على نساء وعمامات وقمصان فضفاضة منشاة وحافلات سريعة لنقل المسافرين المستعجلين، نعم الكثير من الحافلات السريعة.

ولما كان سائق إحدى الحافلات يختلس العائد كله، صعد ياكوبا الملقب بتييكورا الحافلة لتحصيل ماله بنفسه، لكن السائق لم يرق له ذلك فسبب استفزازه فى حادثة دامية، جرح على إثرها ياكوبا فرقد مدة فى المستشفى لكن الله شفاه لأنه كان يؤدى يوميا صلواته الخمس ويذبح كثيرًا من الأضحيات التى

تقبل (لدى الأفارقة الأهليين السود عندما تقبل أضحيات شخص يكون محظوظا).

وخرج ياكوبا من هذا الحادث ومن المستشفى بنتيجتين: أولهما: صار أعرج فسمى باللص الأعرج، وثانيهما: آمن بشدة أن الله برحمته لا يترك أبدًا فمًا خلقها خاوية فافورو!

عندما كان ياكوبا الملقب بتييكورا فى المستشفى جاء أحد أصدقائه لعيادته وكان اسمه سيكو دومبويا، كان رفيق مجموعة عمره ومن فوج رفقاء المسارة نفسه، باختصار كان صديقًا جد قديم، (فى قرى السود الأهليين الأفارقة، يرتب الأطفال داخل مجموعات حسب أعمارهم، يعملون كل شيء داخل المجموعة، يلعبون، يهيأون ويتسارون داخل المجموعة)، جاء سيكو لزيارة ياكوبا فى سيارة مرسيدس بنز. فى ساحل العاج يتنقل الأغنياء وحدهم بالمرسيدس بنز، اطلع سيكو ياكوبا على المهنة التى يمارسها ويربح بواسطتها أموالاً طائلة بدون خطر ولا مجازفة ولا مجهود يذكر وهى مهنة مرابط.

عندما خرج ياكوبا الملقب بتييكورا من المستشفى، باع ما تبقى من الحافلات السريعة واستقر بدوره كمرابط وناسك مضاعف الأوراق النقدية وصانع تعاويذ ومؤلف ابتهالات وصلوات للنجاح وكاشف أضحيات لإبعاد طوالع الشؤم، وقد وفق إلى أبعد الحدود فى عمله ذلك لأن العديد من الوزراء والمستشارين والموظفين السامين والأغنياء الجدد وأناس مهمين آخرين صاروا يترددون عليه، وعندما علم مجرمون وقتلة آخرون من أبدجان بأمره زاروه محملين بحقائب مسروقة لكى يضاعف لهم عائدات السرقات.

وفى أبدجان إذا عثر رجال الشرطة على لص مسلح فإنهم لا يتحدثون معه بل يقتلونه - بدون إجراء آخر - مثل طريدة أو أرنب.

ذات يوم أطلق رجال الشرطة الرصاص على ثلاثة فمات منهم اثنان على الفور بينما اعترف الثالث - قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة - أن الأموال المسروقة التى كانت بحوزتهم توجد عند مضاعف الأوراق النقدية ياكوبا، وهكذا هاجمت الشرطة ياكوبا لكن بفضل أضحياته المستجابة ولحسن حظه لم

يكن ياكوبا موجودًا عندما جاءت الشرطة للقبض عليه، لكنها وجدت عدة حقائب ملأى بالأوراق النقدية المسروقة، لم يعد ياكوبا إلى بيته بل هرب إلى أبدجان ليلاً واتخذ لقب بتييكورا ثم اختبأ فى القرية حيث يضطر كل من رآه أن يدعى عدم رؤيته، ومع ذلك لا يزال ياكوبا على اعتقاد أن الله برحمته الواسعة لا يترك فما خلقه خاويا.

ذاك هو الرجل الذى تتطوع لمرافقتى عند خالتى بليبيريا والله هذا صحيح. ذات صباح جاء ياكوبا ليرانى، فأخذنى جانبا وأطلعنى على أسرار عديدة ومن بينها أن ليبيريا بلد هائل، وأن مهنة مضاعف الأوراق النقدية تساوى ذهبًا هناك، ويسمى من يزاولها كريكريمان، والكريكريمان شخص له باع هناك، وليغرنى بالذهاب أخبرنى بأشياء كثيرة عن ليبيريا، فافورو !

أشياء رائعة، رائعة بالفعل هناك كانت الحرب القبلية. هناك يصبح أطفال الشوارع مثلى أطفالاً جنودًا، ويسمون بالبندجان الأمريكى حسب معجمى هارابس سمول سولدجر Small Soldiers والسمول سولدجر يملكون كل شيء، لكل واحد منهم كلاشينكوف، والكلاشينكوف بندقية لا تتوقف عن

الطلق ومخترعها روسى الأصل ويحصل الأطفال الجنود على كل شيء بالكلاشينكوف؛ يحصلون على المال وحتى على الدولارات الأمريكية ويحصلون أيضًا على أحذية وشارات وراديوات وقبعات وحتى سيارات X4؛. صرخت: والله والله أريد الذهاب إلى ليبيريا بسرعة بسرعة أريد أن أصبح طفلا أو جنديا طفلا، الأمر سيان (كيف كيف). لم تعد فى فمى إلا كلمة سمول سولدجر. حتى فى سريرى أو عندما أتبول وأتبرز، أصرخ وحيدًا سمول سولدجر، طفل جندى، أو جندى طفل!

ذات صباح جاء ياكوبا إلى المنزل مبكرًا وكان الظلام سائدًا والفجر لم يطلع بعد، أيقظتنى جدتى وأعطتنى أرزًا بصلصة والفول السودانى فأكلت كثيرًا، بعدئذ رافقتنا جدتى عند مدخل القرية حيث أماكن تجميع القمامة ووضعت فى يدى قطعة نقدية، ربما هى كل ما ادخرته إلى يومنا هذا، لازلت أحس بدفء القطعة فى جوف يدى، بكت طويلا قبل أن أعود إلى المنزل، تلك آخر مرة رأيتها فيها، ذاك ما أراده الله ولله الأمر فى كل شئون هذه الأرض.

طلب منى ياكوبا أن أمشى أمامه، وكان يعرج لذلك كان يعرف باللص الأعرج، قبل الرحيل قال لى إننا سنجد بالطريق دومًا شيئا يسد حاجتنا من الطعام لأن الله برحمته الواسعة لا يترك فمًا خلقه خاويا، توجهنا على الأقدام حاملين أمتعتنا على رأسنا إلى مدينة السوق حيث انتظرنا حافلات النقل فى اتجاه العواصم؛ غينيا وليبيريا وساحل العاج ومالى.

لم نمض قدمًا على الطريق (مضى قدمًا على الطريق يعنى حسب بيان الخصوصيات مشى) ليس حتى كيلو مترًا واحدًا عندما خرجت من الأعشاب على اليسار بومة أحدثت حفيفًا حادًا ثم اختفت فى الظلام، قفزت خوفًا وصرخت: أمى! "وتعلقت بساقى تييكورا، تلى تييكورا - الرجل الذى لا خوف عليه ولا لوم - سورة من السور الجبارة التى يحفظها عن ظهر قلب، ثم قال إن البومة التى تخرج من الأعشاب للسائح يسارًا فأل سوء للسفر (فأل أى إشارة يستقرأ بواسطتها المستقبل)، بعد ذلك جلس أرضًا وتلى من جديد سورًا قوية من القرآن وثلاث صلوات جبارة لساحر بدائى، وغرد طائر التوراكو يمينًا بطريقة تلقائية (التوراكو طائر ثامر كبير الحجم

حسب البيان)، عندئذ قام ياكوبا قائلا إن تغريد الطائر رد جيد وفأل حسن وذلك يعنى أننا نملك حماية روح أمى، فروح أمى كانت جد قوية لأنها كانت دائمة البكاء على هذه الأرض، هكذا إذن نقت روح أمى طريقنا من حفيف الطائر المشئوم (المشئوم يعنى الذى يجلب المصائب والموت)، ورغم أننى ملعون من أمى فإن روحها تحفظنى وترعانى، وفى صمت واصلنا تقدمنا فى الطريق ونحن نشعر بأنفسنا جد أقوياء ومطمئنين تمامًا (واصل التقدم فى الطريق يعنى حسب البيان: مشى بسرعة).

بعد ذلك بقليل بعد أقل من خمس كيلومترات من المضى قدمًا على الطريق ظهرت فجأة بومة أخرى يسارًا أحدثت حفيفًا حادًا فى الأعشاب ثم اختفت فى العتمة، ذعرت وصرخت مرتين: أمى، أمى!. تلى ياكوبا الملقب بتييكورا – الرجل الذى لا خوف عليه ولا لوم فى المرابطة والسفر والسحر – سورتين من سوره الجبارة التى يحفظها عن ظهر قلب ثم قال إن البومة التى تخرج مرتين يسارًا للسائح فأل شؤم سيئ جدا (فأل ما ينذر بالمستقبل)، جلس أرضًا وتلى ثلاث سور من القرآن وست صلوات جبارة لساحر بدائى، غرد حجل يمينًا بصورة

تلقائية، فنهض ياكوبا مبتسمًا وقال إن تغريد الحجل يعنى أن روح أمى مازالت تحفظنا لأنها روح طيبة وقوية جدا فصاحبتها أمضت حياتها باكية ومشت كثيرًا على إليتيها فى هذه الأرض، هكذا نقت روح أمى مرة أخرى طريقنا من حفيف الطائر المشئوم، أمى كانت طيبة جدا ولا تزال روحها ترعانى رغم أننى أسأت إليها كثيرًا.

واصلنا المضى قدمًا على الطريق دون قلق ولا مبالاة لأننا كنا فعلاً مسرورين وفخورين، لكننا لم نستمر كثيرًا فى المضى قدمًا على الطريق إذ بعد أقل من عشر كيلومترات ظهرت فجأة يسارًا بومة ثالثة أحدثت حفيفًا حادًا فى الأعشاب ثم اختفت فى الظلام، ذعرت ثم ذعرت إلى حد الصراخ ثلاث مرات: أمى! أمى! أمى! تلى تييكورا - الرجل الذى لا خوف عليه ولا لوم فى المرابطة والسحر - ثلاث سور من سوره الجبارة التى يحفظها عن ظهر قلب، ثم قال إن البومة التى تخرج ثلاث مرات يسارًا فأل شؤم فادح للسفر، جلس أرضًا وتلى تسع سور قوية من القرآن وتسع صلوات جبارة لساحر بدائى، غرد غرغر يمينًا بصورة تلقائية، فقام ياكوبا مبتسمًا

وقال إن تغريد الغرغر يعنى أن روح أمى لازالت تحفظنا لأنها روح طيبة وقوية جدا ولأن صاحبتها أمضت حياتها باكية ومشت كثيرًا على إليتيها فى هذه الأرض، هكذا نقت روح أمى مرة أخرى طريقنا من حفيف الطائر الثالث المشئوم.

دون تفكير واصلنا المضى قدمًا على الطريق من فرط فرحنا وارتياحنا، وعندما بدأ الصباح فى الطلوع كنا لازلنا نمشى، فجأة غردت كل طيور الأرض والأشجار والسماء معلنة عن فرحها وحبورها مما جعل الشمس تطفر فوق الأشجار فى مواجهتنا، نحن أيضًا كنا سعداء ننظر عن بعد إلى قمة قابوب[٧] القرية عندما فوجئنا بنسر على يسارنا، كان ضخمًا لأنه يمسك شيئًا بين مخالبه، ولما وصل فى علوه إلى مستوانا ألقى بما يمسك وسط الطريق وكان أرنبًا ميتًا، صرخ تييكورا عدة بسملات ضخمة وصلى طويلاً طويلاً بسور عديدة وأدعية كافر وعراف كثيرة، كان يبدو جد مهموم وقال إن أرنبًا ميتًا وسط الطريق فألا مشئومًا، على أعلى درجات الشؤم.

([7]) قابوب: شجرة كبيرة من فصيلة الخبازية

لدى وصولنا لم نذهب مباشرة إلى المحطة، بل قصدنا المدينة بنية التراجع عن السفر وعقد العزم على الرجوع إلى طوكوبالا إذ كان أكثر من فأل سوء يدعونا للتراجع، لكننا رأينا هناك جدة عجوز هالكة متكئة على عصا فأعطاها ياكوبا حبة كولا شفقة، فرحت كثيرًا فنصحتنا باستشارة رجل جاء مؤخرًا إلى القرية فأصبح بسرعة أشهر مرابط وسيط وساحر بالمنطقة كلها (وسيط يعنى شخصًا مشهورًا بالتواصل مع الجان)، لففنا ثلاث ضيعات وكوخين قبل أن يواجهنا محل المرابط مباشرة، انتظرنا فى البهو نظرًا لوجود أشخاص كثيرين قبلنا، وعندما جاء دورنا دخلنا الكوخ، وكم كانت دهشتنا كبيرة إذ لم يكن المرابط غير سيكو صديق عمر ياكوبا الذى زاره بالمرسيدس فى المستشفى الجامعى بيبوكون فى أبدجان.

تعانق ياكوبا وسيكو، وكان هذا الأخير قد اضطر إلى ترك أبدجان والتخلى عن سيارته المرسيدس وكل متاعه بسبب قضية مخزية تتعلق بمضاعفة الأوراق النقدية مثل ياكوبا (قضية مخزية تعنى مؤسفة، ومحزنة حسب لو بتى روبيرت).

بمجرد جلوسنا فى الكوخ أخرج سيكو - ببراعة المشعوذ العارف - من كم قميصه الفضفاض المنشى ديكًا أبيض فصرخ ياكوبا إعجابًا، أما أنا فأصبت بفزع شديد (الفزع يعنى الخوف المشوب بالرعب حسب لو بتى روبير)، نصحنا سيكو بتقديم أضحيات جامدة فذبحنا خروفين وديكين فى القرية، أحدهما الذى أخرجه سيكو من كمه، ومن حسن طالعنا أن استجيبت أضحياتنا فليس بالضرورة أن تقبل وإن قبلت فهذا من حسن طالعنا، وذلك ما طمأننا وهدأ من روعنا.

نصحنا سيكو أيضا ألا نسافر قبل يوم الجمعة، هذا اليوم الوحيد المحمود لمسافرين شاهدوا أرنبًا ميتًا على طريقهم (المحمود يعنى الموصى به) ذلك أن يوم الجمعة هو موعد مقدس بالنسبة للمسلمين، وللأموات وحتى العرافين، كنا متفائلين وأقوياء (متفائل يعنى واثق من المستقبل حسب لاروس)، متفائلين وأقوياء لأن الله برحمته الواسعة لا يترك فمًا خلقها دون إعالة (إعالة تعنى قوتًا).

كنا فى يونيو من سنة ١٩٩٣ ولن يفوتنى التذكير بأن فى زحمة النقاش مع الوسيط سيكو استطاع ياكوبا أن يقنعه

بالذهاب إلى ليبيريا أو سيراليون لأن الناس فى هذه المناطق يموتون كالذباب، وفى بلدان يموت فيها الناس كالذباب يربح المرابطون - القادرون على إخراج ديك من أكمامهم - أموالاً ودولارات لا تعد ولا تحصى، لم يمانع سيكو بل قبل اقتراح ياكوبا، وفى الواقع التقينا به عدة مرات فى غابات ليبيريا وسيراليون غير المضيافة (غير مضيافة يعنى قاحلة، موحشة).

هذا كل ما لدى لأحكيه اليوم، سأتوقف عند هذا الحد فقد تعبت، والله، فافورو!، نياماكودى!

(٢)

عندما نقول إن حربًا قبلية قامت فى بلد ما فذلك أىأن هناك عصابات ولصوص وقطاع طرق يتقاسمون البلد بينهم ويتقاسمون الثروات والأراضى والناس أجمعين، يتقاسمون كل شىء والعالم بأسره يتركهم يفعلون ذلك، يتركهم يقتلون الأطفال والنساء وليس هذا فقط - بل المضحك فى الأمر- أن كل واحد منهم يدافع بقوة اليأس عن ربحه محاولاً توسيع مجاله الحيوى (قوة اليأس تعنى، حسب لاروس القوة العضلية).

كان هناك أربعة قطاع طرق كبار فى ليبيريا: ضو وتايلور وجونسون والحاج كوروما علاوة على بضعة لصوص آخرين صغار مهملين يسعون جاهدين أن يصبحوا كبارًا، وهكذا صار البلد قسمة بين اللصوص، لذلك يقال إن حربًا قبلية

تدور فى ليبيريا، وإليها كنت ذاهبًا وفيها تعيش خالتى، والله! ذلك صحيح!

فى كل الحروب القبلية وبالتالى فى ليبيريا لا يتقاضى الجنود أجرًا، لكنهم يقتلون الأهالى ويحتفظون بما يستحق الاحتفاظ به من خيول وأطفال جنود بأثمان زهيدة ليقتاتون ويلبون حاجاتهم الضرورية، لذلك يباع كل شىء بأثمان زهيدة بدءا من الأحجار الكريمة والألماس ومرورًا بالتلفازات والسيارات من نوع ٤X٤ وصولا إلى المسدسات الكلاشينكوف أو الكلاش، كل شىء رخيص وبثمن زهيد.

عندما يكون كل شىء بثمن زهيد يتوافد التجار من كل حدب وصوب (توافد أىجاء بأعداد كبيرة حسب معجم لاروس)، هكذا يقصد كل التجار والتاجرات الراغبين الثراء السريع ليبيريا للشراء والتبادل التجارى، يأتون بقبضات من الأرز وقطع صغيرة من الصابون وقنينة بترول وبعض أوراق الدولار والفرنك CFA، وكل هذه الأشياء لا وجود لها على الإطلاق هناك، فيشترون أو يتبادلون سلعًا بأثمان زهيدة

ويعودون لبيعها بأثمان باهظة بغينيا أو ساحل العاج، وهذا ما يسمى تحقيق أرباح طائلة.

ولتحقيق أرباح طائلة يتجمهر التجار أو التاجرات حول كباكات المتوجهة إلى ليبيريا فى نزركورى (كباكات كلمة زنجية سوداء إفريقية أهلية، نجدها فى بيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء وتعنى حافلة أو سيارة).

وبعد ذلك عندما تندلع الحرب القبلية فى بلد ما يدخل التجار البلد المذكور فى موكب (يتكون الموكب من كباكات عديدة تدخل البلد تباعًا)، ويكون الموكب مسبوقًا ومتبوعًا بدراجات نارية يركبها رجال مسلحون تمام التسليح لحمايته، فعلاوة على اللصوص الأربعة الكبار هناك العديد من قطاع الطرق الصغار الذين يقطعون الطريق ويبتزون المواكب (ابتز أى طالب بالقوة ما ليس من حقه حسب معجمى 'لاروس).

ذهبنا إلى ليبيريا فى موكب ولكى لا نتعرض للابتزاز كانت هناك دراجة نارية تسبقنا، وهكذا انطلقنا، فافورو! فى الطريق ونحن ننعرج عند منعطف، ظهر فجأة "كيد" أى طفل

صغير، وكان "كيد" بمعنى الكلمـــة؛ رُجيـــلاً حقيقيا ("كيد" حسب معجم هارابس أىالصبى، الفتى الصغير)، كانت الدراجة النارية المسئولة عن حمايتنا تسير بسرعة جنونية ولم تتمكن من الوقوف فى الحال عند إشارة الزوجيل الذى حسبه سائقا الدراجة النارية قاطع طريق، فأطلق عليه أحدهما النار رأسًا، فإذا به يسقط جثة هامدة على الفور، والله، فافورو!

للحظة خيم صمت رهيب ينذر بالعاصفة، ثم دوى قصف رشاشات من الغابة المجاورة: طرالالا.. طرالالا.. طرالالا، من فرط الروائح النتنة التى ذاعت فى الغابة طارت كل العصافير ناشدة سماوات أكثر رحابة، أصابت طرالالات الرشاشات الدراجة النارية وراكبها أى سائقها والفتى الذى كان يلعب الفارو بالكلاشينكوف وراء الدراجة (كلمة فارو لا توجد فى لو بتى روبير، لكنها موجودة فى بيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء وتعنى اعتقد نفسه ماكرًا).

هكذا مات سائق الدراجة والفتى الذى كان يلعب الفارو وراء الدراجة، ماتا تماما ونهائيا، ومع ذلك تابعت الرشاشات

طرلالاتها دون توقف طرالالا.. دينك... طرالالا.. دينك... وسط الطريق ظهر الدمار جليا على الأرض: الدراجة تحترق والأجساد تلتهب.. والدم يفور.. فى كل مكان.. دم كثير.. دم لا يتعب من السيلان، بينما القصف لايزال مستمرًا وموسيقى طرالالا المشئومة لا تفتأ عن الدوى (مشئوم أىمذهل مرعب)، فافورو! دعونا نبدأ من البداية.

عادة ما تسير الأمور بشكل مختلف! توقفت الدراجة والحافلة تمامًا بالضبط عند إشارة الطفل الصبى دون تجاوزه ولو قيد أنملة، وسارت الأمور بشكل جيد بل جيد جدا.

كان الفتى الصغير أى الطفل الجندى بطول عصا الضابط ويتحدث مع رجيل الدراجة التى تتقدم الموكب بحميمية كما لو أنهما كانا يشربان البيرة معه كل مساء.

صفر الروجيل الصغير مرة أخرى ثم أخرى فخرجت سيارة من نوع 4X4 من الأدغال غابرة تحت أوراق الشجرة (غابر يعنى: مختفى)، سيارة مليئة بصبيان كثر وهم أطفال جنود أو سمول سولدجر، أطفال صغار القامة، بطول عصا

الضابط، أطفال جنود يلعبون الفارو بلاشينكوف يرتدونه على شكل حمالة، ويلبسون زى مظليين تصل إلى ركبهم لأنها فضفاضة وطويلة جدا، والمضحك فى الأمر أن بين الأطفال الجنود كانت هناك فتيات، نعم فتيات بالفعل يلعبن الفارو بالكلاش، كان عددهن قليلاً لكنهن كن فظات وقاسيات ويمكن أن يضعن نحلة حية فى عين مفتوحة (عند الزنوج الأفارقة السود، عندما يكون شخص قاسيًا جدا، يقال عنه إنه يمكن أن يضع نحلة حية فى عين مفتوحة)، شاهدنا أيضًا جنودًا آخرين يلبسون اللباس ذاته، ويحملون السلاح نفسه، ويخرجون من الأدغال على أقدامهم ويتعلقون بالحافلة ويحدثون الركاب كأنهم أصدقاء حميميون قضوا مع بعضهم فترة المسارة (فى القرية يعتبر قضاء فترة المسارة مع شخص ما عربونا على صداقة حميمية معه).

تصدرت سيارة 4X4 الموكب وقادته إلى المعسكر النائى العقيد بابا الطيب، ووزنت وقدرت قيمة الحمولة، فحسبت الرسوم الجمركية على أساس القيمة ثم شرع فى جدال حار واحتد النقاش لكن سرعان ما تم الاتفاق فسددت الديون مرة

بالأرز والمانيوك والفافينو وحتى بالدولار الأمريكى، بعد ذلك أقام العقيد بابا الطيب قداسًا مسكونيا باركه الجمع قبل أن يذهب كل واحد لحال سبيله (فى معجمى لاروس مسكونيا أىقداسًا يذكر فيه المسيح عيسى والنبى محمد وبوذا أيضًا).

من المفروض أن تمر الأشياء على هذا النحو لأن العقيد بابا الطيب هو ممثل وداعية NPFL (هى اختصار الاسم الإنجليزى National Patriotic Front of Liberia) وتعنى بالفرنسية السليمة الجبهة الوطنية القومية لليبيريا (Le Front National Partriotique du Libéria) وNPFL هى حركة اللص تايلور الذى يزرع الرعب فى المنطقة بأسرها، ولكن فى الواقع لم تمر الأشياء على النحو الطبيعى، لأن صاحبى الدراجة النارية المسئولون عن حمايتنا اعتقدا لحظة أن الأطفال الجنود قطاع طرق فأطلقا النار عليهم، ومن ثم اندلعت العاصفة، فبمجرد الطلقة الأولى لم نعد نسمع سوى طرالالات رشاشات يطلقها رجال مسلحون يعشقون إطلاق النار عشقًا، إذ لم يتوقفوا إلا عندما حل الدمار تمامًا واستوى تمامًا.

أما نحن فقد كنا وقتها فى الحافلة كالمجانين، نصرخ مستنجدين بكل أسماء الأرواح والجان حفظة الأرض والسماء، بدت الأرض وكأن دوى الرعد يملأ المكان، وكل ما حدث هذا بسبب قائد الموكب - لاعب الفارو بالكلاش - الذى أطلق النار على الطفل الجندى.

كان ياكوبا قد رأى كل ذلك عند انطلاق الرحلة، فقد شعر بسرعة أن قائد الدراجة لم يكن بحالة جيدة، بل كان هو السباق لإطلاق النار لاعتقاده أن الأطفال الجنود لصوص صغار وقطاع طرق بائسين وبتسرع أطلق النار، وها نحن نتكبد النتائج.

بعد توقف النار لمحنا طفلاً جنديا يخرج من الغابة، سمول سولدجر لا تزيد قامته عن عصا ضابط، يلبس زيا مظليا كبيرًا جدا عليه، كان الجندى الصغير فتاة تتقدم بخطى مترددة (هكذا عندما تكون الخطوة خائفة وغير واثقة)، تطلعت إلى حصيلة القصف وراحت تتفقد الجثث كما لو أنها تنتظر أن يقوم بعض المصابين رغم أن الجميع مات، بل وسال دمه أنهارًا.

توقفت فجأة وصفرت عاليًا مرة ثم أخرى... وإذا بعدد مهول من الأطفال الجنود باللباس نفسه يملئون المكان، يلعبون الفارو بالكلاش، فى البداية حاصرونا من كل الجهات ثم صرخوا فينا: "انزلوا من الحافلات وأيديكم فى الهواء"، رضخنا للأمر ونزلنا تباعًا وأيدينا مرفوعة إلى أعلى.

كان الأطفال الجنود فى حالة غضب شديد، محمرين غيظًا (لا، لا يجوز أن يقال عن الزنوج إنهم محمرين غيظًا، إن وجوههم لا تحمر ولكنهم يكفهروا). إذن اكفهر الأطفال الجنود وبكوا حنقًا، بكوا رفيقهم الذى مات.

نزلنا الواحد تلو الآخر وكان فى استقبالنا جندى مكلف بالحلى ينزع الأقراط والقلادات ويضعها فى كيس يمسكه جندى آخر، بينما أطفال آخرون يقومون بحل شعرنا ونزع ملابسنا وأحذيتنا، حتى اللباس الداخلى إذا كان لائقًا، وهكذا عملوا من ألبستنا أكوامًا حسب نوعيتها: كومة الأحذية وكومة القلنسوات وكومة السراويل وكومة الألبسة الداخلية.

بعدما يعرى المسافر تمامًا ويصبح يا ربنا كما خلقتنا، فإنه يحاول إخفاء عورته برعونة، واضعًا يديه على بنكلته إن كان رجلاً، أو على نيوسونيوسوها إن كانت امرأة (البنكالة bangala والنيوسونيوسو gnoussou-gnoussou هما أسماء الأعضاء المخجلة التناسلية للذكر والأنثى، حسب بيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء)، لكن الأطفال الجنود يمنعونهم من ذلك بقوة السلاح ويأمرونهم بترك المكان والاختفاء بعيدًا فى الغابة، فيجرى كل واحد منسحبًا ومتواريًا بين الأشجار.

لما جاء دور ياكوبا قام وصرخ عاليًا: "أنا عراف... أنا كريكريمان... أنا كريكريمان..."، لكن الأطفال الجنود هجموا عليه بقوة وأجبروه على التعرى ومع ذلك استمر فى الزعيق والصراخ: "أنا عراف... أنا كريكريمان..." ورغم عريه ومحاولته الفاشلة فى إخفاء بنكلته استمر فى الصراخ: عراف كريكريمان... وعندما ألقوا به على حدود الغابة لم يتوار، بل عاد وهو على حاله يصرخ: "عراف كريكريمان...". "ماكو!" أمره الأطفال مسددين الكلاش على مؤخرته العارية (ماكو كلمة

توجد فى بيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء وتعنى اسكت)، فلزم توا الماكو ووقف على حافة الطريق ويديه على أعضائه المخجلة.

عندما جاء دورى لم أتركهم يفعلون بى ما فعلوه بالآخرين فصرخت كطفل مدلل: "طفل جندى! ... أريد أن أصبح طفلاً جنديا ... أريد الذهاب عند خالتى فى نيانكبو"، لكنهم انقضوا على لأخلع ملابسى بينما كنت أتابع الصراخ "طفل جندى ... أنا سمول سولدجر، أنا طفل جندى"، ثم أمرونى بالتوجه إلى الغابة لكنى رفضت بشدة وإصرار وبقيت مسمرًا، وبنكلتى فى الهواء، غير عابئ باللياقة والتهذيب البتة (اللياقة أىاحترام العادات والأعراف حسب لو بتى روبير)، وتابعت الصراخ دون توقف إلى أن شعرت بكلاش على مؤخرتى صوبه أحد الأطفال الجنود، آمرًا إياى بشدة: "اخرس! اخرس!" فلزمت الماكو مرعوبا وشفتى ترتجفان مثل شرج نعزة تنتظر تيسًا. (شرج أى مؤخرة، إست)، من فرط رعبى شعرت بحاجة للتبول والتبرز ... ولكل شيء ... كل شيء ... والله! جاء دور امرأة وهى أم هبطت من الحافلة بطفل رضيع

مصاب برصاصة طائشة أحالته إلى أشلاء بين ذراعيها، رفضت هى الأخرى التعرى، لكن الأطفال الجنود شدوا بقوة على وزرتها إلى أن صارت يا ربنا كما خلقتنا، ومع ذلك لم تقبل الاختفاء فى الغابة وبقيت إلى جانبى أنا وياكوبا على حافة الطريق المنحدر تصرخ وطفلها الميت فى يديها: "طفلى ... صغيرى المسكين ... الله ... الله". إثر ذلك استعدتُ سمفونية الطفل المدلل تلك، "أريد الذهاب إلى نيانكبو ... أريد أن أصبح طفلاً جنديا" فافورو! والله! نياماكودى!

لما صار صراخنا حاميًا وصاخبًا جدا، اعتنى الأطفال الجنود بنا من جديد: "اغلقوا فمكم، الزموا الماكو ... ولا تتحركوا ..."، فتسمرنا نحن الثلاثة على الجانب المنحدر من الطريق مشلولى الحركة.

فجأة ظهرت سيارة 4x4 من الغابة يركبها عدد من الأطفال الجنود وبسرعة خاطفة أخذوا فى نهب محتوى الحافلات وكدسوا كل ما يصلح لهم منها فى تلك السيارة التى قطعت الطريق عدة مرات ذهابًا وإيابًا إلى القرية قبل أن تنتهى من نقل الحمولة، بعد ذلك جاء دور أكوام الأحذية والملابس

والقلنسوات التى احتاج نقلها عدة رحلات ذهابًا وإيابًا أيضًا، وفى المرة الأخيرة عادت السيارة وعلى متنها العقيد بابا الطيب، والله!

شاهدنا بابا الطيب بلحمه وعظمه متوشحًا بشارة العقيد، فتلك قوانين الحرب القبلية، كان يرتدى جبة بيضاء مشدودة فى الوسط بحزام مستطيل مثبت بحمالات من الجلد الأسود تتقاطع عند الظهر والصدر وتحمل تاج أسقف كاردينالى متكئًا على عكازة مسكونية ينتهى طرفها بصليب ويمسك إنجيلاً فى يده اليسرى فيما يظهر الكلاشينكوف جليا فوق الجبة البيضاء ليتوج اللوحة ويكمل الصورة، الكلاشينكوف الذى لا يفارقه ليلاً ولا نهارًا أينما كان، فتلك قوانين الحرب القبلية.

نزل العقيد بابا الطيب من سيارة 4x4 وهو يبكى تمامًا مثل طفل، اقترب من جثمان الطفل الجندى الصغير "كيد" ودعا له وابتهل ثم اتجه نحونا بهندامه المثير، عندئذ بدأت أصرخ ملء فمى: "أريد أن أكون طفلاً جنديا ... سمول سولدجر، أريد خالتى، خالتى بنيانكبو"، فتأهب طفل جندى لإخراسى بالقوة لكن العقيد بابا الطيب تصدى له رأسًا ودنا منى مطبطبًا على

كتفى مثل أب حقيقى، وذلك ما أفرحنى وملأنى فخرًا واعتزازًا حتى حسبت نفسى بطل المصارعة السنغالية فتوقفت عن الصراخ والنواح، أومأ العقيد بابا الطيب بجلالة قدره إيماءة تعنى أنه يجب قبولى، على التو أخذت وأعطيت وزرة عقدتها على مؤخرتى العارية، اقترب العقيد من يابوكا الذى شرع فى مواله: "أنا كريكريمان، أنا عراف! ثم أومأ من جديد، فوجئ بالوزرة لياكوبا فغطى بها فورًا بنكلته التى تقلصت كثيرًا، ثم اقترب من الأم وطفلها، نظر إليها وأمعن النظر فرغم مظهرها المبهدل ولباسها الداخلى الذى لا يكاد يخفى نيوسونيوسوها كان بها جمال يصرخ إغراء وإثارة، هم العقيد بالعودة لكنه انتبه لذلك الإغراء المثير الذى ينبعث منها فعاد ليلامس الطفل الميت وليأمر بدفن جثمانه الصغير.

جاء الأطفال الجنود بحمالة بدائية ورفعوا فوقها جثمانى الصبى والطفل الجندى الصغير كيد (يقال حمالة بدائية عندما تصنع بسرعة وكيفما اتفق)، ثم صعد العقيد بابا الطيب السيارة وإلى جانبه أربعة أطفال جنود مسلحين، فانطلقوا متبوعين

بالآخرين الذين واصلوا المضى قدمًا على الطريق (سبق وقلتها لكم أى ساروا للأمام).

تبعناهم نحن أيضًا، ياكوبا وأم الصبى وعبدكم هذا أنا – طفل الشارع بلحمه وعظمه – أخذت السيارة الطريق صاعدة الممر الساحلى فى اتجاه القرية ببطء وصمت لأنها كانت تحمل الموتى، هى ذى العادة فى الحياة اليومية عندما يكون هناك أموات على متن سيارة تسير ببطء وصمت، من ناحيتنا نحن كنا متفائلين لأن الله برحمته الواسعة لا يترك أبدًا فمًا خلقه خاوية. فافورو!

فجأة أعطى العقيد بابا الطيب أمرًا بوقف السيارة ونزل متبوعًا بالآخرين، ثم صدح بموال قوى وشجى ردده صدى الغابة الصاخب، موال لا يغنى لأرواح الموتى بالجيو ومن لغة الزنوج الأفارقة السود الأصليين بتلك القرية، ويطلق عليهم الملانكيون اسم البوشمان أى الرجال المتوحشين، لأنهم لا يتحدثون بالملانكى مثلنا وليسوا مسلمين مثلنا، وهذا ما يفضح

خبث وعنصرية الملانكيين الذين يظهرون لطفاء محبوبين تحت أقمصتهم الفضفاضة المنشاة.

ردد الأطفال الجنود المسلحون الموال الجد شجى، شجى لدرجة جعلتنى أبكى بكاء حارًا كأننى أرى كارثة لأول مرة، كأننى لا أومن بالله! منظر يستحق فعلاً المشاهدة! فافورو!

خرج كل الأهالى بفضول من أكواخهم لرؤية ذلك وساروا وراء السيارة التى تحمل الجثتين، ليس لأنهم اعتادوا فعل ذلك فحسب، بل لأنهم أيضًا لؤماء مقلدون، وبدا المشهد وكأنه مسيرة حقيقية.

كان الطفل المتوفى يسمى كيد، الكابتن كيد، وكان العقيد بابا يردد بين الحين والآخر "كابتن كيد" وكان الموكب كله يهتف وراءه بصوت واحد: كيد ... كيد ... كيد! كان شيئًا يستحق السمع، كما لو كانت فرقة من المعتوهين.

أخيرًا بلغنا المعسكر النائى، وككل معسكرات ليبيريا والحرب القبلية كانت حدوده مرسومة بالجماجم البشرية المرصوصة على أوتاد، بمجرد وصولنا صوب العقيد بابا

الطيب الكلاشينكوف فى الهواء وأطلق النار فتبعه كل الأطفال الجنود، كانت فانتازيا حقيقية، منظر يستحق فعلاً المشاهدة! نياماكودى!

وضع جثمان كيد بقية ساعات اليوم تحت الأباتم، ومن حين لآخر يأتى حشد من أناس ينحنون أمامه معبرين عن حزنهم كما لو كان لا يموت هنا بليبيريا العديد من الأبرياء والأطفال (الأباتم كلمة توجد فى بيان الخصوصيات، وقد سبق وشرحتها).

فى المساء بدأت مراسم الجنازة فى الساعة التاسعة بعد صلاة المسلمين والكاثوليك، لم يكن أحد يعرف تحديدًا ديانة "كيد" لأنه مجهول النسب، ولأن الأمر فى النهاية سيان، سواء كان مسلمًا أو كاثوليكيا فذلك سيان، خلال السهرة تجمع كل أهالى القرية وجلسوا على كراسٍ محيطين بجثمانى "كيد" والرضيع، فيما سطعت أنوار سحرية من عدة مصابيح مضاءة (سحرية كلمة ثخينة من لاروس وتعنى فاتنة وخلابة).

شرعت امرأتان فى إنشاد موال تم ترديده جماعيا، ومن حين لآخر ينهض أحد المعزين محركًا ذنب الفيل الذى ترتديه النساء لكى لا تأخذه سنة ولا يلتهمه الناموس ثم يبدأ الرقص بابتذال لا بل بجنون (ابتذال تعنى حسب لو بتى روبير غير لائقة وجريئة).

فجأة دوت صرخة آتية من هوة سحيقة معلنة عن دخول العقيد بابا الطيب كبير الاحتفالية فى حفل الرقص، وقف الجميع نزعوا طقياتهم تحية لكبيرهم سيد المكان الذى بدا غريبًا للغاية، والله ذلك صحيح.

كان رأسه ملفوفًا بحزام ملون وعارى الصدر تمامًا وبارز العضلات التى تشبه عضلات ثور، ففرحتُ فرحًا شديدًا برؤية رجل شبعان وقوى فى ليبيريا بلد المجاعات، وتدلت من عنقه وكتفيه وذراعيه شرائط الأحجبة وشريط الكلاشينكوف، فالحرب القبلية هى التى تقتضى بذلك، والناس تموت كأنها لا تساوى ريح جدة عجوز (فى القرية، عندما لا يساوى الأمر شيئًا، يقال إنه لا يساوى ريح جدة عجوز هالكة، وها أنا ذا أشرحه مرة أخرى). طاف العقيد بابا الطيب ثلاث مرات حول

الجثمانين وعاد إلى مكانه فجلس الجميع منصتين إليه ببلاهة مضاعفة، وبدأ بإيضاح الظروف التى مات فيها الكابتن كيد قائلاً: "لقد أطلق رجلاً الدراجة النارية بدون إنذار، مدفوعًا بروح الشر وقوة الشيطان، لذلك طارت روحه ويحق بكاؤه طويلاً ... لم يكن ممكنًا اقتلاع الشيطان من قلوب كل مسافرى الموكب ولا من روح المسئولين عن موت الكابتن "كيد"، لم يكن ذلك ممكنًا ولذا قتلنا بعضًا منهم؛ لأن الله يأمرنا بقتل أقل عدد ممكن، لذلك تركنا الأغلبية أحرارًا ربنا كما خلقتنا، تركناهم عراة كما جاءوا إلى هذه الدنيا، وذلك ما أمرنا به الله: عندما يلحق بك قوم أذى بليغًا اقتل منهم أقل ما استطعت، واترك الباقى يا ربنا كما خلقتنا، وقد جُلبت كل الأمتعة التى كانت مع المسافرين فى الحافلة إلى هنا ومن المفروض أن تعطى لعائلة الكابتن "كيد"، لكن بما أنه مجهول النسب فإنها ستوزع بالقسطاس على جميع رفقائه الأطفال الجنود ليبيعونها مقابل دولارات تؤمن لهم شراء الكثير من الحشيش، والله يجازى من ارتكب شر قتل الكابتن "كيد".

بعد ذلك أعلن العقيد بابا الطيب عن الخطة المزمع تطبيقها للبحث عن الساحر آكل الأرواح الذى التهم روح الطفل الجندى الكابتن كيد دجوكو، دجوكو والتعرف عليه أينما كان (دجوكو، دجوكو أىحسب بيان الخصوصيات، بكل حال من الأحوال)، سيرقص الليل كله والنهار أيضا إذا اقتضى الأمر، لن يتوقف قبل أن يعثر عليه وقبل أن يعترف الآثم بكل شىء (اعترف حسب لاروس، شهد على نفسه بنفسه).

تخلص العقيد بابا الطيب من كلاشه ليبدو أكثر حزمًا واستعدادًا، لكنه تركه غير بعيد، تركه بمتناول يده لأنها الحرب القبلية والناس تموت كالذباب فى ليبيريا.

عادت الطبول إلى الدق بجرأة وجنون والموكب إلى موشحات أشجى من شدو البلابل، ومن حين لآخر يتناول العقيد بابا الطيب كأسًا من نبيذ السعف الذى يتعاطاه رغم خطورة ذلك عليه، وقد شرب طيلة الليل حتى سكر تمامًا وصار دنك بآخر الليل (دنك أى فاقد الوعى تمامًا).

وحوالى الساعة الرابعة صباحًا اتجه وهو سكران تمامًا بخطوات مترددة نحو حلقة النساء وانقض على امرأة نصف نائمة، كانت هى بعينها التى أكلت روح الطفل الجندى الطيب الكابتن كيد. والله هى وليس غيرها، هى كبيرة القصف (القصف أى السكر، العربدة حسب معجم لاروس).

صرخت المسكينة مثل عصفور سقط فى فخ:

– لست أنا ... لست أنا.

– أجابها العقيد بابا الطيب: بل أنت، فقد جاءتنى روح كيد ليلاً وفضحتك.

– والله، لست أنا، فقد كنت أحب كيد كثيرًا وجاء عندى وأكل عدة مرات.

– لذلك أكلته، رأيتك بعينى وقد تحولت إلى بومة وانقضضت بمخالبك على روحه وأنا نائم على نصف نومة وعينى نصف مفتوحة كتمساح التيمان، رأيتك توجهت إلى شجرة القابوب متبوعة بآخرين تحولوا أيضًا إلى بوم وهناك تم

الهجوم، أكلت أولاً الدماغ وتركت ما تبقى لمساعديك. صرخ العقيد بابا الطيب: أنت ... إنه أنت.

- لا، لست أنا.

جاءت الروح الميتة أمس وشهدت عليك، إن لم تعترفى ستمرين باختبار الحديد المتأجج ... سأمرر الحديد على لسانك، نعم سأفعل ذلك. (المتأجج أى المضىء بفعل حرارة مفرطة).

وأمام تراكم الأدلة لزمت العجوز الماكو الصمت وهى فى حالة ذهول وانتهت بالاعتراف بكل شىء (اعترف المتهم، أىصرح علانية أن التهم الموجهة ضده صحيحة، ويوجد ذلك فى معجمى لاروس).

سيقت العجوز المدعوة جان هى وثلاثة من مساعداتها إلى السجن تحت حراسة مكثفة، هناك حيث سيعمل العقيد بابا الطيب على إزالة السحر والشعوذة والقوة الشيطانية التى تسكنهن. والله فافورو!

ثم دفن الكابتن كيد فى اليوم التالى نحو الساعة الرابعة زوالاً تحت جو ماطر ودموع هاطلة حيث كانت الجموع تتقطع

ألما وتصرخ: كيد ... كيد ... كيد كأنها ترى كارثة لأول مرة، ثم اصطف الأطفال الجنود وأطلقوا النار بالكلاش مرة واحدة فهم لا يعرفون شيئًا غير ذلك، فافورو)!

كان العقيد بابا الطيب ممثل الجبهة الوطنية القومية لليبيريا NPFL بقرية زُرزُر وهى أكثر المواقع تقدمًا بشمال ليبيريا، ومنها كانت تراقب لحساب الجبهة الوطنية القومية لليبيريا التجارة غير المشروعة الضخمة الآتية من غينيا وتُحصل الرسوم الجمركية وتراقب مداخل ليبيريا ومخارجها.

والله كان العقيد بابا الطيب شخصًا مهمًا فى الجبهة الوطنية القومية وشخصًا مهمًا فى جماعة تايلور.

فمن هو اللص قاطع الطريق تايلور هذا إذن؟

أول مرة عُرف فيها اسم تايلور عندما نجح فى عملية نهب رهيبة جعلت الخزينة العامة خاوية، وبعد إفراغ الخزينة استطاع أن يوهم الحكومة الليبيرية بواسطة كتابات مزورة أنها تمتلك كمية هائلة من الدولارات فى الولايات المتحدة، وعندما فاحت الرائحة وفضح أمره أحيل للقضاء فهرب إلى الولايات

المتحدة باسم مستعار، لكن بفضل أعمال البحث الدقيق تم العثور عليه وألقى القبض عليه، فانتهى إلى السجن (فاحت الرائحة أى اكتُشف سر قضية ما).

فى السجن قدم بالمال المسروق الرشوة لسجانيه، فتمكن من الهروب إلى ليبيا حيث تقدم إلى القذافى بصفته زعيم المعارضة اللدود لنظام صمويل ضو الديكتاتورى والدموى، فرحب به ديكتاتور ليبيا القذافى الذى كان يسعى إلى خلخلة ضو وأرسله هو ومناصريه إلى معسكر تدريب الإرهابيين الذى أنشئ بليبيا بمجرد وصول القذافى إلى الحكم، وفيه تعلم تايلور ومناصروه تقنيات حرب العصابات، ولم يكتف بذلك، بل أرسله عند ديكتاتور بوركينا فاسو كومبارى وأثنى عليه كما لو كان شخصًا يستحق التوصية، فأرسله هذا الأخير بدوره إلى هوفيت بواينى ديكتاتور كوت ديفوار بوصفه وليا صالحًا، فرح هوفيت بواينى بلقاء تايلور وقبله من فمه لاسيما وأنه كان غاضبًا أشد الغضب من صمويل ضو لأنه قتل زوج ابنته، وهكذا اتفق هوفيت بواينى وكومبارى بدون عناء حول المساعدة التى يقدمها للص تايلور.

باسم بوركينافاسو تكفل كومبارى بالتدريب فى حين تكفل هوفيت بواينى باسم كوت ديفوار بشراء الأسلحة وشحنها.

وهكذا أصبح اللص شخصًا مهمًا، زعيم حرب يصول ويجول فى ليبيريا، واستقر بكبرنيا ومن حين لآخر يقوم بعمليات دموية بمساعدة الأطفال الجنود للاستيلاء على المانسون هاوس، وهو المكان الذى كان مخصصًا لإقامة الرئيس قبل أن يتقاسم اللصوص بينهم البلاد.

وعلى أى حال صار لتايلور حضور قوى فى كل مكان وهيبة على ليبيريا جميعها إلى أن تحقق شعار مناصريه "لا سلام بدون تايلور" سنة ١٩٩٣. نياماكودى! والله!

أما العقيد بابا الطيب - ممثل تايلور فى زُرزُر - فقد كان حالة خاصة هو الآخر، أولاً كان بلا أب أو بالأحرى مجهول الأب لأن أمه كانت تتسكع من حانة إلى أخرى فى مدينة منروفيا عندما وضعت طفلاً أسمته روبيرت، ولما بلغ هذا الأخير من السن خمس سنوات، أراد بحار الزواج من أمه لكنه لم يرغب بالطفل، فعهد به إلى خالته التى كانت هى أيضًا

ترتاد الحانات وغالبًا ما تتركه وحيدًا بالبيت يلهو بالكابوتات الإنجليزية (كابوت أى العازل الطبى).

اكتشفت إحدى منظمات مساعدة الطفولة الأمر فأخذت تايلور ووضعته فى دار أيتام خيرية تديرها راهبات.

واستطاع فى هذه الدار أن يدرس، بل تمكن من تحقيق نتائج باهرة، ولما رغب فى أن يصبح راهبًا بعد ذلك أرسل إلى الولايات المتحدة، وبعد الدراسة عاد إلى ليبيريا، لكن فات الأوان حيث كانت الحرب القبلية مشتعلة فى ليبيريا، ولم يبق هناك أى شىء لا كنيسة ولا تنظيم ولا أرشيف، فأراد العودة إلى الولايات المتحدة فى انتظار أيام أفضل، لكنه ذهل من عدد الأطفال الهائل فى الشوارع، فتذكر طفولته، فتراجع عن السفر وقرر القيام بشىء من أجلهم، فجمعهم وشرع فى تقديم الطعام لهم وهو بعباءته، وهكذا أصبح الأطفال ينادون عليه بابا الطيب، نعم بابا الطيب الذى يطعم أطفال الشوارع.

لاقى عمله هذا صدى عالميا وسرعان ما تحمس العديد من شخصيات العالم كله لمساعدته، وفجأة صار مشهورًا جدا

ولا حديث إلا عنه، ولم يرق ذلك للكثيرين لاسيما الديكتاتور صمويل دو الذى كان فى ذلك الوقت لايزال يحكم مونروفيا، فأرسل سفاحين فى أثره لتصفيته ونجا منهم بأعجوبة، واستطاع بالكاد اللحاق بتايلور، عدو صمويل دو اللدود، وعينه تايلور عقيدًا وعهد له بمسئوليات جسام، إذ تولى حكم منطقة زُرزُر بأكملها وتحصيل عائدات الرسوم الجمركية لحساب زعيمه تايلور.

كانت قرية زُرزُر تضم ثلاثة أحياء رئيسية: الحى العُلوى الذى يضم الإدارة المركزية للعقيد بابا الطيب ثم حى القش حيث يقطن السكان الأصليون ثم حى اللاجئين وهم أكثر السكان حظًا، فهناك عدة مؤسسات ومنظمات غير حكومية تقدم لهم الغذاء لكن لم يكن يقبل بينهم سوى النساء والأطفال دون الخامسة والمسنين، وهذا أى- بكل غباوة - أننى لا يمكن أن أذهب هناك. نياماكودى!

كان الحى العُلوى عبارة عن معسكر معزول، تحده جماجم بشرية موضوعة فوق أوتاد وكان يضم خمسة مراكز قتال تحميها أكياس رمال يحرس كل منها أربعة أطفال جنود،

وكان الأطفال الجنود يأكلون أشهى الطعام، ولولا ذلك لتركوا المعسكر، وذاك ما قد يكون ضارًا للعقيد بابا الطيب كما كان يضم الحى العُلوى مكاتب وترسانة ومعبدًا وبيوتًا للسكن وسجونًا.

كان أول شئ بالحى العُلوى الترسانة وهى عبارة عن غرفة محصنة تحت الأرض وسط المعسكر المعزول، مفاتيحها لا تفارق أبدًا حزام العقيد بابا الطيب المثبت تحت عباءته، والواقع أن هناك أشياء ثلاثة لا تفارقه أبدًا: مفاتيح الترسانة وكلاشة الأيدى وأحجبة الحماية ضد الرصاص فافورو! كان ينام ويأكل ويصلى ويضاجع بهذه الأشياء الثلاثة.

أما الشيء الثانى بالحى العُلوى فهو السجون، لم تكن سجونًا بالمعنى المتداول، بل كانت مراكز لإعادة التأهيل (إعادة التأهيل تعنى إعادة التربية حسب لو بتى روبير). والله! أحيانًا يسخر لو بتى روبير من العالم! فى هذا المركز، كان العقيد بابا الطيب يعمل على إزالة سحر آكلى الأرواح، باختصار كان مركزًا لإزالة مفعول السحر، وكان هناك مؤسستان منفصلتان إحداهما للرجال وتشبه سجنًا حقيقيا بقضبان وحراس، وكانت

حراسة السجن شأنها شأن حراسة كل شيء مهم معهودة لأطفال جنود لازالوا بكارى (بكارى أى عذارى مثلى لم يضاجعوا امرأة بعد).

فى السجن كان الجميع مختلطاً، هناك سجناء الحرب وسجناء الرأى وسجناء القانون العام علاوة على فئة يصعب تصنيفها حسب ما سبق وهى مكونة من أزواج النساء اللواتى يقع العقيد بابا الطيب فى حبهن.

أما مؤسسة إزالة مفعول السحر المخصصة للنساء فكانت بنسيونًا ضخمًا، بنسيونًا ترفيهيا لا يميزه عن البنسيونات الحقيقية سوى عدم قدرة النساء الخروج منه بحرية.

كانت السجينات يتلقين تمارين لإبطال مفعول السحر بداخله، وكانت هذه الجلسات لقاءات منفردة مع الطيب وتدوم لساعات طوال يقال إن خلالها يتعرى العقيد بابا الطيب والنساء أيضًا، والله!

أما الشيء الثالث فى الحى العُلوى فهو المعبد المفتوح لكل الديانات، وصباح كل يوم أحد كان على السكان جميعًا أن يقصدوه للمشاركة فى القداس الكنائسى، حيث يلقى العقيد بابا

الطيب بعده مباشرة خطبته الأسبوعية التى تتطرق إلى السحر وأضراره، والخيانة وأخطاء زعماء الحرب الآخرين مثل جونسون وكوروما وروبير سكيى وصمويل دو وكذلك الإبادة التى يتعـرض إليهـا الشـعب الليبيرى من طرف (United Liberian Movement of Liberia)ULIMO الحركة الموحدة لتحرير ليبيريا وLPC (Liberian Peace Council) مجلس سلام ليبيريا وNPFL الجبهة الوطنية القومية لليبيريا التابعة لكوروما.

هكذا كان المعبد هو المكان الذى يقصده العابرون لحضور القداس الكنائسى وبعد القداس كان هناك وعظ يشبه الوعظ الذى يقال بعد القداس الحبرى.

أخيرًا كان الشىء الرابع هو وجود المنازل المبنية من القش والقصدير المتموج، حوالى عشرة منازل نصفها مخصص للعقيد بابا الطيب إذ لا يعرف أبدًا أين يقضى ليلته فهو شخص مهم جدًا خلال الحرب القبلية، تلك هى قوانين الحرب القبلية، أما باقى البيوت الأخرى فكان يقيم فيها الأطفال الجنود.

كنا نحن الأطفال الجنود ننام على الأرض فوق حصائر ونأكل أى شيء كيفما اتفق.

كانت قرية السكان الأصليين - الأهليين بزُرزُر - تمتد على طول كيلو متر من المعسكر المعزول وكانت تضم منازل وأكواخًا من طين ممزوج بالقش، وكان سكانها من الياكوس (YACOUS) والجيوس (GYOS) وهم طائفة من الزنوج السود الأهليين من تلك المنطقة من البلاد ويعتبرون أعداء كبارًا للكيريس (GUERES) والكراهنس (KRAHNS) وهم طائفة أخرى من الزنوج السود الأهليين من منطقة مفلسة أخرى من ليبيريا، وعندما كان يأتى أحد من طائفة الكيريس والكراهنس إلى زُرزُر كان يُعذب قبل أن يُقتل لأن ذلك هو قانون الحروب القبلية، فخلال الحرب يُعتبر وجود رجال من قبيلة غريبة أخرى غير مرغوب فيه فى زُرزُر.

ويملك العقيد بابا الطيب حق الحياة أو الموت على كل السكان فهو زعيم المدينة والمنطقة كلها وهو بصفة خاصة ديك برابر المدينة، فافورو! والله!

بمجرد دفن الطفل الجندى - الكابتن كيد - أصبحنا جزءًا من مجموعة العقيد بابا الطيب.

والتحقت أنا بمعسكر الأطفال الجنود حيث مُنحت بدلة قديمة لمظلى راشد وكانت كبيرة جدا على وكنت أعوم بداخلها، ثم عيننى العقيد بابا الطيب نفسه فى احتفالية رسمية أعطانى خلالها أيضًا الكلاش.

كان الأطفال الجنود يعينون فى مراتب عسكرية كبرى قصد تعظيمهم والتغرير بهم، كان كل واحد منهم إما قائدًا أو عقيدًا أو على الأقل ملازمًا أولاً، كان سلاحى كلاشًا قديمًا وعلمنى طريقة استعماله، ولم يكن الأمر صعبًا فيكفى الضغط على الزناد لتنطلق الطرالالا.. وليصاب الهدف فيسقط الأحياء كالذباب.

أما أم الرضيع فأخذت عند النساء اللواتى يلزم إزالة سحرهن (حيث تجلس كل امرأة عارية تمامًا فى لقاء منفرد مع العقيد بابا الطيب، تلك هى قوانين الحرب القبلية).

كان العقيد بابا الطيب سعيدًا جدا بلقاء ياكوب، كان سعيدًا للغاية للعثور على كريكرمان عراف جيد ومسلم.

- سأله العقيد بابا الطيب: ما هى أنواع الكريكرى والأعمال التى تعملها؟

- أجابه ياكوبا: أعمال صالحة لكل الاستعمالات.

- أعمال مضادة للرصاص أيضًا؟

- طبعًا. فأنا قوى فى الحماية ضد الرصاص، ومن أجل هذا جئت إلى ليبيريا حيث الحرب القبلية وحيث تتجول الرصاصات القاتلة دون حرج.

- هتف العقيد بابا الطيب: رائع! رائع!

ثم قبل ياكوب من فمه وأسكنه فى منزل مخصص للشخصيات المهمة، كان ياكوبا شخصًا مسعدًا، ففى هذا المنزل كان كل شيء متوفرًا وكان يأكل كأربعة أشخاص.

شرع ياكوبا مباشرة فى العمل بدون توقف فصنع ثلاثة تعاويذ جد جامدة؛ الأولى للصباح والثانية للظهيرة والثالثة للمساء وعلقها العقيد كلها تحت الجبة فى حزامه ودفع ثمنها نقدًا لياكوبا الذى أسر فى أذنه - له وحده - بالمحرمات المتعلقة بكل تعويذة.

هكذا استقر ياكوبا كشواف وصار يتنبأ فى الرمال كما راح يسطر المستقبل ويكشف الإشارات للعقيد بابا الطيب الذى كان عليه أن يضحى بعجلين: نعم ثورين ضخمين...

- وقال العقيد بابا الطيب: لكن ليس هناك عجول بزُرزُر.

وأجاب ياكوبا: يجب فعل ذلك، تلك الأضحية لابد منها فذلك مسطور فى طالعك، لكن الأمر ليس فى غاية الاستعجال.

صنع ياكوبا تميمة لكل طفل جندى ولكل جندى أيضًا وكانت التعاويذ تُشترى بأثمان باهظة، أما أنا فقد حظيت بالتعويذة الأكثر قوة وبالمجان كذلك، وبما أن التعاويذ تُجدد دوما فقد صار ياكوبا لا ينقطع عن العمل، وهكذا أصبح غنيا مثل موروتابا زعيم الموسيس الموسر ببوركينا فاسو، ومن فرط ثروته صار يرسل أموالاً لقرية طوكوبالا؛ لوالديه وللسحرة وللشعراء وللزعيم الدينى.

من المؤسف ألا يدوم اليوم إلا اثنتى عشرة ساعة فذلك غير كاف للعقيد بابا الطيب الذى يضطر إلى إرجاء أشياء كثيرة للغد، سيكون الله لطيفا بالعقيد لو عمل من أجله أيامًا من

خمسين ساعة، نعم خمسين ساعة بأكملها، والله! كان العقيد يستيقظ كل يوم عند صياح الديك ما عدا غداة الليلة التى يشرب فيها نبيذ السعف الجيد قبل الذهاب للنوم، وتجدر الإشارة أنه لا يتناول الحشيش أبدًا أبدًا، من عادته كل صباح أن يُبدل التعاويذ ويلبس جبة بيضاء فوق الكلاش ويأخذ عكازة مسكونية يعلوها صليب مرصع بسبحة ثم يبدأ بتفتيش مراكز الحراسة التى يديرها أطفال جنود داخل المعسكر المعزول وكذلك تلك التى يديرها الجنود خارج المعسكر.

وبعد ذلك يدخل المعبد ثم يحتفل بالقداس مع جوقة المرتلين المكونة أيضًا من أطفال جنود، فيتناول طعام الإفطار بدون كحول، فالشرب صباحًا مبكرًا مُضر للعقيد لأنه يعرقل يومه كليا، بعد ذلك ودائمًا بجبته يوزع حبوبًا على زوجات الجنود بواسطة ميزان رومانى وهو يتحدث معهن ومن حين لآخر تُسمع قهقهات متبوعة بضربات على مؤخرة النساء الجميلات منهن.

كان هذا هو البرنامج الإجبارى، البرنامج الذى يقوم به مهما كانت الأحوال والظروف، حتى لو كان طريح الفراش أو

حدث وشرب نبيذ السعف الجيد، ولا يمكن لبقية البرنامج أن يتغير وفقًا لظروف اليوم إلا بعد الفقرة الأخيرة من توزيع الحبوب على زوجات الجنود والطباخين والجنود الأطفال.

ويبقى العقيد بالمعبد إن كان هناك حكم أو قضاء حتى منتصف النهار، وفى مثل تلك الأحوال يصبح المعبد بمثابة قصر للعدالة لأن المتهمين يقسمون بالله والتعاويذ، بينما تقام الأدلة بالتعذيب، ويُنطق بالحكم مرةً كل أسبوع وغالبًا يوم السبت.

وينتقل العقيد بابا الطيب إن لم يكن هناك حكم بعد توزيع الحبوب مباشرة إلى مستودع حيث يجمع الطبيب بعد تقديم العلاج للمرضى والجرحى والهالكين من كل نوع فى قاعة مشتركة، وهناك ينصح العقيد ويعظ ويدعو للمرضى، وليس من النادر أن ترى أعرج يرمى بعصاه صارخًا "إننى شفيت" ثم يشرع فى المشى بشكل عادى وطبيعى، والله! فالعقيد كان نبيا قويا ومتمرسًا.

بعد عيادة المرضى يتولى العقيد بابا الطيب التدريب العسكرى للأطفال الجنود والجنود أيضًا، الذى لا يختلف كثيرًا

عن التعليم الدينى أو المدنى والذى يشبه بدوره إلى حد ما الوعظ والإرشاد "إن كنت تحب الله والمسيح كما يجب، فلن يصيبك رصاص ولن يمسك أذى لأن الله وحده هو الذى يقتل الأشرار والأغبياء والخطائين والملاعين".

كل هذا من اختصاص العقيد بابا الطيب، وهو وحده من يقوم بكل هذا، والله! هذا جد كثير، ناهيك عن الحافلات التى يأتى بها جنود الرقابة الطرقية من حين لآخر والتى كان يقوم العقيد بنفسه بوزن بضائعها ويتناقش بصرامة مع ركابها ويحصل منهم الرسوم الجمركية فى جيوب جبته.

ناهيك عن جلسات إزالة السحر، ناهيك عن الاجتماعات السرية، ناهيك عن كل الوثائق التى كان العقيد يختمها بصفته المسئول الأول للجبهة الوطنية لتحرير ليبيريا بأكملها.

ناهيك عن الجواسيس بكل أنواعهم.

لهذا كله يستحق العقيد بابا الطيب يومًا من خمسين ساعة! فافورو! يومًا كاملاً من خمسين ساعة، نعم يستحق العقيد بابا الطيب أن يسكر بضع من الليالى العديدة العفنة لهذه الحياة القذرة فى زُرزُر، ولكنه لا يدخن الحشيش الذى كان

يدخره الأطفال الجنود لأنه يقويهم ويجعل منهم جنودًا حقيقيين. والله!

عند وصولى أخبرانى بهويتى؛ أنا مانديكو (Mandigo). مسلم، صديق الياكوس الجيوس وبلغة الأمريكان السود البندجان، الملانكى والمانديكو يعنيان الشىء نفسه، هما متماثلان، وهذا شىء جيد إذ لم أكن من الكيريس أو الكراهنس الذين كان العقيد لا يطيقهم، بل يبيدهم.

كنت بفضل ياكوبا مدللاً ومعززًا، عينت قائدًا واختارنى العقيد لخلافة المأسوف عليه كيد لأننى كنت ابن صاحب التعاويذ ويفترض أننى مزود بأكبر قدر من الحماية.

عيننى العقيد قائدًا وكلفنى بالوقوف وسط الطريق عند مخرج منحنى لإيقاف الحافلات، أصبحت إذن صبى الرقابة الطرقية ومن أجل ذلك صرت آكل جيدًا، وأحيانا أحصل على قليل من الحشيش كمكافأة، أول مرة تناولتُ فيها الحشيش تقيأت ككلب مريض، لكن سرعان ما تعودت عليه وأمدنى بقوة الكبار، فافورو! كان لى صـــديق - طفل جنـــدى أو سمول سولدجر - اسمه القائد جون تايبى أو الرأس المحروقة، وكان

قد فر من الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا وفى حوزته أسلحة ولذلك عين قائدًا، وهناك عند الحركة المتحدة لتحرير ليبـــيريا انتحل جنسية الكراهن بيـــد أنه ياكوس مائة فى المـــائة، خصصت له الجبهة الوطنية القومية لليبيريا استقبالاً حارًا واحتفى به العقيد بابا الطيب شخصيا لأنه جاء ومعه كلاش سرقه من الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، ولأنه لم يكن كراهن أيضًا.

كان قائد الرأس المحروقة شخصًا متميزًا، بل على أعلى مستوى من التميز، والله كان يكذب مثلما يتنفس وكان مجنونًا يخترع قصصًا من وحى خياله وكان أفاقًا يعمل كل شىء وكل شىء، رأى خالتى وتحدث معها وذلك ما أثلج صدرى، فقررت الذهاب إلى هناك، إلى الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا بأسرع وقت.

كان الأفاق الصغير لا يتوقف عن حكى أشياء مذهلة عجيبة عن الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، وهو ما أعطى الرغبة للجميع فى الذهاب إلى هناك، ففى الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا كل شىء لطيف رائع ويمكن للمرء أن يبقى

قرير العين مرتاح البال، يمكنه أن يأكل مثل خمسة أشخاص دون أن ينفد الطعام، يمكنه أيضًا النوم طيلة اليوم دون أن يمنعه من تقاضى أجره آخر كل شهر، نعم أجر حقيقى يوزع آخر كل شهر وأحيانا قبل نهاية الشهر، لأن الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا تمتلك ثروة من الدولارات مقابل استغلالها العديد من مناجم الذهب والماس وكثيرًا من المعادن الثمينة الأخرى، كان الجنود مكلفون بمراقبة العمال الذين يشتغلون فى المناجم، وكان بإمكانهم هم أيضًا الاستغلال وكسب الدولارات الأمريكية مثل الآخرين، أما الأطفال الجنود فهم أوفر حظًا من الجميع حيث كانت لديهم أسرَّة وبدل مظليين جديدة وكلاشات لم يسبق أن استعملت من قبل، والله!

ندم القائد الرأس المحروقة على ترك الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا وعلى مجيئه إلى الجبهة الوطنية القومية لليبيريا لأنه كان ياكو حقيقيا رغم ادعائه الانتساب إلى الكراهن هناك، والواقع أنه التحق بالجبهة الوطنية القومية لليبيريا عندما عرف أن والديه التجئا إلى زُرزُر، فجاء للبحث عنهما لكنه لم يعثر لهما على أثر، ومنذ ذلك الحين صار يتحين أول فرصة

للرجوع إلى الحركة الوطنية القومية لليبيريا حيث كل شيء رائع.

علم العقيد بابا الطيب بالأخبار التى يروج لها الرأس المحروقة فغضب غضبًا شديدًا واستدعاه ووبخه مثل سمكة عفنة، بل هدده بالسجن إذا استمر فى تصوير الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا كما لو كانت جنة فيحاء، لكن دون جدوى لأن الرأس المحروقة واصل تسميم محيطه برقة (سمم أىأثر على الآخر حد إفقاده أدنى حس نقدى حسب معجمى لاروس).

وكانت هناك مدرسة داخلية للفتيات بناها العقيد بابا الطيب من فرط طيبته، كانت مخصصة للفتيات اللواتى فقدن والديهن أثناء الحرب ولم يبلغن السابعة من عمرهن بعد، فتيات معوزات لا يجدن ما يأكلن، ولا يملكن بعد صدرًا ناهدًا يمكنهن من العثور على زوج أو العمل كطفل جندى، كان ذلك عملاً خيريا محضًا لصالح تلك الفتيات، وتدير المدرسة كذلك راهبات يُعلمن نزيلات الداخلية القراءة والكتابة والتربية الدينية، راهبات يلبسن قبعات للتمويه على العالم مع أنهن – مثل كل

النساء - يضاجعن العقيد بابا الطيب، لأنه كان الديك الوحيد فى العش، وكذلك لأن ذلك من طبيعة الحياة اليومية.

ذات صباح عُثر على إحدى فتيات المدرسة الداخلية مغتصبة ومقتولة على حافة الطريق المؤدى للنهر، فتاة طفلة عمرها سبع سنوات مُغتصبَة ومقتولة، كان المنظر مؤلمًا لدرجة أن العقيد بابا الطيب ذرف دموعًا ساخنة، أن يبكى أويا أويا مثل العقيد بدموع حارة ذاك أيضا منظر يستحق المشاهدة (أويا أويا يعنى: مخادع معتوه حسب بيان الخصوصيات).

جهز العقيد بابا الطيب شخصيا السهرة الجنائزية وأحياها بجبته وشاراته وأحجبته وكلاشه علاوة على العكازة المسكونية، رقص العقيد بابا الطيب كثيرًا وشرب أقل لأن الكحول مضرة له، بعد ذلك دار ثلاث دورات ونظر أربع مرات إلى السماء ثم اتجه مشيًا إلى الأمام حتى وصل لجندى فشده من يده جارًا إياه إلى وسط الدائرة، كان الجندى يسمى زوموكو وكان هو المسئول عن موت الفتاة أو يعرف القاتل على الأقل.

عاود العقيد بابا الطيب الرقصة ذاتها، ثم أشار أمامه إلى جندى ثان كان يسمى يورودا وهو المسئول عن موت الفتاة أو يعرف القاتل على الأقل، للمرة الثالثة رقص العقيد ومشى أمامه وأخرج هذه المرة إلى وسط الدائرة القائد الرأس المحروقة وهو أيضًا مسئول عن موت الفتاة أو يعرف القاتل على الأقل.

تَم القبض عليهم فورًا رغم تمسكهم بالبراءة (تمسك بالبراءة أىأكد براءته حسب معجم لاروس)، فى اليوم الثانى عقدت المحكمة جلسة لمحاكمة قاتلى الفتاة وقد حضرها العقيد شخصيا بجبته والشارات وفى يده التوراة والقرآن مرتديا أشياءه كلها، بينما جلس الجمهور بجناح كما لو كان فى قداس مسكونى، ورغم أن المناسبة كانت محاكمة وليست قداسًا فقد استُهلت بصلاة قبل أن يدعو العقيد المتهمين الثلاثة إلى القسم بالكتب المقدسة وبعدما فعلوا سألهم العقيد بابا الطيب:

- زوموكو، هل قتلت فاتى؟
- أقسم بالتوراة أننى لم أقتلها.
- يوردا هل قتلت فاتى؟

أجاب يوردا أنه لم يفعل، ثم طرح العقيد السؤال نفسه على الرأس المحروقة الذى أجاب بدوره أنه لم يقتل الفتاة.

عندئذ انتقلت المحكمة إلى مرحلة أخرى؛ طور التعذيب حيث وُضع سكين على موقد ملئ بجمرات حامية سرعان ما جعلت شفرته متأججة، فتح المتهمون أفواههم وأخرجوا ألسنتهم فمرر العقيد بابا الطيب السكين بشفرته المتأججة على لسان زوموكو الذى رضخ للأمر دون أن يبدى أدنى اعتراض قبل أن يغلق فمه ويلتحق بمكانه تحت تصفيق الجمهور، عندما جاء دور يوردا تحمّل الامتحان أيضًا بكل صبر وأغلق فمه دون اعتراض تحت تصفيق الجمهور. لكن العقيد عندما توجه بالشفرة المتأججة نحو الرأس المحروقة تراجع هذا الأخير خوفًا وجرى مسرعًا خارج الكنيسة، فدوّى صوت حاد من الجمهور تعبيرًا عن الدهشة (حسب لاروس دوّى أىانفجر)، لكن الرأس المحروقة ضُبط فورًا وتم القبض عليه.

هكذا إذن كان هو المسئول عن قتل فاتى المسكينة، انتهى الرأس المحروقة بالاعتراف بصنيعه وشهد بأن الشيطان قد لبسه وقاده إلى ذلك دون أن يشعر، حُكم عليه بجلسات إزالة

السحر لمدة شتاءين، لكن إن كان شيطانه قويا جدا ولم تتوصل الجلسات إلى فك سحره وطرد الشيطان من داخله فسوف يُعدم علانية بالكلاش، اللهم إذا عفى عنه العقيد بابا الطيب لأنه بعكازته المسكونية يُجسد الطيبة ذاتها، وحتى فى هذه الحالة سيفقد الرأس المحروقة وضعه كطفل جندى لأن من اغتصب وقتل لم يعد بكرًا، ومن لم يعد كذلك فإنه لا يمكن أن يكون طفلاً جنديا عند العقيد بابا الطيب، هكذا تجرى الأمور ولا حاجة لقول شىء آخر، عندما تكون جنديا تصبح جنديا حقيقيا، جنديا كبيرًا.

ولا يتمتع الجنود بحق المأكل والمسكن ولا يتقاضون أجرًا كذلك، ولكن دون أن تكون جنديا فلك مزايا عديدة، والله! ومن المؤسف أن لا يحتفظ الرأس المحروقة بمزاياه حتى فى حالة عدم إعدامه لأنه لم يعد بكرا، نياماكودى!

فافورو! ها نحن قد أصبحنا خارج قرية زُرزُر، بعيدًا عن قلعة العقيد بابا الطيب، والشمس قد قفزت مثل جرادة وبدأت فى الطلوع دونى (دونى أىشيئًا فشيئًا حسب معجم الخصوصيات لفرنسية إفريقيا السوداء).

كنا مطالبين بالحذر ونحن نمشى بخطى وئيدة على مقربة من الغابة وذلك لتلافى جنود الجبهة الوطنية القومية لليبيريا (تلافى أىتجنب بمهارة)، حيث كان بإمكان الجنود اقتفاء أثرنا بسهولة لولا أن انتهزنا ضوء القمر للإسراع بالهرب والتقدم إلى الأمام.

فبالفعل ليلة البارحة عند منتصف الليل أخذنا تقدمنا فى الطريق تاركين زُرزُر بعد مقتل العقيد بابا الطيب حوالى الساعة الحادية عشر ليلاً، نعم مات العقيد وأسلم الروح رغم كل أحجبته. وللحق شعرت بشىء من الحزن على وفاته، فقد كنت أحسبه خالدًا علاوة على أنه كان طيبًا معى ومع الجميع، أضف إلى ذلك أنه كان ظاهرة من ظواهر الطبيعة (ظاهرة تعنى شيئًا أو كائنًا غير عادى).

موته كان الإشارة التى أطلَقت العنان لتحرير كل السجناء سواءً سجناء فك السحر أو سجناء المضاجعة أو الآخرين، الإشارة للرحيل لكن من أراد الرحيل، بما فيهم الأطفال الجنود ولا سيما أولئك الذين لم يجدوا أهلهم عند الجبهة الوطنية القومية لليبيريا وعقدوا الأمل على لقائهم عند الحركة المتحدة

لتحرير ليبيريا هناك حيث كل شيء لطيف ومحبوب، حيث الأكل شهى، الأرز دسم بصلصة البذرة، حيث الأجور تسقط بوفرة مثل المانكا فى شهر أبريل، فافورو!

لم يكن الأمر سهلاً، كان علينا محاربة كثير من الأويا أويا الذين بقوا أوفياء للجبهة الوطنية القومية لليبيريا، كل هؤلاء البُلهاء الذين اعتقدوا أن الحال أفضل عند العقيد بابا الطيب، لكننا انتهينا بالانتصار عليهم فنهبنا وحرقنا وكسرنا كل شيء ثم مضينا قدمًا على الطريق على الفور، دار دار، بسرعة بسرعة.

كنا جميعا محملين بحصيلة النهب، كان من بيننا من لديه اثنان أو حتى ثلاثة كلاشنكوفات وكانت هذه الأسلحة بمثابة ضمان قطيعتنا مع الجبهة الوطنية القومية لليبيريا (ضمان يعنى: دليل على أننا تركنا جماعة الجبهة الوطنية شر تركة)، والدليل على رغبتنا فى الانضمام نهائيا إلى جماعة الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، هكذا نهبنا كل شيء قبل ان نُضرم النار.

بمجرد مصرع العقيد بابا الطيب صرخ بعض الجنود ليلاً: "مات العقيد بابا الطيب... مات العقيد بابا الطيب... مات

العقيد بابا الطيب قتل العقيد... قتل!"، وذلك ما أحدث بلبلة كبرى (بلبلة أىالفوضى التى تسبق فعل شىء ما)، ثم سارع الجنود فورًا إلى سرقة الأموال والجُبّات والحبوب ولاسيما مخزون الحشيش، نهبوا كل شىء فى لمحة البصر قبل أن يجد الجنود الآخرون الذين بقوا أوفياء الوقت لإطلاق النار، والله! فلنبدأ بالبدايات:

فى أحد الأيام بينما كان العقيد بابا الطيب يفتش أغراض أحد المسافرين عثر بينها على عدة قنانٍ من الويسكى من نوع "جونى وكر"، الكرتون الأحمر الجيد، وبدلاً من تحصيل ثمن الرسوم الجمركية احتفظ العقيد بثلاثة قنانٍ منها لنفسه رغم أنه يعرف تمامًا أن الكحول مضرة له كثيرًا ونادرًا ما يتناولها عندما يكون متعبًا جدا ورأسه مشوش، حينئذ لا يشرب إلا إذا دخل سريره، فيستيقظ فى اليوم التالى بمزاج غير صاف وبقليل من التأخير لكن ذلك دومًا بدون خطر يذكر، فالعقيد لا يتناول قط الحشيش لأنه كان مخصصًا للأطفال الجنود وكان يلائمهم ويجعلهم أقوياء مثل جنود حقيقيين، أما ذلك المساء (المساء الذى حصل فيه على قنانى الويسكى) فكان العقيد متعبًا جدا ولم

ينتظر الركون إلى سريره ليشرب الويسكى، كثيرًا جدا من الويسكى الذى ذهب بعقل العقيد بابا الطيب، تحت وطأة الخمر ارتاد العقيد بابا الطيب السجن (وطأة تعنى: تأثير)، ذهب وحيدًا بمفرده إلى السجن الذى لا يزوره عادة إلا نهارًا بصحبة طفلين جنديين مسلحين تمام التسليح.

ليلاً بمفرده فى السجن ضحك كثيرًا مع السجناء وتحدث معهم ثم مازح طويلاً الرأس المحروقة.

لكن فى لحظة معينة تحولت المزحة والحديث إلى مأساة، إذ سرعان ما تقلب مزاج العقيد فصرخ كما يبرع فى ذلك مثل حيوان متوحش، وترنح كالمجنون قبل أن يعاود الصراخ: "سأقتلكم جميعًا... سأقتلكم جميعًا..." ثم ضحك مثل ضبع فى الليل: "هكذا... هكذا... سأقتلكم كلكم" وسلّ كلاشة من تحت الجبة وأطلق رصاصتين فى الهواء، هرع السجناء فى حركة أولى وسارعوا للاختباء بأركان الغرفة بينما عاود العقيد الطلق وهو لازال يترنح.. ثم همد للحظة لأنه أحس بالنعاس.

تسلل أحد السجناء فى الغبش ودون أن يلفت الانتباه التف حول العقيد وارتمى على رجليه وأوقعه على الأرض بعد أن

سقط كلاشه بعيدًا أمامه، فالتقطه المجنون الرأس المحروقة بخفة وأفرغ محتواه فى جسد العقيد الذى لازال طريح الأرض.

فافورو! اخترقت الرصاصات العقيد بابا الطيب رغم تعاويذ ياكوبا الذى أوضح أن العقيد انتهك حرمات الأحجبة أولها تجنب الجماع عند ارتداء الحجاب وثانيها الاغتسال بعد المضاجعة وقبل ارتداء الحجاب من جديد، فى حين أن العقيد كان لا يفتقر عن المضاجعة فى كل مكان ولا يجد الوقت للاغتسال، وثالثهما وهو الأهم أن العقيد لم يُضحّ بالعجلين المكتوبين فى طالعه، ولو فعل ذلك لما غامر بالذهاب وحده إلى السجن فالأضحية كان من شأنها أن تحول دون الحادثة، فافورو! (الحادثة يعنى: حدث تفصيلى لواقعة ما)، بمجرد موت العقيد موتًا قبيحًا أدار أحد السجناء جثته واستولى على مفاتيح الترسانة التى لم تفارق العقيد قط، بالنسبة للسجناء الجنود الذين كانوا يودون الرحيل إلى الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، كانت وفاة العقيد بمثابة إشارة للتحرير لكن كان هناك جنود آخرون لا يريدون الرحيل بل بقوا أوفياء للعقيد، لذلك قام نزاع بين المجموعتين انتهى برحيل من كان يريد ترك المعسكر.

ياكوبا وأنا كنا نود الذهاب إلى الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا لأن هناك توجد نيانكبو حيث تقطن خالتى التى توصلت إلى الاتصال بياكوبا وإخباره بوجودها هناك، علاوة على أن القائد الرأس المحروقة كان متأكدًا من رؤيتها رغم أنه أفاق ولا يمكن الاحتكام إلى أقواله، تبعنا الرأس المحروقة لأنه يعرف من موقع المركز الأقرب للحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، كنا سبعة وثلاثين واحدًا: منهم ستة عشر طفلاً جنديا وعشرين جنديا وياكوبا، كنا محملين بأسلحة وعتاد وقليل من الزاد، أوهمنا الرأس المحروقة أن مقر الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا يوجد على بضعة أمتار من أول منعطف، لكن ذلك لم يكن صحيحًا فالصغير كان مصابًا بمس خيالى، حيث كنا نحتاج إلى يومين أو ثلاثة على الأقل للوصول إلى أقرب مركز للحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، علمًا بأن الآخرين يتعقبون أثرنا (تعقب أثر الآخر أى لاحقه)، من حسن حظنا أن هناك عدة سبل للذهاب إلى مركز الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، وأنهم لم يفلحوا فى معرفة أى طريق سلكناه منذ البداية، فى الواقع كنا من أعراق مختلفة لكن كلنا يعرف أن عند الحركة المتحدة

لتحرير ليبيريا يجب أن نصبح كراهنس أو كيريس، السلالتين الوحيدتين المقبولتين لدى الحركة، هكذا اتخذ كل واحد منا اسمًا كرانهيا، أما أنا فلم أكن فى حاجة لذلك إذ كنت ملانكيا أو مانديكو كما يسمونه بلغة الأمريكان السود بليبيريا، والملانكيون والمانديكو مرحب بهم فى كل الأماكن لأنهم محتالون ولؤماء ينتمون إلى كل المعسكرات ويأكلون من كل الأطباق، كان الطريق طويلاً وشاقًا وكان لدينا عتاد وأسلحة أكثر مما نستطيع حملة لذلك اضطررنا إلى ترك البعض منه.

كان الحشيش يزيدنا جوعًا ويفتح شهيتنا حتى صرنا نقتات الثمار والأغصان والأوراق ومع ذلك يظل ياكوبا على اعتقاده أن الله لا يترك فمًا خلقه خاويا.

بين الأطفال الجنود كانت هناك فتاة جندية تدعى سارا، كانت فريدة وجميلة وكأنها حظت بجمال أربع فتيات، وكانت تدخن الحشيش وتقضم العشب مثل عشرة، وكان بينها وبين الرأس المحروقة علاقة سرية فى زُرزُر من مدة طويلة ولذلك سافرت معنا، ومنذ خروجنا وهما (أى سارا والرأس المحروقة) لا ينقطعان عن التوقف لتقبيل بعضهما، وفى كل مرة تنتهز

الفرصة لتدخين الحشيش والتهام العشب الموجودين بوفرة (بوفرة أىبكمية كبيرة)، لأننا أتينا على مخزونات العقيد بابا الطيب، كانت سارا تدخن وتقضم بدون توقف حتى أصبحت مجنونة تمامًا، بل صارت تلامس نيوسونيوها أمام الجميع وتدعو الرأس المحروقة لمضاجعتها أمام الجميع علانية، لكنه يرفض لأننا مستعجلون وجائعون، فجأة توقفت سارا واستندت إلى جذع شجرة لتستريح، لم يستطع الرأس المحروقة أن يتركها وحيدة لأنه كان يحبها كثيرًا، لكننا كنا ملاحَقين ولا يمكننا الانتظار، حاول مساعدتها وإجبارها على اللحاق بنا لكنها فقدت الصواب تمامًا وأفرغت ملقم البندقية عليه، من حسن حظه أنها انحنت ولم تعد ترى شيئًا بحيث انطلقت كل الرصاصات فى الهواء، فى لحظة غضب رد عليها الرأس المحروقة بزوبعة من الطلقات أصابت رجليها قبل أن يجردها من السلاح، صرخت من فرط الألم مثل عجل أو خنزير مذبوح بينما حزن الرأس المحروقة حزنًا شديدًا.

اضطررنا لتركها وحيدة والتخلى عنها لمصيرها المؤسف، وذاك ما لم يتحمله الرأس المحروقة، تركناها تصرخ

وتنادى باسم أمها واسم الله وكل الأسماء الأخرى، اقترب منها الرأس المحروقة وقبلها وأخذ فى البكاء، فتركناهما يقبّلان بعضهما يتألمان معًا ويبكيان، مضينا قدمًا على الطريق ولم نبتعد كثيرًا حتى شاهدنا الرأس المحروقة يلحق بنا منفردًا باكيًا؛ فقد تركها لوحدها بجانب جذع الشجرة فى دمها وجراحها إذا لم تستطع اللعينة المشى بعد (اللعينة أىاللئيمة)، ستصبح وليمة للنمل والدود والعقاب (وليمة أىوجبة فاخرة حسب معجم لاروس). التأبين هو خطاب يلقى على الملأ رثاءً لشخص مشهور متوفى، وبما أن الطفل الجندى هو الشخص الأكثر شهرة فى نهاية القرن العشرين هذا، فكلما مات أحد الأطفال الجنود يجب إلقاء خطاب تأبين يذكّر ببطولاته وكيفية وصوله إلى وضعية الطفل الجندى فى هذا العالم الكبير المفلس، ومن جانبى أشارك فى التأبين كلما أحببت، فلى الأمر ولست مجبرًا على ذلك، سأفعل ذلك هذه المرة من أجل سارا ولأنه يروق لى الوقت نفسه وأجد الأمر مسليا.

كان أبو سارا بحارًا يدعى بواكى وكان دائم السفر ونادر الاستقرار لدرجة تدعو للتساؤل كيف تمكن من صنع سارا فى

بطن أمها التى كانت تبيع سمكًا عفنًا فى السوق الكبير بمنروفيا وتعتنى من حين لآخر بابنتها، كانت سارا تبلغ من العمر خمس سنوات عندما حصد سائق سكران أمها بسيارته وقتلها على الفور، احتار الأب بالطفلة فسلمها لقريبة له فى القرية عهدت بها بدورها لتاجرة وأم لخمسة أطفال تدعى السيدة كوكوى استغلت سارا كخادمة وجعلت منها بائعة موز، هكذا صارت سارا كل صباح بعد الغسيل والتنظيف تبيع الموز فى شوارع منروفيا ولا تعود إلى المنزل إلا زوالاً فى الساعة السادسة تمامًا لوضع القدر على النار وتنظيف الرضيع، كانت السيدة كوكوى صارمة ودقيقة فى الحسابات ومتشددة فى وقت العودة إلى المنزل (صارمة ومتشددة أىمبالغة فى الحرص).

فى الصباح مرّ طفل سيئ التربية، طفل شارع وسرق قبضة الموز من سارا ثم فر هاربًا، ركضت سارا وراءه لكنها لم تستطع اللحاق به.

عند عودتها مساءً حكت للسيدة كوكوى ما حدث لكنها لم تصدقها وغضبت غضبًا شديدًا واتهمت سارا ببيع الموز واقتناء الحلوى بثمنه، ورغم إلحاح سارا على إعادة تفاصيل حادث

الطفل السيّئ لكن السيدة كوكوى لم تقتنع بها ولم يهدأ غضبها فشتمتها وضربتها بالسوط ثم حرمتها من العشاء، ولم تكتف بذلك بل هددتها قائلة: "إذا تكرر الأمر مرة أخرى سأضربك أكثر وسأسجنك بدون طعام لمدة يوم بأكمله".

لم يطل الوقت كثيرًا إذ تكرر الحادث فى اليوم التالى خرجت سارا صباحًا كعادتها بحمولة من الموز فجاء الطفل السيّئ ذاته مع مجموعة من رفقائه وخطف قبضة الموز وهرب، جرت سارا فى أعقابه، وذلك ما كان يأمل رفقاؤه الذين يضاهونه سوءًا وعندما ابتعدت، استولوا على باقى الموز (استولى أىسرق حسب معجم لاروس).

حزنت سارا كثيرًا وبكت طيلة اليوم، وعندما آلت الشمس للمغيب وحان وقت تنظيف الرضيع، قررت التسول لجمع حساب السيدة كوكوى لكن سائقى السيارات لم يكونوا كرماء كفاية لتحصيل حساب السيدة كوكوى، فاضطرت للمبيت خارج البيت وقضاء الليل فى مكان بين طرود البضائع فى شرفة مغلقة لمحل يدعى "فرح".

فى اليوم الثانى عاودت التسول ولم تجمع حساب السيدة كوكوى كله إلا فى اليوم الثالث، لكن الوقت كان متأخرًا وقد أمضت يومين خارج المنزل ولم يعد بإمكانها الرجوع لأن السيدة كوكوى ستقتلها لا محالة، هكذا استمرت سارا فى التسول وبدأت تشعر براحة أكثر من بيت السيدة كوكوى، بل توفقت فى العثور على مكان تغتسل فيه وآخر تخبأ فيه ما تكسبه من نقود التسول مع الإبقاء على مكان النوم نفسه بين طرود البضائع فى شرفة محل "فرح" المغلقة.

وفى يوم من الأيام استرعى وجود سارا فى مكان نومها انتباه رجل لم يتوان فى المجىء للقائها هناك، تقدم بلطف وحنو (حنو أىشفقة ورأفة) وأهداها ملبسًا وحلوى، وبحسن نية تبعته سارا فى الردهة بعيدًا عن الأماكن المأهولة وهناك أخبرها برغبته فى مضاجعتها برقة وبدون أذى، ذعرت سارا فشرعت فى الصراخ والهرب لكن الرجل كان أسرع وأقوى منها، لذلك لحق بها فورًا وانقض عليها وطرحها أرضًا ثم اغتصبها بشدة لدرجة أنه تركها شبه ميتة.

حُملت إلى المستشفى، ولما استيقظت وسُئلت عن والديها أخبرت عن والدها ولم تذكر السيدة كوكوى، جرى البحث عن والدها دون طائل لأنه كان دائم السفر، فأُرسلت سارا عند الراهبات فى ملجأ يقع فى نواحى غرب منروفيا، وهناك كانت عندما اندلعت الحرب القبلية فى ليبيريا حيث لاقت خمس راهبات مصرعهن بينما غادرت الأخريات المعسكر دار دار دون السؤال عما تبقى، اضطرت سارا وأربعة من رفيقاتها إلى ممارسة الدعارة قبل الالتحاق بمعسكر الأطفال الجنود لكى لا ينقرضن جوعًا.

هى ذى سارا التى تركناها للنمل والدود والعُقاب (العُقاب أىالنمل الأسود الشره جدا جدا)، سيجدها وليمة فاخرة، نياماكودى!

فى مدخل قرية مهجورة لمحنا شخصين أسلما رجليهما للريح بمجرد رؤيتنا واختفيا فورًا، جرينا ورءاهما للتو فالحرب القبيلية تفرض ذلك، عندما ترى شخصًا ويفر بمجرد أن يراك فذاك أىأنه يريد بك شرًا ويلزمك القبض عليه، لذلك ذهبنا فى أعقابهما ونحن نطلق النار طويلاً وبدون توقف محدثين

عاصفة من الفوضى والضوضاء تذكّر بالحروب السمورية (سمورى زعيم ملانكى قاوم الغزوات الفرنسية إبّان الاحتلال الفرنسى وكان جنوده لا يكفون عن طلق الرصاص). والله!

كان بيننا طفل فريد من نوعه وغريب الأطوار يدعوه الجميع الكابتن كيك الشاطر، بينما كنا ننتظر جميعًا على حافة الطريق بادر الكابتن كيك بالتوغل سريعًا فى الغابة وانحرف يسارًا محاولاً قطع الطريق على الهاربين، كانت محاولة ذكية، ولكن سرعان ما سمعنا فجأة انفجارًا متبوعًا بصرخة مدوّية من قبل كيك، هرعنا مسرعين فتفاجئنا بكيك وقد وطأ لغمًا، كان منظره مؤلمًا للغاية وهو يصرخ كعجل أو خنزير مذبوح وينادى باسم أمه وأبيه والأسماء كلها، بدت رجله ممزقة لم يعد يمسكها سوى خيط رفيع، ما أهوله من منظر! كان يتصبّب عرقًا ويصرخ من فرط الألم: "سأموت، سأموت مثل ذبابة"، طفل مثله يموت بهذه الطريقة، مشهد ما أصعب رؤيته!

وبسرعة صنعنا مَحملاً حملنا فوقه كيك إلى القرية بعدما أشار علينا ممرض بتر الساق فى الحال، فى القرية أرقدناه وبالكاد استطاع ثلاثة رجال أقوياء الإمساك به وهو يصرخ

بأعلى صوته محاولاً الإفلات، ومع ذلك قطعنا رجله من الركبة ورمينا بها إلى كلب مرّ من حولنا، ثم أسندناه إلى حائط أحد الأكواخ.

شرعنا فى تفتيش أكواخ القرية المهجورة الواحد تلو الآخر، فقد هرب الأهالى إثر زوبعة الطلقات التى أحدثناها، كنا جائعين وفى أمس الحاجة إلى الأكل، وجدنا ديوكًا حية، لاحقناها وقبضنا عليها ثم كسرنا أعناقها وشويناها، وجدنا أيضًا حدية، قبضنا عليها، ذبحناها وشويناها، باختصار أخذنا كل ما يصلح للأكل، فالله لا يترك فمًا خلقه خاويا.

بدقة بالغة فتشنا كل الأماكن الفارغة، اقتنعنا للحظة أنه لم يبق أحد مطلقًا، لكننا فوجئنا قبل المغادرة بوجود طفلين توأمين جد لطيفين نسيتهما حتمًا أمهما وهى فى طريقها المحموم للهرب (محمـــوم يعنى: مضطرب حسب معجم لاروس)، تركناهما فاختبئا تحت الأغصان داخل أرض مسورة.

بين الأطفال الجنود كانت هناك فتاة وحيدة تدعى فاتى وكانت شأنها شأن كافة الفتيات الجنديات جد شريرة وكانت

تبالغ فى تناول الحشيش لذلك كانت دومًا غائبة الوعى، وأخرجت فاتى التوأمين من الحفرة وسألتهما عن المكان الذى يخفى فيه القرويون مؤونتهم لكنهما لم يفهما شيئًا إذ كانا صغيرى السن لا يتعديان ست سنوات وكانا جائعين ليس بمقدورهما فهم أى شىء، أرادت فاتى تخويفهما بإطلاق النار فى الهواء فقط لكن بما أنها كانت فاقدة الوعى فقد رشتهما فعلاً ببندقيتها الكلاشينكوف فمات واحد وجرح الآخر، نزعنا منها السلاح فانهارت بالبكاء لأنها تعرف جيدًا أنه لا يجوز الإساءة لتوأمين صغيرين لأن شبحهما (نياماتهما) مهولاً يا لها من كارثة عظمى! فها هى ذى فاتى صارت من الآن فصاعدًا متبوعة بشبحى التوأمين الصغيرين فى هذا البلد المفلس من ليبيريا الذى تجتاحه الحرب القبلية، هذه هى نهايتها وستموت شر ميتة، أخبر ياكوبا فاتى أن الأحجبة لن تحفظها بعد الآن بسبب شبح التوأمين الصغيرين، بكت فاتى بكاء حارًا مثل طفل عفن مطالب بأحجبة واقية، لكنها رغم النواح صارت فى عداد الهالكين الذين لا ينفع معهم أحجبة ولا تعاويذ، هكذا إذن.

لم يكن بمقدورها البقاء بالقرية بعد حماقة التوأمين البريئين، كان علينا الرحيل نيونيا نيونيا (أىحسب البيان، دار دار).

أسندنا كيك إلى حائط كوخ وتقدمنا فى الطريق، تركنا كيك عرضة لبشر القرية بينما بقيت سارا فريسة للحيوانات المتوحشة والحشرات، من منهما مصيره أفضل؟ بالتأكيد ليس كيك فالحيوانات قد تُعامل الجرحى أفضل من البشر، إنها قوانين الحرب القبيلية.

حسنا! بما أن كيك سيموت لا محالة أو ربما مات فعلاً فكان واجبًا أن يلقى خطاب التأبين، يروق لى أن أقوله لأنه كان طفلاً لطيفًا ومسيرة حياته لم تكن طويلة (مسيرة أىالطريق الذى سلكه شخص مدى حياته المحدودة فى هذه الأرض، حسب معجمى لاروس).

فى قرية كيك اندلعت الحرب القبلية حوالى الساعة العاشرة صباحًا عندما كان الأطفال بالمدرسة والآباء بالمنزل، وكان كيك بدوره بالمدرسة آنذاك ووالداه بالمنزل، منذ أولى الغارات التحق الأطفال بالغابة وكذلك فعل كيك أيضًا وهناك

اختبئوا طيلة أوقات القصف ولم يغامروا بالرجوع إلى بيوتهم إلا فى اليوم التالى حين انقطع الدوى تمامًا، عندما وصل كيك إلى كوخه وجد أباه وأخاه مذبوحين وأمه وأخته مغتصبتين ورأسيهما مهشتمين وكل ذويه القريبين منهم والبعيدين ميتين، عندما يجد المرء نفسه فجأة وحيدًا على الأرض بلا أب ولا أم ولا أخ ولا أخت، وعندما يكون المرء طفلاً صغيرًا ولطيفًا فى بلد مفلس وهمجى يتناحر أهاليه فيما بينهم، فماذا يمكن أن يفعل؟ بالطبع يصبح المرء طفلاً جنديا أى سمول سولدجير ليبقى على قيد الحياة وليصبح ناحرًا بدوره، فلا خيار له سوى هذا، استطردا (استطردا أىمرورا تدريجيا من وقت إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى ومن فعل لآخر، حسب معجمى لاروس). صار كيك طفلاً جنديا شاطرًا أى سمول سولدجير شاطرًا سلك ممرا مختصرًا وفى طريقه قفز على لغم وفجر رجله، حملناه على محمل مرتجل وأسندناه وهو يحتضر إلى حائط كوخ، وهناك تركناه زوال أحد الأيام عرضة لعقاب الجماعة (أىإجماع الجماعة على تجريم شخص ما أمام الملأ)، وذاك ما أراد الله أن ينتهى إليه الطفل المسكين على الأرض، لله الأمر

فى كل أمور المخلوقات وفى كل الأفعال والأشياء فى هذه الدنيا.

ولى أنا أيضًا الأمر فى سرد قصة حياتى المفلسة وعدم البحث بدأب فى معجم على معنى، تعبتُ من ذلك وسأتوقف عند هذا الحد اليوم، وليذهب العالم إلى الجحيم!

والله (وحق الله)! فافورو! نياموكودى!

(٣)

تتألف الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا من عصابة الموالين ورثة اللص وقاطع الطريق الرئيس صمويل دو الذى مُزق إربًا إربًا عصر أحد الأيام المعتمة فى منروفيا المرعبة، عاصمة الجمهورية الليبيرية المستقلة منذ ١٨٦٠ والله!

بدأ الديكتاتور دو مشواره من رتبة رقيب فى الجيش الليبيرى حيث سئم هو وجماعة من زملائه من عجرفة واحتقار الزنوج السود الأفرو أمريكان المدعوين كونكوس (CONGOS) لأهالى ليبيريا أى الزنوج السود الأفارقة الأصليين المختلفين عن الكونكوس، أحفاد العبيد المحررين الذين يتعاملون بوصفهم مستعمرين فى المجتمع الليبيرى، هكذا يعرف معجمى هارابس السكان الأصليين والأفرو أمريكان،

سئم صمويل دو وزملاؤه الظلم الذى يتعرض له السكان الأهليين فى ليبيريا المستقلة ولهذه الأسباب ثار الأهليون ودبر اثنان منهم مؤامرة ضد الأفرو أمريكان المتعجرفين.

أما الزنجيان الأسودان اللذان دبرا المؤامرة فهما: الكراهن صمويل دو (Samuel Doe) والجيو توماس كيونكبا (Thomas Quionkapa)، الكراهنس والجيوس هما أهم قبيلتين زنجيتين إفريقيتين فى ليبيريا. لذلك يقال إن ليبيريا المستقلة بأكملها قد صارت ضد المستعمرين الأفروأمريكيين المتغطرسين.

من حسن حظ الثوار - أو بسبب أضحيتهم المستجابة - نجحت المؤامرة تمامًا (الأضحيات المستجابة أى أن الزنوج الأفارقة قدموا أضحيات كثيرة طلبًا لحسن الحظ، ولا يتحقق أى طلب إلا لمن تستجاب أضحياته)، بعد نجاح المؤامرة ذهب الثوار فجرًا وسحبوا من الفراش كل الوجهاء والأعيان والأفرو أمريكان، قادوهم إلى الشاطئ، فنزعوا عنهم الثياب وتركوهم بلباس قصير وربطوهم إلى أعمدة ثم أعدموهم رميًا بالرشاشات مثل الأرانب عند طلوع الشمس أمام أعين الصحافة العالمية،

بعد ذلك رجع المتآمران إلى المدينة وقتلا زوجات المعدومين وأطفالهم ثم أقاما حفلاً صاخبًا يعج بزوبعة من البهرجة والسكر.

بعد ذلك هنأ المتآمران بعضهما وقبّل كل واحد منهما الآخر من فمه بكل تهذيب، نَصَّب المتآمران كل واحد منهما الآخر فى رتبة جنرال، ولما كان يلزم رئيسًا واحدًا وحيدًا للدولة فقد أعلن صمويل دو نفسه رئيسًا ووليًا مسلمًا به لا منازع على رأس جمهورية الوحدة الديمقراطية لليبيريا المستقلة منذ سنة ١٨٦٠، ومن حسن الصدفَ أن تزامن الحدث مع مؤتمر رؤساء مجموعة دول إفريقيا الغربية (CDEAO) وبما أن ليبيريا كانت عضوًا فى المجموعة فإن صمويل دو استقل طائرة وهو برتبة جنرال ومنصب رئيس دولة وبدلة مظلى ومسدس فى الحزام واستقل طائرة بوصفه رئيس دولة ليشارك ككل رؤساء الدول فى قمة مجموعة دول إفريقيا الغربية المنعقدة بلومى، وبوصول الجنرال دو تعقدت الأمور حيث أذهَل منظره المبالغ فى التسليح زعماء الدول الأخرى فاعتبروه مجنونًا ولم يقبلوا وجوده بينهم بالمؤتمر فحبسوه فى الفندق

ومنعوه منعًا تامًا خلال القمة من الظهور بالخارج وتناول الكحول، وعقب نهاية القمة أرسلوه بطائرته إلى العاصمة منروفيا كأى أويا أويا (أويا أويا أى حافى القدمين أقرع معتوه حسب بيـــان الخصوصيات القاموسية الفرنسية فى إفريقيا السوداء)، وحـــكم صمويل دو فى عاصمته منروفيا بدون عناء لمدة خمسة شتاءات، وكان يصول ويجول فى جميع أنحاء البلاد ببدلة المظلى وبمسدس فى حزامه مثل زعيم ثورى حقيقى لكن فى يوم ما تذكر توماس كيونكبا، فتجهم وشعر بانقباض وهو بزى المظليين، وتجدر الإشارة لأن صمويل دو انتصر بصحبة توماس كيونكبا وأن هذا الأخير لا زال على قيد الحياة، ناهيك عن أن أدنى لص دجاج بفناء الدواجن يعرف هذه الحقيقة ويرددها: "عندما يحقق المرء إنجازًا مذهلاً بمساعدة آخر فإنه لا يستمتع تمامًا بحصيلة ما نهب إلا إذا أقصى الآخر"، وحتى بعد خمس سنوات من الحكم فإن وجود توماس كيونكبا لا زال يؤثر على معنويات وأقوال الجنرال صمويل دو وتصرفاته.

وللخروج من هذا المأزق ابتكر صمويل مكيدة مضمونة (مكيدة تعنى حيلة حسب معجمى لو بتى روبير). كان الأمر سهلاً يكفى التفكير به: إنها لعبة الديمقراطية وصوت الشعب وإرادة الشعب وسيادته. وكل شيء... وكل شيء.

كان ذلك يوم سبت عندما أعلن صمويل دو عن حفل دعا إليه كبار ضباط الجيش الليبيرى جميعهم وكذا مديرى الإدارات ورؤساء القضاء والزعماء الدينيين، وأمام المجمع (المجمع أى جماعة من الحكماء) ألقى الخطاب التالى:

"كنت مجبرًا على أخذ الحكم بقوة السلاح، لأن الظلم كان متفاقمًا فى البلاد، أما الآن وقد عادت العدالة واستتب العدل والمساواة للجميع فقد حان الوقت لتوقف الجيش عن قيادة البلاد وتسليمها إلى المدنيين وإلى الشعب الحاكم، وفى البداية سأتنازل بنفسى رسميا وعلانية عن منصبى العسكرى وعن زيى العسكرى وعن مسدسى ولأصبح مدنيا".

ثم ألقى مسدسه وخلع بدلة المظليين وقميصه ذات الشارات وسرواله وحذاءه وجواربه حتى بقى عاريًا إلا من اللباس القصير، ثم طرقع بأصبعه وسرعان ما جاء وصيفه

يحمل بدلة وقميصًا وربطة عنق وحذاءً وجوارب وقبعة طرية، وتحت تصفيق الجمهور لبس صمويل دو زيا مدنيا وأصبح مدنيا كآخر أويا أويا فى الجوار.

ابتداءً من تلك اللحظة سارت الأمور بسرعة، فخلال ثلاثة أسابيع طلب دو وضعًا يلائمه ولمدة شهرين طاف فى كل المناطق لإقناع الأهالى بإيجابية الدستور، وفى أيام الآحاد صباحًا، تم التصويت عليه بنسبة ٩٩,٩٩% من الأصوات لأن ١٠٠% لا تعتبر نتيجة نزيهة وإنما أويا أويا.

بموجب الدستور الجديد أصبح البلد فى حاجة إلى حاكم مدنى، لمدة ستة أشهر جال فى المناطق ليؤكد أنه صار مدنيا قلبًا وقالبًا، وفى صباح أحد الآحاد تم التصويت له على منصب الرئيس بنسبة ٩٩,٩٩% من الناخبين بحضور مراقبين دوليين، لأن نسبة ١٠٠% تعتبر أويا أويا وتثير الجدل (الجدل هو الحديث دون توقف لمجرد الاستمتاع بالاغتياب حسب معجم لاروس).

ها هو ذا إذن رئيسًا محترمًا ومهابًا، وتمثل أول عمل ملموس قام به وهو رئيس فى فصل الجنرال توماس كيونكبا

(فصل أى حرم ضابطًا من منصبه، فصله بسبب قذارته ومحاولته القيام بمؤامرة ضده)، لكن الأمور سارت على نحو آخر، فتوماس كيونكبا لم يستسلم إطلاقًا.

قام توماس كيونكبا بالتعاون مع ضباط وكوادر من الجيوش مثله بمؤامرة حقيقية وكان قاب قوسين أو أدنى من النجاح والقضاء على صمويل دو، لذا كان رد فعل هذا الخبر قاسيًا جدا لاسيما بعدما توفرت لديه أدلة قاطعة على خيانة كيونكبا، وذلك ما انتظره كثيرًا. عُذب توماس كيونكبا عذابًا أليمًا قبل أن يعدم فى حين انتشر حرس صمويل دو البريتورى فى جميع أنحاء ليبيريا وقتلوا تقريبًا كوادر الجيوش وأبناءهم وزوجاتهم، وها هو صمويل دو سعيدًا بانتصاره وكونه رئيسًا وحيدًا محاطًا فقط بكوادر ومساعدين من سلالة الكراهنس، وها هى جمهورية ليبيريا تصبح كدولة كراهنس على آخرها، لكن الأمر لم يدم طويلاً فمن حسن الحظ أن ما يناهز ثلاثين إطارا من الجيو وأبنائهم استطاعوا النجاة من القتـــل وفروا هاربين إلى ساحل العـــاج حيث التقـــوا بدكتاتورها هوفويت بوانيى وشكوا له باكين معاناتهم، وللتخفيف عنهم أرسلهم إلى الحاكم

الذى لازال يتوفر لديه معسكر لتكوين الإرهابيين، ولمـــدة عامين كاملين أشـــرف على تدريب ثلاثين كادرًا من الجيـــوس على حمـــل الســـلاح وعلى الإرهاب ثم أعـــاد إرسالهم إلى ساحل العاج حيث اختبئوا فى القرية الواقعة على حدود ليبيريا ولم يحركوا ســـاكنا إلى ذلك اليـــوم المشهود (المشهود أى المصيرى)، يوم ٢٤ ديسمبر من سنة ١٩٨٩ – يوم عيد الميلاد – ففى ذلك اليوم بمنتصف الليل انتظروا أن يغيب جميع حراس مراكز بوتورو (مدينة على الحدود) عن وعيهم سكرًا ليهجموا عليهم، وفعلاً استطاعوا الاستيلاء دون عناء على المركز الحدودى لبورتورو والأسلحة بعدما قتلوا كل حرس الحدود واستولوا على أسلحتهم. وبعد مقتل كل حرس الحدود انتحلوا دورهم واتصلوا هاتفيا بالقيادة المركزية لمنروفيا مبلغين إياها عن الهجوم المفاجئ الذى تعرض له حرس الحدود وكيف استطاعوا مواجهته وحاجتهم الماسة إلى العون وسارعت القيادة العامة بإرسال المساعدة لكن سرعان ما سقط جنودها فى الفخ، فقُتلوا جميعهم وسُلبت أسلحتهم، وهكذا غنم الجيوس عتادًا وأسلحة كثيرة، وهكذا قيل بعد ذلك أو

بالأحرى قال المؤرخون إن الحرب القبلية بليبيريا اندلعت يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٨٩ أى قبل عشر سنوات من الانقلاب العسكرى الذى وقع لدى حـــارستها ســـاحل العـــاج، واعتبـــارا من ذلك التاريخ تفاقمت متاعب صمويل دو تدريجيا حتى وفاته، وسنتحدث عن ذلك لاحقًا، أما الآن فلا وقت لدى، نياماكودى!

لم يكن الغرباء مرغوبًا فيهم لدى حركة الوحدة الليبرية وذلك وفقًا لقوانين الحرب القبلية، بمجرد وصولنا حكينا لرجال صمويل دو القصة الصغيرة التى حبكناها حول وطنيته وكرمه والخير الذى يعم ليبيريا بأكملها فى عهده وتضحياته الجسيمة من أجل وطنه ... إلخ، استمع رجال صمويل دو لخطابنا طويلاً بكل تقديس وطالبونا بتسليم السلاح، ففعلنا بكل ثقة، ثم جاءوا بالقرآن والأحجبة ودعونا للقَسم عليها أننا لسنا لصوصًا ولا أحد منا كذلك لأن اللصوص ما أكثرهم هناك وقد سئموا من كثرتهم ولا حاجة لهم بآخرين، بعد ذلك أقفلوا علينا داخل السجون كريك كريك.

وفى سجون الحركة المتحدة لتتحرير ليبيريا كان الأكل مقرفًا وقليلاً للغاية (مقرف أى لا يحتمل)، كان ياكوبا المبادر الأول من شكوى سوء الظروف؛ صرخ عاليًا: "إننى كركريمان وعراف كبير ومتخصص فى الحماية ضد الرصاص الصفار"، لكنهم لم يسمعوه فصرخ بصوت أعلى: " أبعدونى من هنا وإلا عوذتكم، عوذتكم كلكم"، فجاءوا فورًا فى طلبه ولكنه امتنع عن الخروج بدونى واشترط أن أرافقه.

أرسلونا على القيادة المركزية لدى الجنرال أونيكا بكلاى دو الذى كان امرأة (من المفروض أن نقول جنرالة بالمؤنث حسب معجم لاروس "جنرالة" تعنى زوجة الجنرال وليس الجنرال نفسه إن كانت امرأة)، هكذا قدمونا للجنرال أونيكا بكلاى دو التى سعدت جدا بالعراف ياكوبا، كان لها عراف خاص لكنه غير مسلم، وقد بدأت تشك فى عمله وطرقه نظرًا لبعض الأحداث الأخيرة، وبمجىء ياكوبا سيكون الاثنان تحت إشارتها وذلك أفضل لها.

أما أنا فقد أرسلونى عند الأطفال الجنود هنا وأرشدونى إلى بندقية الكلاش التى سأتناوب عليها أنا وأربعة أطفال

آخرين، كانت أجود من بندقيتى عند الجبهة الوطنية القومية لليبيريا.

ولدى الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا كان الأطفال الجنود يعاملون بعناية، فقد كنا نأكل جيدًا ونحصل على قدر من المال بالدولار وذلك مقابل حراسة المنقبين عن الذهب، أردت ادخار شىء من المال ولم أشأ تبديد كل ما أربح فى شراء المخدرات أسوة بباقى الأطفال الجنود الآخرين، لذلك اشتريت كمية من الذهب احتفظت بها داخل تعويذة أحملها دومًا معى، أردت أن أهدى خالتى شيئًا يوم لقائها، فافورو!

كانت الجنرال بكلاى من نوع خاص من الشخصيات، امرأة غريبة الأطوار، لها طريقتها الخاصة، كانت تعاقب اللصوص جميعهم بالشكل نفسه – بالرصاص – سواءً سرقوا إبرة أم ثورًا، فاللص لص ويجب إعدامه، كان ذاك إنصافًا.

كانت قرية سانيكوللى – عاصمة الجنرال – قبلة اللصوص، وكل لصوص جمهورية ليبيريا جميعهم يلتقون هناك بسانيكوللى، حتى الأطفال الجنود يعرفون ذلك وغالبًا ما يحدث ويستيقظون عارين تمامًا بعدما سرق منهم اللصوص كل

شىء حتى ألبستهم الداخلية، غارقين فى النوم تحت تأثير المخدرات فيُعثر عليهم يا ربنا كما خلقتنا، بالقرب من كلاشاتهم.

عندما يُضبط اللصوص متلبسين بالسرقة، (أى مقترفين جريمة الرقة علانية) يقبض عليهم فى الأسبوع ذاته ويقيدون داخل السجن ومهما بلغ بهم الجوع بمقتضى قانون الطبيعة فإنهم لا يستطيعون الأكل أبدًا بسجون بكلاى.

يوم السبت صباحًا حوالى الساعة التاسعة يساق السجناء بقيودهم إلى ساحة السوق حيث يتجمع السكان كافة، فيُنطق بالحكم علينا أمام الجميع، فالأمر يستدعى مساءلة المتهم هل سرق أم لا، فإن أجاب بنعم يحكم عليه بالإعدام، وإن أجاب بلا يفحم بالشهود، ويحكم عليه بالإعدام أيضًا (أفحم أى أحاله الصمت بإثبات الخطأ عليه)، وفى كلتا الحالتين الأمر سيان، كيف كيف، فالمتهم يحكم عليه دومًا بالإعدام ويساق فورًا إلى باحة الإعدام.

يعطى المتهمون طبقا من الأرز المدخن بصلصة مع قطع كبيرة من اللحم، فينهالون عليها كحيوانات مفترسة من

فرط جوعهم، يبدو أن الأكل شهيا ولذيذاً لدرجة أن العديد من المتفرجين يتمنون أن يحلوا محل المحكوم عليهم الذين يأكلون بشراهة ونهم إلى حد الشبع والتخمة ثم يودعون أصدقاءهم، وسواءً كانوا كاثوليكًا أم لا، يمر كاهن ليمنحهم المسحة الأخيرة، بعد ذلك يُربطون فى أعمدة وتوضع عصابة على أعينهم، يبكى بعضهم مثل أطفال عفنين، لكن أغلبهم يتملظون، ويقهقهون بصوت عال لأنهم سعداء وفرحون بأكل الوجبة الشهية. ومع ذلك، نعم مع ذلك لا يستثنى أن يكتشف بعض المتفرجين بذهول أنهم خففوا من حقائب نقودهم (خفف أى سرق حسب معجمى لاروس) وذلك للعدد المهول من اللصوص المتواجدين فى مدينة سانيكوللى، عدد لا يكفى معه إعدام بعضهم ليتخذهم الآخرون عبرة، فافورو.

من ناحية الأصل والنسب كانت أونيكا الأخت التوأم لصمويل دو، وكانت فى موقف الدفاع عن النفس إبان مؤامرة الأهليين ضد الأفرو أمريكان (الدفاع عن النفس هو بالنسبة للفتاة، التنقل من نقطة إلى أخرى أى الدعارة)، كانت تسمى وقتئذ أونيكا دوكوى، وبعد نجاح المؤامرة عيَّنها أخوها نقيبا فى

الجيش الليبيرى، فغيرت اسمها واختارت أن تنادى ببكلاى، بكلاى لأنه اسم يوحى بالزنوج السود الأفرو أمريكان، ومهما قيل، أن يكون المرء أفرو أمريكيا فى ليبيريا فذلك يعطيه نوعًا من الهيبة والنفوذ لا يتوافران لدى الزنوج الأفارقة الأصليين.

عقب رجوعه من قمة رؤساء الدول الأفريقية الغربية CDEAO بلومى عين صمويل دو الرقيب بكلاى ملازمًا أولاً وألحقها بحراسته الخاصة، وبعد مؤامرة الجيو عينها قائدًا للحرس الجمهورى، وعقب موت أخيها ممزقًا إربًا إربًا عيَّنت نفسها جنرالاً وزعيمة لجهة سانيكوللى، هى ذى الجنرال بكلاى؛ امرأة ماكرة لا تنطلى عليها حيل الأويا أويا من الرجال، والله!

كانت الجنرال أونيكا امرأة صغيرة ونشيطة مثل جدى خُطف منه صغيره، كانت تشرف على كل شيء بنفسها بشارات الجنرال وبالكلاش، وتتنقل فى كل مكان بسيارة 4X4 مليئة دوما بحرسها الشخصى المسلح تمام التسليح، أما طريقة إدارتها فكانت عائلية حيث كان التدبير اليومى موكلا لابنها جونى باكلاى دو، العقيد وقائد الفيلق الأكثر تدريبًا على الحروب

وتعودًا على ضراوتها، كان جونى باكلاى دو هذا متزوجًا بثلاث نساء، كلهن قائدات يسيرون القطاعات الثلاثة الأكثر حيوية: المالية والسجن والأطفال الجنود.

كان سينا هو اسم القائدة التى تعنى بالمالية، كانت ملانكية أو مانديكو بلغة البدنجان الأفرو أمريكان، وكنت مهمتها تتمثل فى تحصيل ثمن إيجار الأرض الذى يجب على المنقبين عن الذهب دفعه دورية كل ثلاثة شهور كانت مسلمة لكن ما أبعدها عن الإنسانية حيث كانت تعتبر كل المنقبين عن الذهب الذين لا رخصة لهم لصوصًا وتبيح دمهم صباح السبت، فتقتلهم بالرصاص وتنطلق مقهقهة تعبيرًا عن سعادتها.

أما القائدة المكلفة بالسجون فكان اسمها منيتا وكانت بروتستانتية ذات قلب طيب وعلى مستوى عال من الإنسانية، كانت تسمح للسجناء بالأكل رغم أنهم ممنوعون من ذلك، كما أنها كانت تقوم بإمتاع من لم يبق له من الحياة إلا سويعات معدودة، والله يرى ويجازى على مثل هذه الأفعال فى السماء.

أما التى تشرف على الأطفال الجنود فكانت تسمى "ريتا بكلاى" وكانت تحبنى كما لا ينبغى وتناديني بابن العراف

ياكوبا وتمنحنى ما أريد ولا ترفض لى طلبًا، كما كانت تدعونى من حين لآخر - خصوصًا فى غياب العقيد جونى بكلاى - إلى منزلها وتقدم لى طبقًا تحضره بنفسها على مهل وبكل حب، أتناوله بشهية بينما هى لا تتوقف طيلة الغذاء عن النظر إلى وترديد: "ما أجملك يا براهيما، ما ألطفك، هل تعرف أنك جميل ولطيف؟" بعد الغذاء تطلب منى دومًا نزع ثيابى فأستجيب بكل طاعة، ثم تلامس عضوى فأنتصب كالحمار لكننى لا أفتأ عن الهمس: لو رآنا العقيد بكلاى فلن يروق له هذا، تهمس لى بدورها: "لا تخف إنه غائب".

كانت تقبل مرارًا وفى الأخير تبلعه كما يبلع الثعبان فأرًا، كانت تستعمله كمسواك صغير، بعدئذ أترك منزلها مصفرًا مزهوا منتشيًا. نياماكودى!

كانت سانيكوللى مجمعًا سكنيا ضخمًا على حدود مناجم الذهب والماس، ورغم الحركة القبلية فإن التجار الأجانب يغامرون بالمجىء إليها تحت إغراء ثمن الذهب البخس (غامر أى جازف، إغراء أى انجذاب)، كان كل شىء تحت إمرة الجنرال أونيكا بسانيكوللى التى لها الحق فى حياة وموت الجميع، كانت تتجاوز وتتعسف كما يحلو لها.

تتكون سانيكوللى من أربعة أحياء: حى الأهليين وحى الغرباء وبين الاثنين هناك السوق حيث يُعدم اللصوص أيام السبت، وفى الطرف الآخر عند سفح التل يقع حى اللاجئين وعلى قمته نعيش نحن الأطفال الجنود فى معسكر محدود بجماجم بشرية محمولة على أوتاد، وذلك وفق قوانين الحرب القبلية.

على السهل بعيدًا عن التلال هناك النهر والمناجم والأماكن جميعها يحرسها الأطفال الجنود، أما المناجم حيث يُغسل الذهب والماس فهناك الفوضى المضاعفة، أرفض وصفها لأنى طفل شارع وأفضل ما أشاء ولا أهتم بأحد، لكنى سأتحدث عن أرباب العمل الشركاء وهم أصحاب المناجم الحقيقيون والزعماء الحقيقيون، ملاك الأماكن الأصليون يسكنون حيث يشتغلون وتعتبر مساكنهم ومنازلهم قلاعًا يحرسها دومًا أطفال جنود مسلحين تمام التسليح ومخدرين حتى فقدان الوعى، أنى يكون هؤلاء الأخيرون هناك دائمًا جماجم بشرية محمولة على أوتاد ويملك أرباب العمل الشركاء الكثير من المال لأن كل منقب عن الذهب تابع لرب عمل شريك.

فى بداية مشواره لا يملك المنقب عن الذهب شيئًا عدا لباسه الداخلى، ويمول رب العمل الشريك كل شىء من المجارف إلى القفف مرورًا بالأكل والمصروف الشهرى الذى لا يتجاوز نصف دولار أمريكى كحق استغلال الأرض.

وإذا حدث وأصاب المنقب ضربة قوية أى إذا حالفه الحظ واكتشف تبرًا فإنه يؤدى إلى رب العمل الشريك كل مستحقاته، وذاك ما يحدث نادرًا لأن الضربة القوية لا تحدث إلا بعد أن يكون المنقب مدينًا إلى عنقه لرب العمل الشريك، وهذا أى أنه دومًا رهن إشارة هذا الأخير الذى غالبًا يكون لبنانيا وغالبًا ما ينتهى به الأمر إلى القتل، نعم فى كثير من الأحيان يقتلون ببشاعة حيث إنهم يشبهون الأفاعى (الأفعى شخص يغتنى من استغلال الآخرين حسب لو بتى روبير).

يُعد مشهد منقب اكتشف تبرًا مشهدًا يستحق فعلا الرؤية، يستحق أن ينتقل الإنسان من مكانه لرؤيته، إنه ارتجاج بحق! إذ سرعان ما يصرخ الرجل طالبًا حماية الأطفال الجنود الذين يهرعون، وهم تحت تأثير المخدر ويحيطون به ويقودونه إلى رب عمله الشريك الذى يحسب مستحقاته ويؤدى الرسوم

ويخصم أجر الأطفال الجنود الذين قاموا بحراسته، ويعطى الباقى - إن وجد باقٍ - للمنقب الذى تبدأ عندئذ رحلة معاناته، حيث يضطر إلى استئجار حارس شخصى إلى أن يستنفد ما تبقى له من مال، ولأن الحارس بالضرورة طفل جندى دائم الحاجة إلى الحشيش والمخدرات فإن خدمته تكون مكلفة وغالية للغاية.

فى إحدى الليالى المعتمة انتهز قطاع طرق مسلحون تمام التسليح الفرصة ودخلوا إلى سانيكوللى ثم تسللوا خفية بين الأكواخ، فانتهوا إلى حى أرباب العمل الشركاء وحوَّطوا منزلين من منازل أرباب العمل الشركاء (حوَّط منزلاً أى حاصره وقطع أية إمكانية للاتصال)، لم يكن الأمر صعبًا لأن كل الحنود والسمول سولدجير كانوا مخدرين تمامًا، فاجأ اللصوص أرباب العمل الشركاء وهم نيامًا وتحت تهديد الكلاش، طالبوهم بتسليمهم مفاتيح الخزائن ففعلوا ثم سرق قطاع الطرق ما استطاعوا من محتوى الخزائن؛ وعند رحيلهم عندما أرادوا اقتياد أرباب العمل الشركاء وامتنع أحدهم محدثًا احتدامًا أيقظ أحد الأطفال الجنـــود الذى بادر بإطلاق النـــار،

فلا غرو لأن الأطفال الجنود لا يعرفون شيئًا آخر عدا إطلاق النار، وذلك ما أحدث عراكًا عامًا وطلقات من كافة النواحى وكانت الحصيلة عديدًا من القتلى، والله! خمسة أطفال جنود وثلاثة جنود لقوا مصرعهم، أما الخزائن فنُهبت عن آخرها وفر اللصوص قطاع الطرق مصطحبين اثنين من أرباب العمل الشركاء؛ كان مشهدًا يستحق المتابعة منظر مؤسف للغاية؛ صرعى فى كل مكان من الجنود والأطفال الجنود وخزائن منهوبة واثنين من أرباب العمل الشركاء مختطفين، ولم يكن الأطفال الجنود الذين قُتلوا من أصدقائى ولم أكن أعرفهم لذلك لم أصل عليهم صلاة تأبين، لست مجبرًا على ذلك، نياماكودى! حضرت أونيكا بكلاى إلى المكان - مسرح الجريمة - ولم تتمالك نفسها من البكاء، يجب رؤية ذلك المشهد؛ مشهد جدير بالمتابعة، مجرمة من نوع أونيكا تبكى الموتى، يا لها من دموع التماسيح! لم تكن تبكى الموتى ولكن خاصة ما قد تخسره.

كانت سياسة أونيكا قائمة على حماية أرباب العمل الشركاء، فبدونهم لن يكون هناك منقبون ولا استغلال مناجم وبالتالى لن يكون هناك دولارات، كانت تتباهى بضمان أمن

أرباب العمل الشركاء، وهاهما اثنان منهم قد خطفوا واختفوا ليلاً في قلب سانيكوللى، وها هم الشركاء الآخرون يتأهبون للرحيل وإغلاق محلاتهم، وها هو نظام أونيكا مشرف على الانهيار.

كانت أونيكا مثل المجنونة، كان ينبغى مشاهدة هذه المرأة صغيرة الحجم بكل ما ترتديه من زى رسمى وشارات وهى تصرخ كالمعتوهة: "لا ترحلوا، لا ترحلوا، سأبحث عنهما، وأعيدهما، إنهما بنيانكبو، أعرف ذلك، إنهما هناك".

كانت تلك المرة الأولى التى اسمع فيها اسم نيانكبو، هناك حيث توجد خالتى، ومن هنا جاء اللصان قاطعا الطريق.

بعد يومين من خطف أرباب العمل وصلت مطالبة فدية، طالبوا بعشرة آلاف دولار لكل واحد من المخطوفين، "عشرة آلاف دولار، أين أجدها أين؟ "وصرخت الجنرال أونيكا هذا كثير... كثير جدا؟ أين عسانى أجدها؟ من أين عسانى أنتزعها؟

بعد ذلك مباشرة بدأت المفاوضات، اقترحت بكلاى ألفى دولار لكل رب عمل معاون، لكن اللصوص - رغم استعدادهم للتفاهم - لم يقبلوا أقل من ثمانية ألف دولار وإلا ذبحوا

الرهينتين، تواصلت مفاوضات شاقة وطويلة لأن نيانكبو مدينة مفتوحة وحرة، لا تقع تحت سيطرة أى فصيلة وبالتالى من المفروض أن تبقى محايدة وألا تسمح بعمليات من نوع اختطاف الرهائن، لكنها سمحت بذلك، وذاك خطأ يجب أن يتحمله سكانها، وذاك ما كانت الجنرال أونيكا تردده دون توقف، بينما كانت المفاوضات مستمرة كانت الجنرال أونيكا تهيئ خفية خطة للاستيلاء على نيانكبو بالقوة، أما نحن الأطفال الجنود فقد بدأ السير نحو نيانكبو رابع يوم بعد عملية الاختطاف، كانت المسيرة تتم ليلاً، أما نهارًا فكنا نبقى مختفين فى الغابة لتفادى القيام بحماقات على الطريق، حُرمنا من الحشيش تمامًا حتى صرنا من شدة الوهن مثل دود الأرض تبدو علينا الحاجة إلى المخدرات جليا، كنا نمشى تائهين، لا نعرف ما الذى يجب فعله، نطالب دون توقف بشىء من المخدرات ومع ذلك احترمنا الأوامر خلال يومى السفر بأكملهما، وأخيرًا ها نحن صباح يوم الأحد نقف على مشارف نيانكبو فرحين بنهاية الرحلة، بمجرد وصولنا أنزلونا فى مكان مخصص لنا وأعطونا المخدرات بوفرة، كنا الأوائل نتصدر

الصفوف روادًا وفى أهبة الهجوم، كنا أقوياء بالمخدرات وواثقين تمامًا من أحجبتنا، كان وراءنا فيلق من الجنود متبوعًا بالقيادة المركزية وعلى رأسها الجنرال أونيكا شخصيا تقود العملية وتصر على الحضور بنفسها لمعاقبة سكان نيانكبو، حولها كان العرافان ياكوبا والعراف القديم المدعو سوكو والمنتسب للكراهن، كان سوكو يرتدى على رأسه وحول الوركين ريشًا فى كل فصول السنة، أما جسده فكان مزركشًا بالصلصال الصينى (مزركش أى مخطط بألوان)، بدأ الهجوم عند طلوع الفجر بعدما تسللنا بمقربة من الأكواخ الأولى، كان كل خمسة أطفال جنود يستخدمون كلاشينكوفًا واحدًا بالتناوب، وهكذا هجم أول فوج، وعلى حين غرة سمعنا زوبعة من الطلقات ردًا على بداية هجومنا حيث كان سكان نيانكبو وجيشها فى انتظارنا ولم تكن هناك أدنى مفاجئة إذن.

سقط أول مستعمل للكلاش فاستبدل بآخر فخر بدوره صريعًا وكان ذلك مصير الثالث، ولما جاء دور الرابع تراجعنا تاركين أمواتنا فى الميدان ومضطرين لإعادة النظر فى الاستراتيجية الكلية التى وضعتها الجنرال أونيكا، حل محلنا

جنود فى الصفوف الأولى من القتال وأشرفوا على جمع جثث الموتى.

كان علينا نحن الأطفال الجنود الالتحاق بالقيادة المركزية لنستفسر عما حدث لأحجبتنا الحامية بعد أن صار مؤكدًا أننا ارتكبنا أخطاءً فادحة جعلت حمايتنا باطلة، وبحصيلة ثلاثة صرعى من أول اشتباك، وبالفعل وبعد سلسلة من الأبحاث تبين أننا انتهكنا فعلاً المحرمات بتناول لحم الجدى (انتهك أى خرق)، وذاك أمر غير مسموح به إبان الحرب حينما تلبس أحجبة الحماية. احمررت غيظا أو بالأحرى استشطت غيظًا، فالاحمرار من الغضب من خاصيات البيض، أما السود مثلى فلا يمكنهم ذلك، كنت ثائرًا من لا مبالاة العرافين (لا مبالاة أى سخافة حسب معجم لاروس)، يا للمهزلة لمجرد تناولنا لحم الجدى حصدنا ثلاثة موتى حسب العرافين، يا لها من بلاهات خرافية! بكيت لحزن أمهاتهم، بكيتُ كل الآمال التى لم يعيشوها بعد، تعرفت بين الجثث على سيكو الرهيب.

بالنسبة لسيكو أويدراوكو الرهيب كانت مصاريف المدرسة هى سبب وقوعه فى جحيم الأطفال الجنود، كان أبوه

حارسًا لإحدى الفيلات الفخمة فى منطقة دوبلاطو فى مدينة أبدجان الكبرى حيث هاجم بعض قطاع الطرق صاحب الفيلا البورجوازى الثرى فاتهم حارسه بالتواطؤ، وفى غياب عدالة للفقراء فى هذه الأرض فإن أبا سيكو عذب وسجن، فانقطعت مصاريف مدرسته شهرا ثم شهرين ولما وصلت ثلاثة استدعى مدير المدرسة سيكو وقال له: "إنك مطرود ولا يمكنك الرجوع إلى المدرسة إلا إذا دفعت المصاريف".

كانت أم سيكو وتسمى بيتا وقالت بيتا لابنها: "لا عليك سأتدبر الأمر وآتيك بالمصاريف"، كانت بيتا تبيع الأرز المطهو ويدين لها عمال موقع بناء بخمسة عشر ألف فرنك CFA، وهو قدر كاف لتسديد مصاريف سيكو الشهرية، لكن سيكو انتظر أسبوعا ثم آخر بأكمله دون أن يكون هناك جديد فى الأمر، ففكر بعمه الذى يعيش ببوركينا فاسو علما بأن أباه غالبا ما حدثه عن بوكارى، أحد إخوانه أى عم سيكو، وكان سائقًا ولديه دراجة نارية وضيعة فى وجادوجو الكبيرة، تحايد سيكو بالقطار (تحايد أى استقل القطار دون أن يدفع ثمنه)، لكن أمره كُشف عند الوصول وأرسِل إلى قسم الشرطة المركزى

به احاده حه .

- أين والديك؟

- جئت أبحث عن عمى، اسمه بوكارى، عنده دراجة نارية ومنزل.

لكن العثور على بوكارى صاحب الدراجة النارية والمنزل فى واجادوجو الكبرى كالعثور على حبة ذرة بها نقطة سوداء داخل كيس من الذرة البيضاء، بقى سيكو يتسكع أسبوعًا بالمخفر المركزى فى انتظار أخبار عن عمه، فى الأسبوع التالى بينما لازال البحث جاريا انتهز سيكو فرصة سهو الحراس، فهرب واختفى فى واجادوجو الكبرى، ومن يومها بدأ التيه (التيه أى التشرد)، خلال ضياعه شاهد حافلة متجهة إلى أبدجان على متنها سائق وحيد لأن صبيه تركه نظرًا لعدم دفعه لأجره، سارع سيكو إلى التطوع للعمل دون مقابل فتمت الصفقة وأصبح بموجبها سيكو صبيا سائقًا لصاحب سيارة يدعى مامادو، سحب مامادو سيكو خلف الحافلة وشرح له مهمة هذه الأخيرة، مهمة سرية للغاية لا يجوز التحدث عنها حيث تحمل خفية أسلحة لأنصار تايلور بليبيريا لذلك لن تذهب مباشرة إلى أبدجان، وبالفعل جاء عساكر بزى مدنى ليلاً

وتركوا مامادو وسيكو بالفندق بينما ذهبوا لشحن الحافلة ولم يعودوا إلا فى اليوم التالى حوالى الساعة الرابعة صباحًا بعد تحميل الحافلة بإتقان ومهنية، فأيقظوا سيكو ومامادو وصعد بجانب مامادو واحد منهم إلى مقصورة الحافلة وضابط بزى مدنى بينما قعد الآخر وسيكو على الطرود المعبأة بعناية، ثم أخذوا وجهة الحدود الليبيرية الإفوارية، ولم يتوقفوا إلا على الحدود عندما خرج من الغابة عدد من المغاوير (مغوار أى مقاتل فى حرب العصابات)، وأخذ مغوار محل مامادو فى قيادة الحافلة وصعد ثلاثة آخرون فوق الحمولة ورحلوا مع الضباط بينما طلب من سيكو ومامادو الانتظار فى غينة، وكان صاحب الغينة سكيرًا فكهًا يقهقه ويطبطب على أكتاف زبائنه ويصدر ريحًا من حين لآخر (غينة مكان يلجأ إليه رجال المقاومة، وفكه أى مضحك وهزّال)، بينما كان السكير يزاول هذه الحماقات فوجئ الجميع بظهور أربعة أشخاص أقوياء البنية وملثمين أتوا من الغابة فتوجهوا نحو سيكو ومامادوا وسددوا السلاح نحوهما وأمروهما بمرافقتهم، ثم صرخوا بوجه صاحب الغينة الذى كان يرتعد مثل ورقة:

- سنأخذهما كرهائن مقابل خمسة آلاف فرنك CFA، يجب أن تسددها حكومة بوركينافاسو فى أجل لا يتعدى خمسة أيام لا يزيد دقيقة واحدة وإلا سنعيد لكم رأسى الرهينتين على طرف مدارة، مفهوم؟

- أجاب صاحب الغينة وهو يرتعد خوفًا: مفهوم.

أخذ الرجال سيكو ومامادو نحو الغاب بعد تعصيب أعينهم حتى وصلوا إلى كوخ من قش فربطوهما فى عمودين، خلال ثلاثة الأيام الأولى كان هناك ثلاثة أشخاص يقظين يقومون بحراستهما، لكن فى اليوم الرابع لم يبق إلا حارس واحد بدا نعسان، لذلك توصل سيكو ومامادو إلى فك قيودهما والهرب فى الغابة، من هناك سلك مامادو طريقًا مستقيمًا دون أن يلتفت يمينًا ولا يسارًا انتهى به إلى قرية يسكنها أطفال جنود، تقدم سيكو إلى رئيس التنظيم دون تردد قائلاً: "أنا سيكو أويدراوكو وأريد أن أكون طفلاً جنديًا".

أما كيف استحق سيكو صفة المزعج، فتلك قصة أخرى يطول شرحها، ولا مزاج لى لحكيها لأنى لست مجبرًا على

ذلك، ولاسيما لأنها تؤلمنى بل تؤلمنى جدا، بكيت دموعًا ساخنة لرؤية سيكو صريعًا وميتاً بهذه الصورة! يدعى العرافون أن لحم الجدى هو السبب فى ذلك كله! فافورو!

على مقربة من سيكو كانت هناك جثة صوصو الفهد.

صوصو الفهد هو طفل من مدينة صلالا الليبيرية، كان والداه حيين يرزقان، كان أبوه يعمل حارسًا وعاملاً فى محل تاجر لبنانى لكنه كان يجيد بالخصوص شرب نبيذ السعف والخمر، وكان يدخل كل مساء إلى بيته مخمورًا إلى حد عدم تمييز زوجته من ابنه، وكان يصرخ مثل ابن أوى ويكسر كل شيء لبيت ويضرب زوجته وابنه الوحيد، كان صوصو وأمه يرتعدان من الخوف كل مساء لأن رب الأسرة سيعود مخمورًا إلى حد عدم تمييز ثور من ماعز وسيحتفى بهما.

فى أحد المساءات بينما سمعاه من بعيد قادمًا يقهقه ويجدف (جدف أى شتم وسب)، فكر صوصو فيما ينتظره هو وأمه فهرعا قابعين فى قاع المطبخ، وعندما دخل الأب ولم يلمح أحد حنق بشدة وراح يكسر كل شيءعندئذ خرجت أم

صوصو من المطبخ ترتعد وتبكى محاولة تهدئته لكنه رماها بآنية أصابتها فبدأت تنزف، أخذ صوصو سكين مطبخ وبدموع تنهمر كالسيل طعن أباه طعنة قاتلة، فصرخ كضبع ومات بعد قليل.

لم يبق - لقاتل أبيه - سوى الالتحاق بالأطفال الجنود.

عندما يجد المرء نفسه بلا اب أو أم ولا أخ ولا أخت ولا قريب ولا قريبة وعندما يصبح المرء وحيدًا لا حول له ولا قوة الأفضل له أن يصبح طفلاً جنديا؛ فهذه المهنة وجدت لأمثال أولئك الذين لم يبق لهم شيء فى الأرض أو فى السماء.

أما كيف استحق صوصو لقب الفهد فهذه قصة أخرى جد طويلة ولا مزاج لى لحكيها لأنى لست مجبرًا على ذلك ولاسيما أنها تؤلمنى، تؤلمنى أشد الألم، بكيت دموعًا ساخنة لرؤية صوصو صريعًا وميتًا بهذه الطريقة... وكلما تذكرت هراء العرافين وادعاءهم أن كل ذلك بسبب أكل الجدى فى وقت غير مناسب ازددت غضبًا وحنقًا، فافورو!

دفناهم جميعا فى قبر واحد وكل ما علمناه بعدما أغلقناه عليهم هو إطلاق زوبعة من الرصاصات بالكلاش، فلا يمكننا أن نقيم مراسيم جنائزية ونحن على جبهة القتال.

كانت أونيكا تعتقد بنسبة مائة بالمائة فى حماقات العرافين وادعائهم أن موت الأطفال الجنود الثلاثة كان بسبب أكل لحم الجدى فى وقت غير مناسب، كان لزامًا علينا إذن رد الأهلية إلى أحجبتنا، وتلك عملية تتطلب أن نتواجد على ضفة جدول ولم يكن انتقاء هذا الجدول بالأمر اليسير، لأن العرّافين لم يتفقا على مكان واحد إلا بعد تدخل أونيكا التى صرخت وهددت حتى تم الاتفاق بين العراف الوثنى والعراف المسلم.

جلست أونيكا وابنها وزوجاته بينما بقى أعضاء القيادة المركزية واقفين من حولهم، ثم جىء الأطفال الجنود كلهم وكان عددهم زهاء الثلاثين، وكنت مثل أغلبية زملائى لا أثق بحماقات العرافين، بل كنا نضحك خفية طيلة عملية إعادة الأهلية، جعلَنا العرافون نصطف فى طابور واحدًا وراء الآخر ثم أمرونا بترديد دعاء قصير:

أرواح الأجداد، يا أرواح الأجداد

أرواح الماء، أرواح الغاب، أرواح الجبل

أرواح الطبيعة كلها، أعلن بخضوع أننى أخطأت،

أطلب عفوكم نهارًا وليلاً أيضًا، فقد أكلت لحم

الجدى ونحن فى غمرة الحرب.

بعد ذلك رمينا أحجبتنا وعملنا منها ركامًا أحرقناه، فصار رمادًا قذفنا به إلى الماء.

ثم خلعنا ثيابنا كلها وتعرينا تمامًا بلا حياء رغم وجود نساء معنا من بينهن سيتا بكلاى ومونيتا بكلاى وريتا بكلاى التى ما إن رأتنا عارين وخاصة أنا حتى تذكرت تلك اللحظات الممتعة التى قضيناها معًا، نياماكودى!

مر العرافون أمام كل طفل وبصقوا على رأسه ثم فركوا شعره بالبصق، بعدئذ أذِن للأطفال بالنزول إلى الماء، ففعلوا بفرح وضجة، وبعد برهة من العوم والضجة أمر الأطفال بترك الماء فامتثلوا ووقفوا جميعًا على الضفة اليمنى حتى جفت أجسادهم، ثم نزلوا إلى الجدول عارين حتى جسر صغير سلكوه

للوصول إلى الضفة اليسرى حيث تركوا ثيابهم وأسلحتهم فارتدوها واصطفوا فى طابور من جديد وأعطى كل واحد منهم حجابًا جديدًا، ضحكت خفية أنا ومجموعة من زملائى لأننا لم نكن نؤمن بخرافات الأحجبة، نياماكودى!

دامت الهدنة أربعة وعشرين ساعة أوهمنا خلالها سكان نيانكبو أننا أخذنا أمواتنا واختفينا فى الغابة دون رجعة، لكن فى الصباح الباكر بل الباكر جدا عاودنا المعركة باحتدام ونار متأججة ومجنونة، لكننا لم نفاجأهم هذه المرة أيضًا، فمن أول تاك تاك ردوا علينا بزوبعة من الطلقات، كنا منبطحين أرضًا عندما أصيب جنديان نا رغم أحجبة العراف الوثنى والعراف المسلم، مات الجندى الأول فى الحال بينما أصيب الآخر بجرح خطير، لم يكونا أطفالاً جنودًا هذه المرة نظرًا لعدم وجود هؤلاء فى المقدمة، لم نفاجئهم إذن رغم أننا هاجمنا من جنوب القرية من ناحية الجدول وليس من الشمال كالمرة السابقة، وهذا أى أن القرية كلها محاطة بجنود مسلحين بالكلاش، وها نحن من جديد منبطحين أرضًا.

كان علينا التفكير فى استراتيجية جديدة غير أحجبتنا البلهاء، وبدل ذلك لجأت أونيكا إلى العرّافين المعتوهين اللذين جمعا عددًا من الجنود وبضعة أطفال جنود من بينهم الرأس المحروقة لمناقشة الخطة المزمع اتباعها فاستمر الاجتماع حتى المساء.

فجأة تقدم الرأس المحروقة ماسكًا بعدد من الأحجبة والكلاش نحو الأكواخ الأولى من القرية تقدم وهو يطلق الرصاص مثل المجنون، يطلق دون توقف مثل عشرة جنود غير عابئ برد الجنود المواجهين الذين يجيبون على إطلاق الرصاص بإطلاق الرصاص، كان يجب رؤية ذلك لتصديقه، والله! كان يتقدم وسط الطلقات برباطة جأش ورجولة لدرجة أن الخصوم استسلموا مرعوبين ولاذوا بالفرار تاركين أسلحتهم، وكان ذلك ما ينتظره جنودنا، وعندئذ صرخوا وانقضوا على الأكواخ الأولى، فخرج سكانها الهلعون رافعين أيديهم يرفرفون بأعلام بيضاء أمام دهشتنا، وكذلك صار الأمر فى كل مناطق القرية حيث خرج باقى السكان بأعلام بيضاء.

هكذا نجح الرأس المحروقة بشجاعته وأحجبته فى غزو قرية نيانكبو، وعندما رأى الخصوم الرأس المحروقة يتقدم برشاشته ظنوا أن أحجبته الواقية أقوى من أحجبتهم، لذلك ذعروا وفروا هاربين.

أما أنا فلم أعد أعى أى شىء فى هذا العالم المفلس، أى شىء بالمرة فى هذا المجتمع البشرى المبتذل، الرأس المحروقة غزا نيانكيبو بأحجبته! هل هذا صحيح أم لا؟ هل هذه الأحجبة ذات مفعول حقيقى أم لا؟ من يجيبنى من؟ أنى لى بجواب؟ أين؟ ربما تكون الأحجبة والتعاويذ ذات مفعول حقيقى أو ربما لا، أم هى خدعة وغش بطول إفريقيا وعرضها؟ فافورو!

كان أهالى نيانكبو جميعهم قد أخذوا رهائن عند أربعة لصوص وقطاع طرق، الأربعة الكبار أنفسهم الذين استولوا على أرباب العمل الشركاء بسانيكوللى واحتجزوا عمدة القرية وأعيان مدينة نيانكبو، الأربعة ذاتهم الذين استقروا فى الجهات الأربع الأصلية، الأربعة ذاتهم الذين قتلوا الأطفال الجنود والذين فور اختفائهم فى الغابة خرج الأهالى مرفرفين بالأعلام البيضاء.

نظمت الأفراح وتعالت الرقصات وسط القرية وأصبحنا محرَّرين.

كان يتعين علينا رؤية تلك البغية أونيكا وهى تلعب دور المُحررة. إنه منظر يستحق المشاهدة! فقد جلست فى الوسط متربعة كإمبراطور أو زعيم ومحاطة من كل جانب بابنها وزوجاته ، وتقدم لاعب الإيقاع منها وانحنى عند قدميها ولعب على شرفها، فصرخت أونيكا صراخها المتوحش وانطلقت داخل حلقة الرقص بكل ما عليها من شارات وكلاش وأحجبة وكل شيء، وتبعها ابنها وزوجاته إلى حلقة الرقص ورفعت النساء يدا أونيكا، اثنتين من كل جهة والجميع يصفق ويغنى ويضحك كالأبله أو المصاب عقليا، ثم تركها الابن وزوجاته وسط الحلقة فانخرطت فى رقصة القرد، كان يتعين رؤية أونيكا المعتوهة هذه تقفز كقرد وكطفل شارع بشارات الجنرال من فرط سكرها ونشوتها بالنصر، كانت مخمورة بنبيذ السعف حتى الثمالة.

بعد ذلك رجعت إلى مكانها محاطة بابنها وزوجاته فقبّلوها من شفتيها فأخذت الضوضاء تتخافت إلى أن توقفت، عندئذ بدأت أونيكا الحديث.

استدعت العرّافين ياكوبا وسوكو للمثول وسط الحلقة وهنأتهما علانية، فبفضل مهارتهما سـقطت نيانكبو بأقل ما يمكن من الضحايا، كان العرّافان سعيدين وفخورين وطافا حول حلقة الرقص وهما يقفزان بأحجبتهما بكل بلاهة، ثم دعت ربى العمل الشريكين اللذين اختطفا من قبل إلى الخروج لحلقة الرقص، وشرحت أونيكا كيف نجيا من القتل بفضل الأحجبة والأضحيات وكيف سيتم البحث عن اللصوص الأربعة والقبض عليهم وتقطعيهم إربًا إربًا ثم عرض قطع من أجسادهم فى كل الأماكن التى اقترفوا بها جرائمهم لتلطيف حفيظة التعاويذ التى أثاروها، وعلى أى حال تم إرسال الجنود فى أعقابهم وسينتهون حتمًا بالعثور عليهم، حتمًا إن شاء الله، إن شاء ذلك، آمين.

فجأة ظهر ملانكيان (مانديكوس) بقميصيهما الوسخين واقتربا من ياكوبا وصرخ واحد منهما عاليا رغبة فى لفت النظر: "إننا نعرفك... كنت بأبدجان تملك عربات للنقل

وتضاعف الأوراق النقدية، وتداوى .... وكل شيء... والله، أعرفك... تسمى ياكوبا...".

رد ياكوبا أحمق... مجنون (مانعًا إياه من الاسترسال)، لا تصرخ هكذا، سيسمعك الجميع وإن كنت تعرفنى بالفعل فلست فى حاجة لرفع صوتك، ستسمعك أونيكا وذلك ليس فى مصلحتك.

لم يرد ياكوبا أن تعرف أونيكا كل ما فعله فى هذا العالم القذر.

من جهة أخرى أدرك ياكوبا أن تعرف أن أحد هذين المانديكوس لم يكن سوى صديقه سيكو الذى زاره بالمستشفى الجامعى بالمرسيدس في يوكوبون بأبدجان بيد أنه فقد كثيرًا من وزنه حتى أن ياكوبا لم يتعرف عليه إلا بالكاد، تعانقا وراحا يتبادلان التحيات المطولة التى يتبادلها الديولاس عندما يلتقون ببعضهم بعضًا: "كيف حال ابن عم أخت زوجة أخيك...؟...؟ إلخ".

بعد برهة من الصمت تحدث سيكو ورفيقه عن معارفهم الموجودين فى هذا البلد المفلس من ليبيريا، فذكر الرفيق من بينهم ماهان وزوجها.

وصرخت بكل قوتى "إن ماهان خالتى!". وهنا قفزنا نحن الاثنان مثل ضبعين فى أعقاب عنزة.

صرخ ياكوبا وهو يشير إلى "ماهان! ماهان" "ماهان خالة هذا الصبى! ماهان خالة هذا الصبى الذى كانت تبحث عنه، أين تسكن ؟ أين؟"

هرعنا مسرعين كالمجانين أو كالمرضى بالإسهال، كان يجب رؤية لص أعرج كياكوبا يسرع كالمجنون، فتشنا ضيعة ضيعة وكوخًا كوخًا، أمام بعض الأكواخ كانت هناك جثث عديدة منها من لها أعين جاحظة مثل خنازير سيئة الذبح، بحثنا فى ضيعات الشمال والجنوب حتى أصبنا بالإعياء والإحباط (الإحباط أى الإحساس بعدم جدوى أى شىء)، كنا هنـــاك ننظر إلى الذباب يطير يمينًا ويسارًا دون أن ننبس بكلمة عندما توقف فجأة رفيق سيكو وانحنى ثم طاف داخل ضيعة حول

كوخ وصرخ كالثور: "والله! والله! إنه كوخ ماهان... إنها بداخله".

كان الباب مفتوحًا نصف فتحة، فدفعه ياكوبا ودخلنا، لم نعثر على شيء فى الكوخ فسرنا حتى السور وهناك، نياماكودى وجدنا ذبابًا أضخم من النحل مجتمعًا على جثة هامدة، طار الذباب من جراء ضوضاء طائرة تحلق تاركًا الجثة عارية فى الدم مشوهة تمامًا، برأس مهشم ولسان مبتور وعضو مقطوع بمهارة، كانت – فافورو – جثة زوج خالتى ماهان، تسمرنا فى مكاننا ونحن نبكى كالمعتوهين عندما رأينا رجلاً يخرج ويقترب منا بحذر، كان من أهل القرية زنجيا أسود إفريقيا أصليا ولازال يرتعد كورقة فى عاصفة هوجاء.

قال الرجل: "إنهم الكراهنس الذين يكرهون المانديكوس ولا يريدون رؤيتهم فى ليبيريا، جاءوا وكسروا رأسه وقطعوا لسانه وعضوه، اللسان والعضو ليجعلوا أحجبتهم أكثر قوة، أما زوجته – ماهان الطيبة – فلما رأت ذلك هربت بسرعة واختبأت عندى، وعندما رحل الكراهنس واختفوا تمامًا رافقتها

إلى طرف الغابة، وذهبت بسرعة ورحلت إلى ناحية الجنوب... إنها طيبة... طيبة جدا السيدة ماهان المسكينة" ثم راح ينتحب بدوره "أين ذهبت، أين؟" صرخ ياكوبا وهو يتأهب للوثب فى أعقاب ماهان.

"لقد ذهبت من يومين ولن تلحقوا بها أبدًا، لن تجدوها أبدًا".

بقينا مذهولين وواهنى الهمة، لم تكن الخالة بخير بل على العكس فى خطر محقق، رجعنا إلى الساحة التى تركنا بها رقصةِ القرد، ويا للمفاجأة: توقفت الحفلة وحل محلها ذعر عام وبلبلة وضجيج، كان الجميع يصرخ ويشتم فى كل الاتجاهات.

علمنا أن أونيكا أخبرت منذ قليل أن الجبهة الوطنية القومية لليبيريا استغلت غيابها وغياب قيادتها المركزية للهجوم على سانيكوللى والاستيلاء عليها بلا مقاومة وعناء لتصبح تحت سيطرتهم، جن جنون أونيكا وأخذت تروح وتجىء وتصرخ وتجدف وتأمر وتنهى، بشارتها وكلاشها وأحجبتها.

كان أعضاء الجبهة الوطنية القومية لليبيريا دومًا يأملون فى حكم مدينة سانيكوللى التبرية، وكم من هجموا عليها، لكنهم كانوا يواجهون مقاومة ويرجعون وهم يجرون ذيول الخيبة وخسارات جسيمة، صرخت أونيكا: "الآن استغلوا ظروف غيابى ليقترفوا فعلتهم الشنيعة هذه، السفلة، عديمى الرجولة!"

ماذا بإمكان أونيكا أن تفعل الآن بعد أن حوصرت قاعدتها وأسقط تنظيمها ونهبت أسلحتها باستثناء ما أخذت معها لعمليات نيانكبو، ودعمت الجبهة دفاعاتها كما ينبغى، بترسانة سانيكوللى كلها، وهكذا وقع كل متاع أونيكا وذهبها وحليها فى أيدى العدو.

انسحبت أونيكا وجلست محاطة بابنها وزوجاته، فتبعهم الجنود والأطفال الجنود وجلسوا فى حلقة وانخرطوا فى نوبة من البكاء، إن منظر عصابة من اللصوص وقطاع طرق الكبار ومجرمين من أبشع فصـــيلة وهم ينتحبـــون، منظر يستحق المشاهدة!

بعد نصف يوم من النواح والدموع شعروا بالجوع والعطش فاستجمعوا قواهم ونهضوا، اصطف الجيش الصغير فى طابورين وأونيكا فى المقدمة ثم تقدموا على الطريق تجاه الشمال للعثور على فصائل الحركة الموحدة لتحرير ليبيريا كثيرة العدد.

أما نحن (ياكوبا اللص الأعرج وأنا طفل الشارع) فقد سلكنا جهة الجنوب هناك حيث ذهبت الخالة ماهان ولا نملك من الزاد إلا كلاشاتنا لأن الله لا يترك فمًا خلقه خاويا.

فى هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٩٠، شعرت بالسأم، تعبت من حكى قصة حياتى، تعبت من جمع المعاجم تعبت من كل شيء، اذهبوا كلكم إلى الجحيم، سألزم الصمت ولن أقول شيئًا اليوم... إلى نياماكودى (العاهرة إلى فافورو!

(٤)

كنا (أى اللص الأعرج ومضاعف الأوراق المالية والعراف المسلم وأنا براهيما طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم الذى أصبح سمول سولدجير) متوجهين نحو الجنوب عندما التقينا بصديقنا سيكو صاعدًا من الجنوب نحو الشمال حاملاً على رأسه رزمة وقد سبق وافترقنا بنيانكبو دون وداع، وكعادة الديولاس عندما يلتقون فى الغابة الليبيرية تبادلنا التحايا وبعدها أخبرنا سيكو بشىء رائع بل رائع جدا، سئم رجال العالم بأسره مناظر ذبح الزنوج الأهليين مثل حيوانات متوحشة ثملة بالدم، سئم العالم بأسره رؤية قطاع الطرق الذين تقاسموا ليبيريا يقترفون هــذه الفظاعات (فظاعة تعنى جرمًا شنيعًا)، رفض الناس فى العالم استمرارهم فى اقتراف هذه الآثام ولذلك التجأت الدول إلى منظمة الأمم المتحدة التى طلبت من مجموعة

دول إفريقيا الغربية التدخل فدعت هذه الأخيرة دولة نيجيريا إلى تطبيق التدخل الإنسانى فى ليبيريا (التدخل الإنسانى هو الحق الذى تتمتع به إحدى الدول فى إرسال جيوشها إلى دولة أخرى للإقدام على قتل أبرياء مساكين فى بلدهم وداخل قراهم وفى عقر أكواخهم وفوق حصائرهم)، وتتمتع نيجيريا - التى تُعد البلد الأكثر كثافة سكانية فى إفريقيا - بأكبر عدد من العساكر وبما أن هذا البلد لا يعرف ماذا يفعل بهم فقد أرسل إلى ليبيريا فائض جيشه ومنحهم الحق فى القضاء على السكان المدنيين الأبرياء والجميع، وقد كانت الفرقة النيجيرية تسمى فرق الوساطة ECOMOG وهى تتصرف الآن فى كل مناطق ليبيريا - وحتى فى سيراليون - باسم التدخل الإنسانى وتقتل كما يحلو لها، ويقال إنها تقوم بالوساطة بين الأحزاب المتنازعة.

قدمنا مجددًا التحية للمخبر سيكو وشكرناه وتركناه وشأنه، لم نمش طويلاً - أقل من يوم - حتى وجدنا أنفسنا فى معسكر يحتله أنصار الأمير جونسون وتحده جماجم بشرية مرفوعة على أوتاد مثل معسكرات الحرب القبلية كلها.

الأمير جونسون هو ثالث لص وقاطع طريق وهو يملك جزءًا كبيرًا من ليبيريا، لكنه أمير أى لص لطيف لأنه ذو مبادئ، مبـــادئ عليـــا، فهو رجل كنيسة وقد اعتنـــق مبـــادئ لا تصدق، مبادئ سيد شريف ومناضل فى سبيل الحرية، ووضع قانونًا يمنع بموجبه زعيم حرب حرر ليبيريا بسلام أن يطالب باقتراع الليبيرين لأن ذلك يتنافى مع الأخلاقيات (الأخلاقيات هى علم الأخلاق حسب لو بتى روبير) وكذلك مع اللياقة (اللياقة تعنى احترام العادات الحميمية والذوق والأدب) كما اعتنق مبدأ نبيلاً آخر وهو أن المناضل لا يسرق ولا ينهب ولا يطلب من السكان أن يطعموه، و المضحك فى الأمر (وأراهن أنكم لن تصدقونى) أنه كان يطبق هذا المبدأ حرفيا، والله!

لذا كان كل فرد من رجال العصابات يصل عنده يتم القبض عليه وحبسه، ويبقى كذلك ثم يُجبر على القسم أنه سيحارب حتى الموت، أى زعيم حرب يود الترشيح للانتخاب العامة أو يريد أن يصبح رئيسًا أو حاكمًا لليبيريا الوطن العزيز الحر.

حُبسنا أنا وياكوبا فى ظروف مرعبة لمدة أسبوع، انتهينا عقبها بتأدية القسم اللعين الذى لا يلزم أحدًا، لا يلزم أحدًا حيث لا وقت لأحد للحكم على رجل عصابات بتهمة حنث اليمين فى هذا البلد الدنىء من ليبيريا الحرب القبلية (حنث اليمين أى قسم كاذب حسب معجم لاروس)، بعد هذا القسم الغموس يُخضع عرافون الحاضرين الجدد إلى عدد مهول من الاختبارات ثم يعرونهم كالدود وينضحونهم بمستخلصات تفوح منها رائحة البول ثم يلفون رءوسهم بحجاب وصليب، بعد ذلك يأخذ حمالان الحجاب بعنف، ويتدلى من عنق كل حمال صليب يحمل فى نهايته المسيح عيسى محتضرًا، عندئذ ترى الحمال يرتج ويهتز اهتزازًا... وعدد من بلاهات أخرى من هذا القبيل، ولم كل هذا؟ للتأكد من أن القادم الجديد ليس آكل أرواح، فآكلو الأرواح موجودون بوفرة والأمير جونسون لا يريد المزيد منهم حيث أضحت منطقته ملجأ لهم (يدَّعى الزنوج السود الأفارقة الأهليون أن سودًا أفارقة ينقلبون إلى بوم فينتزعون أرواح أقربائهم ويذهبون لأكلها تحت أغصان شجر

القابوب، وهذا هو تعريف آكل الأرواح حسب معجم بيان الخصوصيات).

خضعنا أنا وياكوبا لعدة اختبارات لكن من حسن حظنا أنه لم يكن هناك أدنى شك في أننا آكلى أرواح لأن آكلى الأرواح يُضربون أو يُطردون أو يُحبسون أو يُعذبون إلى أن يتقيئوا كرة الدم القابعة في أعماق كل واحد منهم، وهذا ليس يسيرًا بالمرة إذ ليس من اليسير على آكل أرواح أن يتقيأ كرة الدم تلك حيث يربط المشتبه به مثل كلب سارق ويعطى سائلاً مقيئًا من شأنه أن يغوط فرسين.

عندما تقدم ياكوبا مثل كركريمان كبير ابتهل جونسون دعاء قصيرًا دينيا مسيحيا واختتم قائلا: "فليعمل المسيح عيسى وروح القدس على إبقاء التعاويذ على قوتها وتأثيرها"؛ فقد كان مسيحيا حتى النخاع، ثم أجابه ياكوبا :"إن شاء الله، سيبقوا كذلك"؛ فقد كان مسلمًا حتى النخاع.

كان لجونسون عراف مسيحي يستعمل في وصفاته دومًا مقاطع من الكتاب المقدس، وكانت الصلبان دائما مبعثرة حوله

(وصفة تعنى وسيلة لإنجاح شيء ما)، كان جونسون سعيدًا بلقاء العراف المسلم ياكوبا، وكانت تلك المرة الأولى التى يتعامل فيها مع مسلم وذلك ما سيخول للمناضلين تدعيم أحجبتهم المسيحية بتعاويذ تتكون من سور القرآن مخربشة بالعربية (مخربش أى مكتوب بدون عناية وتركيز).

أدمجت تلقائيا فى زمرة الأطفال الجنود، أى السمول سولدجير بكل تفاصيل حياتهم: الكلاش وزى المظلى الفضفاض والطويل جدا، لكننا لم نكن نأكل جيدًا أبدًا، ليس أكثر من منيهوت مغلى وبكمية قليلة جدا، حاولت إيجاد حل سريع فبدأت بإقامة صداقات عديدة وبمعية أصدقائى حاولنا التصرف، فنهبنا وخطفنا القوت وليس سرقة لأن الله برحمته الواسعة لا يريد أن يترك فمًا خلقه خاويا لمدة يومين، والله!

وللحق فإن الأمير جونسون كان ملهَمًا (حسب معجم لاروس، ملهَمًا يعنى رائيا) ولا يجوز النقاش مع رائى، لكن الديكتاتور صمويل دو من سوء حظه أنه لم يدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان، لم يدرك ذلك إلا بعد ما رأى بنفسه وبعينه وفى

حياته أعضاءه تتطاير إربًا إربًا وقطعة قطعة مثل أجزاء مركبة قديمة يراد حلها.

والله! كان الوقت منتصف النهار بالضبط عندما تقدم ضابط من ECOMOG أمام معسكر جونسون وأمام المعبد بميناء منروفيا؛ كان الأمير كعادته كل منتصف نهار يصلى ويعتكف جاثيا على حجارة بركبتيه الداميتين، كان فى حصة الكفارة.

أعلن الضابط أن صمويل دو كان بقيادة ECOMOG المركزية بشحمه ولحمه، هناك فى مركز مانروفيا علمًا بأن قيادة ECOMOG المركزية مكان محايد يجب على كل زعيم أن يدخله بعد نزع سلاحه، وهكذا ولج صمويل دو أعزل متبوعًا بتسعين حارسًا شخصيا بدون سلاح وبأيد عــارية وأذرع متمايلة، وقد أتى صمويل دو قيادة ECOMOG طلبًا فى وساطة الجنرال- القائد بينه - هو صمويل دو- وبين الأمير جونسون، ولم يكن يطالب جونسون إلا بشىء واحد ووحيد وهو التحدث إليه، لأن ليبيريا سئمت من حرب أطفالها، وبما أن جونسون قطع علاقته بتايلور فإن بإمكان صمويل دو

الاتفاق معه على وضع حد للحرب فى ليبيريا عن طريق التفاوض، فالحرب ألحقت أشد الضرر بالوطن العزيز والحبيب.

صرخ جونسون: "سيدى المسيح عيسى.. سيدى المسيح عيسى" وهو يتملظ غير مصدق أن صمويل دو جاء بنفسه إلى معسكر ECOMOG، حمد المسيح عيسى والقديسين كافة وشكرهم ثم هدأ لحظة فتوجه إلى الضابط بكلام يشبه فى نبرته ما جاء فى رسالة صمويل دو الشفوية، فالأمير جونسون قد سئم الحرب، وكان صمويل دو وطنيا ويقدر سلوك الوطنيين، وسوف يقابل الأمير جونسون ويتباحثان كصديقين ووطنيين للحديث عن شئون الوطن العزيز المبارك ليبيريا، إلخ.

تقدم الضابط إلى معسكر ECOMOG لتبليغ صمويل دو نوايا جونسون الطيبة، وعندما سمع الأول رسالة جونسون المعسولة صدقها، وجلس يدخن فى هدوء على كرسى بقيادة ECOMOG فى انتظار قدوم جونسون.

عندما أدار الضابط ظهره انخرط جونسون فى نوبة من الضحك الهستيرى وهو يهمس لنفسه: ها هو ذا أحد الرجال الذين ألحقوا أقصى الأذى بالشعب الليبيرى، إنه من رجال الشيطان وها هو بدون حماية فى مركز مانروفيا، أما هو أى جونسون فهو رجل الكنيسة الذى دخل الحرب تحت الأوامر الإلهية حيث أمره الله أن يخوض الحرب القبلية للقضاء على رجالات الشيطان الذين أهلكوا الشعب الليبيرى، وأولهم صمويل دو، والله بطبيعته اللامتناهية أهدى بذلك جونسون فرصة فريدة للقضاء على الشيطان صمويل دو، هكذا كان صوت الحق مستقيمًا ومحثًا.

وأعد جونسون كومندوز من عشرين جنديا مدربين أحسن تدريب وتولى قيادته بنفسه، وأخفى الجنود السلاح تحت مقاعد سيارة "الجيب" وهكذا استطاعوا أن يمروا من حصن المراقبة الأول لـــ ECOMOG حيث يُجرَّد القادمون عادة من سلاحهم، لكن فور وصول جونسون ورجاله إلى ECOMOG أخرجوا سلاحهم وبدأوا بقتل حراس صمويل دو الشخصيين التسعين ثم صعدوا إلى الطابق الأول حيث كان هذا الأخير قائد

ECOMOG الغينى يتحدثان، أمر الكومندوز المسلح الجميع بالانبطاح أرضًا وانقض أفراده على صمويل دو وكتفوه ثم أنزلوه من الطابق ورموه فى السيارة "الجيب" وسط جنود مسلحين تمام التسليح، تم كل ذلك بسرعة، فى لمح البصر لدرجة أن جنود ECOMOG لم يجدوا الوقت لتنظيم أنفسهم والقيام برد فعل، استطاع الكومندوز كسر باب مقر ECOMOG دون إطلاق النار. وأخذوا صمويل دو إلى الميناء عند قلعة جونسون (قلعة تعنى مكانًا مغلقًا وسريا ومقدسًا)، وهناك فكوا قيوده وطرحوه أرضًا، بمجرد ما طرح جونسون صمويل دو أرضًا حتى انهال عليه ضربًا بيديه ورجليه فى نوبة هستيرية من الضحك، وهو يصرخ بأعلى صوته: "أنت رئيس ليبيريا الذى خاض الحرب ليبقى رئيسًا، أنت رجل شيطانى تمشى على صراط الشيطان، تريد البقاء رئيسًا بالسلاح، رئيسًا للجمهورية، رئيسًا لكل الليبيريين، آه! يا سيدنا المسيح!" شده من أذنه وأجلسه ثم قطع أذنيه الواحدة تلوى الأخرى قائلاً: "تريد الحوار معى، هى ذى طريقتى فى النقاش مع رجالات الشيطان"، وكلما سال الدم كلما زادت

قهقهته، وأعطى الأمير جونسون الأمر بقطع أصابعه الواحد تلو الآخر، بينما ظل المعذب يصرخ كالثور من فرط الألم قبل أن يأمر جونسون بقطع لسانه وأثناء نزيف الدم انقض على يديه، وعندما هم ببتر رجله اليسرى كان صمويل دو قد قضى نحبه (قضى نحبه يعنى مات).

فى هذه اللحظة بالذات - هذه اللحظة فقط - وصل ضباط ECOMOG إلى معسكر جونسون، جاءوا مسرعين للتفاوض حول الإفراج عن صمويل دو لكنهم وصلوا بعد فوات الأوان واستنتجوا بأنفسهم التنكيل وحضروا البقية (التنكيل يعنى التعذيب الجسدى المعمول به طبقًا للقانون).

فى نوبات من الضحك والهذيان أمر الأمير جونسون بنزع قلب صمويل دو، وبكل وحشية وضراوة وبربرية وهمجية غرس أحد الضباط أسنانه فى لحم صمويل ضو وأخذ ينهش فيه، نعم أخذ يأكل اللحم البشرى لذلك ظفر بقلب صمويل دو فدسه فى سيخ وعمل منه كبابًا شهيا، بعد ذلك وفى لمح البصر رُفعت منصبة عالية ومرتجة خارج المدينة على طريق المقبرة، فأُخذت جثة الديكتاتور ووُضعت عليها وتركت يومين

وليلتين عرضة للكواسر إلى أن جاء عُقاب ملكى وتكفل بالعملية النهائية لجلالته نازعًا عينيه عن محجريهما ومجردًا إياه هكذا من قوته السحرية الماثلة ومن المفعول الملازم لتعاويذه (الماثل يعنى الكامن فى النفس والناتج عن طبيعتها).

بعد ذلك أخِذت الجثة برائحتها التى تفوح على بعد كيلومتر ورُميت لعصبة الكلاب المتلهفة التى أمضت نهارين وليلتين تتمحك نبحًا تحت المنصبة، لذلك أسرعت إلى نهش وتقاسم الجثة فى وجبة شهية ومغذية.

فافورو نياماكودى!

كانت القديسة الأم العليا ماريا بياتريس تضاجع مثل كل نساء العالم، لكن من الصعب تخيلها تحت جسد رجل تتلقى الجماع لفرط رجوليتها (رجولية يعنى المرأة ذات الشكل الشبيه بالرجال)، كانت بالفعل صلبة وطويلة القامة لها أنف عريض ومفلطح وشفتان سميكتان وأقواس حاجبين يذكران بالغوريلا، ناهيك عن شعر قصير جدا وجمجمة مليئة بانتفاخات ذهنية مثل الرجال وجبَّة يتدلى منها كلاش وذاك ما تقتضيه الحرب القبلية،

فعلاً من الصعوبة بمكان تَخيلها وهى تقبّل شفتى الأمير جونسون وتنام تحته لتلقى الجماع، والله! لنبدأ بالبدايات.

كانت ماريا بياتريس الأم ترأس أكبر مؤسسة دينية بمانروفيا عندما اندلعت الحرب القبلية بالعاصمة وأرسلت وقتها الأسقفية عشرة جنود وثمانية عشر طفلاً جندىا يقودهم كابتن لحماية المؤسسة، ونشر الكابتن رجاله ومع ذلك تجرأت جماعات من الناهبين واللصوص على الهجوم على المؤسسة وسرعان ما ذعر الحماة وغُلبوا على أمرهم، فشرع اللصوص ينهبون ويسلبون الأشياء المقدسة كلها، عندئذ غضبت ماريا بياتريس أشد الغضب فتلخصت من قبعتها وانتزعت كلاشًا من يد أحد الجنود فانبطحت أرضًا وراحت تطلق النار وتطلق دون توقف، فأصابت خمسة لصوص فى حين لاذ الآخرون بالفرار دون المطالبة بمستحقاتهم، وابتداءً من تلك اللحظة أخذت ماريا بياتريس على عاتقها حماية المؤسسة بيد من حديد، وأمرت الكابتن ورجاله بالامتثال لأوامرها هى وحدها دون غيرها.

قبل الهجوم على المؤسسة استولى اللصوص على الأسقفية فعذبوا بشكل مهول الأسقف والكهنة الخمسة المرافقين

له قبل قتلهم بينما هرب الآخرون واختفوا كالمعتوهين، هكذا لم يعد هناك شيء آخر يعمل عدا مؤسسة ماريا بياتريس فى وسط مانروفيا، أما المنشآت الكاثوليكية والمساكن المجاورة للمؤسسة فقد نُهبت وهجرها ساكنوها، فى هذه الظروف ظهرت ماريا بياتريس بالمستوى المطلوب، فقد حققت بطولات هائلة واستحقت بذلك صفة القديسة، القديسة الحقيقية.

كانت الأمور تبدو دائمًا على نفس المنوال بالنسبة للقديسة ماريا بياتريس، وفى كل الأحوال يبدو اليوم بساعاته الأربع والعشرين جد قصير حيث تبقى هناك دومًا أشياء مؤجلة للغد.

كانت ماريا بياتريس تستيقظ كل يوم فى الرابعة صباحًا وتلتقط الكلاش الموجود بمتناول يدها ليلاً، وهذا شكل من أشكال الحرص تقتضيه قوانين الحرب القبلية، ثم تضع القبعة والجبهة وتعد رباط حذائها، فتتوجه بخطى مكمورة لزيارة مركز الحراسة وذلك لرصد حالة تيقظ الحراس (خطى مكمورة أى خامدة الصوت، متوجسة)، وبالفعل كانت غالبًا ما تضبط بعضًا منهم غارقًا فى النوم لحد الشخير فتوقظه بركلة على

مؤخرته! ثم تعود لترن الجرس فتستيقظ الراهبات وكل أهالى المؤسسة للصلاة الصباحية ثم يشرع الجميع فى تناول وجبة الإفطار الوفير لفيض حصيلة الأمس (حصيلة يعنى ماتم تحصيله).

كانت تستدعى سيارة 4X4 مكشوفة وتجلس على يمين السائق بكلاشيا وقبعتها ولا تعود إلا نحو الساعة العاشرة أو الحادية عشر، وفى كل مرة تتحقق المعجزة حيث تعود السيارة ملأى عن آخرها بالمؤونة، ثم تمر مباشرة بعد ذلك إلى حصة العلاج حيث يتجمهر حولها - هى ورفيقاتها الراهبات - كل المرضى والعرجان والعميان فتعالجهم بنشاط وهمة، ثم يلجن السقيفة التى ينام تحتها على الأرض دون نظام مَن قربت ساعته من المرضى، فتمرضهم الراهبات بينما تناولهم القديسة ماريا بياتريس المسحة الأخيرة، ثم تعرج إلى المطبخ فى جولة خاطفة فتتفاجأ دومًا بوجود بعض الماكرين وقد اندسوا وسط الطباخين رغبة فى خطف والتهام الخضر النيئة، فتؤدبهم بالعصا كلصوص كلاب وسرعان ما يفرون صارخين.

بعد ذلك يمر الجميع إلى طاولة الغداء ولكن أولاً وقبل كل شيء كان يتعين شكر الله الذى رزقهم الخبز اليومى، ثم يلى ذلك ساعة التعليم الذى يستمع إليه كل نزلاء المؤسسة بما فيهم الهالكون والعرجان والعميان ومن دنت ساعته، ثم يحين مجددًا موعد العلاج فهناك دومًا بين المرضى من يحتاج إليه مرتين في اليوم، بعد كل ذلك يأتى موعد العشاء الذى لا يحق تناوله إلا إذا كانت حصيلة اليوم السابق تسمح بذلك، ثم تليه فترة الصلاة الليلية التى تكاد ألا تنتهى، وقبل الذهاب للنوم تتفقد ماريا بياتريس مراكز الحراسة الموكولة إلى أخساء لا يكفون عن التثاؤب والنعاس، وعندما يحين وقت تخلصها من القبعة والكلاش ووضعه بمتناول يدها والذهاب أخيرًا إلى الفراش لنيل قسط مستحق من الراحة تكون الشمس البغية قد أشرفت على الانتصاب فوق هذا البلد اللعين من ليبيريا الحرب القبلية.

والأمر المدهش بل الخارق هو أن تتوصل مؤسسة ماريا بياتريس إلى مقاومة النهب لمدة أربعة أشهر وأن تعول خمسين نفرًا لمدة أربعة أشهر في منروفيا المنهوبة والمهجورة فذلك من قبيل المعجزات، والواقع أن كل ما حققته خلال أربعة أشهر كان خارقا للعادة و يعتبر من المعجزات، وهكذا كانت أعمال

ماريا بياتريس لها طابع الإعجاز وحققت معجزات وأصبحت ولية صالحة، أصبحت القديسة ماريا بياتريس.

ورغم مايعرف ويقال من أن الله لا يترك أبدًا فما خلقه خاويا، فإن الجميع دهش وأقر أن ماريا بياتريس كانت ولية بحق لكونها توصلت لإعالة هذا العدد من البشر لمدة أربعة أشهر، هيا، لنبقى بمنأى عن الجدل ولنقل مثل الجميع ماريا بياتريس القديسة الحقة! القديسة بقبعة وكلاش! نياماكودى!

فى بداية الأمر لم يكن في ليبيريا الحرب الأهلية والحرب القبلية سوى عصابتين؛ عصابة تايلور وعصابة صمويل دو وكانتا في عداء مستمر ومواجهة على كل الجبهات، أما فصيلة الأمير جونسون فلم يكن لها وجود بعد (فصيلة يعنى مجموعة متمردة داخل مجموعة أكثر نفوذًا)، وقتها كان الأمير جونسون ينتمى إلى جماعة تايلور وكان الجنرال الأكثر حنكة وفاعلية ونفوذا في المجموعة، حتى ذلك اليوم المشهود الذى بشر فيه للرسالة المنوطة به ألا وهى إنقاذ ليبيريا بالتصدى لأى زعيم حرب سولت له نفسه

الاســتيلاء على الحكم بعد أن حارب بالسلاح في سبيل تحرير ليبيريا.

ابتداء من ذلك اليوم قاطع جونسون تايلور لأن هذا الأخير أعرب عن رغبته في أن يكون رئيسا لليبيريا، فتنحى بمعية عدد من أشهر ضباط تايلور وأعلن نفسه عدوًا لدودًا له (عدوًا لدودًا يعنى حسب معجم لاوس خصمًا ضروسًا)، وسمع صمويل دو بتوعد جونسون لتايلور فصدقه (توعد يعنى تهديدًا) واعتقد أنه سيجد فى جونسون حليفًا طبيعيا وصديقًا يمكن التفاوض معه، لكن الجميع يعرف ما آل الأمر إليه والثمن الذى كلفه؛ صنع ضابط من قلب صمويل دو كبابًا لذيذًا بينما استمتع عُقاب ملكى بعينيه فى وجبة شهية ظهيرة يوم تحت سماء منروفيا المعتمة.

كان على الأمير جونسون بعد مقاطعته لتايلور أن يؤمن العيش لكل من تبعه ووثق به، وكانوا يشكلون كتيبة من التابعين ولكل منهم أهله وعالمه، ورغم أن الله لايترك أبدا فما

خلقيا خاوية فإن المهمة لم تكن يسيرة بالمرة، لا أبدًا بالمرة! فافورو!

بدأ جونسون بالهجوم على مركز حراسة متاخم للجبهة الوطنية القومية لليبيريا ليحصل هو الآخر على نصيب من رسوم الجمارك بليبيريا المستقلة، هجم على المركز بمعدات ضخمة وعدة موجات من المحاربين بقنابل ومدافع، دام الهجوم أيامًا عديدة إلى أن أنذرت قوات التدخل ECOMAG وهيأت نفسها للقدوم (أنذرت يعنى نبهت للاستعداد)، جاءت بوسائل أكثر ضراوة لكنها لم تكلف نفسها الإقدام على مجازفة غير مجدية (أشرح للأفارقة السود الأهليين كلمة مجازفة بأنها تعنى خطرًا أو ضررًا محتملاً)، لم تدخل هذه القوات فى التفاصيل بل راحت تقصف بطريقة عشوائية كل من المهاجمين والمحاصرين، حتى إنها حصدت فى يوم واحد عددًا مهولاً من الضحايا الأبرياء أى ما يعادل أكثر مما ينجم فى أسبوع عن المواجهة بين فصائل متناحرة، وعندما انتهى القصف حملت قوات الوساطة إلى مستشفيات قرى ECOMAG، ثم عاينت الحصيلة ميدانيا، وكان ذلك هو المهمة والدور المنوط بها،

فأعلنت أن جونسون هو من يمسك بزمام الأمور حيث كان هو الأقوى، لذلك يحق له أن يستغل المركز تحت مراقبتها.

منذ ذلك الحين صار جونسون مسئولاً عن الأموات، فحفرنا قبرًا جماعيا لأمواتنا هائلى العدد ومن بينهم ثلاثة أطفال جنود لم يكونوا أصدقاء لى، كان اسمهم ممادو المعتوه وجون المغرور وبوكارى الملعون، ماتوا لأن الله قدر لهم ذلك، لله الأمر فى الأمور كافة ولى أنا مطلق الأمر فى تأبين هؤلاء الأطفال الثلاثة أو فى الامتناع عن ذلك.

قام جونسون شخصيا بإمامة صلاة الجنازة، بعدها طوقنا القبر الجماعى ورفعنا أسلحتنا إلى السماء وأطلقنا صلية الوداع (صلية يعنى حسب لو بتى روبير طلقة جماعية فى نفس الوقت من أسلح نارية)، وشاع صدى القتال الذى حدث للاستيلاء على المركز في كل مكان (صدى يعنى خبرًا، أو شائعة)، كما أن المواجهة تسببت فى موت ودمار وسفك دماء كثير من الأرواح لدرجة أن التجار الأجانب كلهم تجنبوا المركز الحدودى.

أما نحن (أعنى أعضاء جماعة جونسون) فقد ظننا الأمر عابرًا فانتظرنا لأسابيع عديدة دون أن نسمع حسا في المركز الحدودى، لم يعد هناك أى شيء ينهب أو يسرق، علاوة على أننا لم نكن نتقاضى أجرًا وكنا نأكل قليلاً جدا وكان الطعام رديئا فبدأنا نتذمر بل أخذ بعض الجنود في إخلاء المكان (إخلاء المكان يعنى التخلى عن مركزه)، فهم جونسون ذلك فهجر المركز الحدودى تاركًا وراءه قبور الموتى ليستولوا عليها، فافورو!

كانت مشكلة موارد القارة الدائمة والآمنة لاتزال مطروحة وكان من العاجل حلها لاسيما وأن الجميع متذمر حتى الكريكريمانات - أمثال ياكوبا - الذين كانوا هم أيضًا يأكلون طعامًا جد قليل ومزر، كما أنهم لم يعـــودوا يتقاضون أى شيء مقابل التعاويذ التى يصنعونها، لذلك قرر جونسون أن يهجم هذه المرة على مدينة بها مناجم ذهبية وماسية يحكمها مناصرو صمويل دو من أعضاء الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا، وذلك على طريقته الخاصة (فذيل الكلب الأعوج لا يستقيم أبدًا)، هاجم المدينة بمعدات ضخمة وقنابل ومدافع

وموجات هجومية متتالية لكن مقاومة المحاصرين الباسلة لم تمنع تدفق سيل من الدماء وسفك حشد من القتلى، دار القتال أيامًا عديدة إلى أن أنذرت قوات تدخل الـ ECOMAG واستطاعت الوصول لكنها لم تتدخل ولم تقدم على مجازفة ولم تدخل في تفاصيل غير مجدية، بل راحت تقصف دون تمييز المهاجمين والمحاصرين والأحياء جميعًا؛ حى السكان الأصليين وحى الأفارقة السود الأهليين وكذا حى العمال، وعندما استوى الدمار وخرس كل من المهاجمين والمحاصرين توقفت القوات عن القصف وقامت بحمل الجرحى إلى مستشفيات القرى، ثم قدرت وضع القوات المتجابهة حيث كان ذلك يمثل مهمتها ودورها وواجبها، فأعلنت أن جونسون هو من يمسك بزمام الأمور ومن ثم فهو الذى سيحكم المدينة ويدبر استغلال المناجم.

كان هناك أموات كثر ورغم تعاويذ المسلمين والمسيحين فإن أربعة من الأطفال الجنود تحولوا إلى أشلاء مشتتة بفعل قذائف المدافع، كانوا أكثر من ميتين، كان موتًا مضاعفًا ودفنت بقاياهم فى حفرة جماعية مع الموتى الآخرين، وفى لحظة

إغلاق القبر الجماعي بكى جونسون من التأثر، وكان منظرًا مضحكًا بالفعل أن ترى لصًا قاطع طريق ومجرمًا من طراز جونسون يبكى بدموع ساخنة من فرط غضبه وانفعاله على قوات ECOMAG، وبهذه المناسبة لبس ملابس الرهبان وصلى ودعى وتحدث وقال – على غرار القديسة ماريا بياتريس – إن الأطفال الجنود أطفال الله، وإن الله الذى أعطاهم هو الذى أخذهم، ولله الأمر فى الأولى والأخرة والوضع يستلزم شكر الله ويستدعى تأبينا أشعر أننى معفى منه إذ لا رغبة لى في تلاوته، نعم شكرًا لك على كل شيء يا الله.

تسبب سقوط المدينة الغنية بالماس والذهب في حمامات دماء وخراب وموت لدرجة أن الأهالى كلهم هجروا المنطقة ولم يسع أحد إلى العودة إليها لاسيما أرباب العمل الشركاء الذين يتعذر دونهم استغلال رسوم ودولارات أمريكية أو تحصيلها، وهاهو جونسون يسقط مجددًا فى الوضع نفسه الذى كان عليه قبل السطو على المدينة الماسية، وكان الوقت ضيقًا بينما بدأ الجنود وأهاليهم والأطفال الجنود وكتيبة الرجال في

التذمر ونفد صبرهم بعد كل ما قدموه من تضحيات غير مجدية، لذلك وجب التصرف بسرعة وفعل شيء ما نيونا نيونا.

عاد جونسون على أعقابه إلى منروفيا، هناك حيث كان كل شيء منهوبًا وعم الخراب ولم يعد أى شيء يعمل باستثناء مؤسسة القديسة ماريا بياتريس ذات المزاج الفخور والمستفز (مستفز يعنى مثيرًا للانفعال).

كانت آلاف الشائعات تتردد حول ما تحويه المؤسسة من مأدوبات فاخرة وأكوام مكومة من الذهب والدولارات الأمريكية مطمورة داخل سراديب تمتد وتطول.

أراد الأمير جونسون أن يتأكد من ذلك فقرر الاستيلاء على المؤسسة ثم بادر بإرسال إنذار نهائى للأم العليا الولية ماريا بياتريس (إنذار نهائى يعنى مدة محددة لا تقبل الجدل) يطالبها بموجبه أن تعلن نفسها رسميا تابعة للقوة الشرعية الوحيدة بليبيريا والتى يرأسها جونسون، وأجابت الأم أن مؤسستها لا تضم إلا أطفالاً ونساءً وراهبات وبعض الصعاليك المعوزين (صعلوك أى رجل مسكين)، وأن الشيء الوحيد الذى

تطلبه من كل مواطن ليبيرى جدير بهذه الصفة هو قليل من الصدقة وشيء من الرحمة، ولها الأمر فى الانحياز لأية جهة كانت.

لم يكن ردها جوابًا بل رفضًا وتفاهة وتحديا (تحديا يعنى شتيمة علنية وإهانة)، غضب جونسون أشد الغضب وألزم المؤسسة – للانتقام منها – بدفع ضرائب المشاركة فى مجهود الحرب بما قدره ثلاثة مائة دولار أمريكى فى الحال.

لم يكن ذلك عدلاً بل كان حكم القوى على الضعيف تمامًا كما هو الحال في حكاية لافونتين "الذئب والحمل" التى تعلمناها بالمدرسة، وها هى القديسة بدورها تستشيط غضبا وتصرخ وتقذف بقبعتها أرضًا وتطرد الوسطاء قائلة: "بلغوا جونسون أننى لا أملك ثلاثمائة دولار وأن يتركنى وشـــأنى ويدعنى أبحث عن قوت الأطفال والنساء والعجزة، وهذا كل ما فى الأمر.

وذاك بعينه الجواب الذى كان يأمله جونسون ليقرر الهجوم على المؤسسة.

أما أنا براهيما طفل الشارع الذى أصبح طفلاً جنديا - فكنت أنتمى إلى الفوج الأول المكلف بالهجوم على مؤسسة الأم ماريا بياتريس، كنا عشرة أطفال جنود وأعطينا قليلاً من المخدرات فقد كان علينا التقدم بحذر وحيطة دون لفت انتباه قوات التدخل، فلو زدنا من تعاطى المخدرات لعملنا كثيرًا من الفوضى والحماقات، كنا أقوياء من فرط ثقتنا بقدرة تعاويذنا، وتحت ضوء القمر هجمنا على المؤسسة نحو الساعة الثالثة صباحًا، لم يكن الأمر مفاجئا فقد كانت القديسة على علم بمبادرتنا، لهذا لاقينا مقاومة شديدة فمات ثلاثة منا واضطر الاخرون إلى الانبطاح الشديد والتراجع من قوة القصف الموجه من المؤسسة، كانت الأم القديسة بنفسها وبكل ما لها من مهانة هى التى تطلق النار دون توقف.

وجمع جونسون قتلاه شوية شوية (يعنى بالراحة) وانسحب، لقد أخطأ عندما اعتقد أنها مجرد نزهة لأطفاله الجنود، لا لم يكن الأمر كذلك، كان يتعين عليه الاستعداد ثم الهجوم بمزيد من الأدوات ولا سيما بمزيد من الحنكة والذكاء.

ورغم التعاويذ المسلمة والمسيحية سقط ثلاثة جنود، والله! فدفناهم خفية وبكاهم جونسون وتلى صلاة على روحهم وهو يرتدى جبته، كانت القديسة تسمى الأطفال الجنود أطفال الله، وها هم ثلاثة من أطفال الله يعجلون بلقائه، وها أنا مدعو إلى تلاوة تأبينهم، فتلكم هى القاعدة، لم أعش معهم طويلاً ولم أعرفهم جيدًا، والشيء اليسير الذى عرفته عنهم هو أنهم كانوا أطفال الشيطان أكثر منهم أطفال الرحمن، كانوا بثلاثتهم خبثاء للغاية ومدمنين ومنافقين، باختصار ملاعين ولم أرغب فى تلاوة تأبين ملاعين فلى الأمر فى ذلك، ولن أفعل ذلك، نياماكودى!

فكر جونسون مليا في ذلك الوضع لمدة ظهيرتين، فكر في مؤسسة القديسة ماريا بياتريس وهو جاثم فوق حجارة على ركبتيه الداميتين، وفجأة لاح الحل.

في الليلة الثالثة عاد للهجوم خفية كى لا يثير انتباه قوات التدخل ECOMAG وشكوكهم، وبدل من أن يهجم مباشرة كلف عشرين جنديا باقتحام المؤسسة من الخلف على نحو مفاجئ، لكن المفاجأة لا مكان لها هناك حيث كانت الأم هى

نفسها التى تحارب لمدة طويلة دون توقف، فكبدت المهاجمين خسائر فادحة (كبد يعنى شيئًا تعيسًا)، هكذا انتهى الهجوم الثانى مثل الأول بالفشل، فتلاه هجوم ثالث وانتهى مثل سابقيه بإخفاق تام.

غضب الأمير غضبًا شديدًا وشد على حزامه (شد على حزامه عبارة عند الزنوج الأفارقة وتعنى حسب البيان، أخذ الأمر بأهمية قصوى)، فاستعمل المدفعية فى عز النهار، فى تمام الثانية عشرة ظهرًا استخدم المدفعية وأطلقت المدافع نيرانها فنزعت أجراس الكنيسة وحطمت بناية المؤسسة الكبرى ذات الطوابق الثلاثة، عندئذ اضطرت القديسة إلى الاستسلام فخرجت من المؤسسة التى يتصاعد منها الدخان وهى ترفع علمًا أبيض متبوعة بصفين من الراهبات بقبعاتهن وسبحاتهن وأشيائهن كلها يليهن حشد الصعاليك.

ذهلت قوات ECOMAG من هول الهجوم ومفاجأته (مفاجأته صفة ما يقع بشكل سريع وخاطف) واعتقدت أنه هجوم على نطاق واسع بين فصيلتين فدقت ناقوس الخطر وحجزت جنودها كلهم ثم دعت القيادة المركزية كلها إلى

الاجتماع طيلة ظهيرة بأكملها، عند نهاية الاجتماع خيم سكون تام على منروفيا مما أدهش المجتمعون الذين سارعوا بإرسال دورية عربات لمعرفة ما جرى، عندما وصلت الدورية إلى عين المكان وجدت جونسون والقديسة يدًا فى يد مثل صديقين قضيا فترة المسارة معًا.

ترك الأمير جونسون الصفين يتقدمان أمامه بمقدار عشرة أمتار، فإذا به يلاحظ - يا للمفاجأة - أن الأم تشبهه جدا، تشبهه كأنها صنوه، فاستوقفها وتأملها من الرجلين إلى القبعة، فازداد تأكدًا بما لا يحتمل الشك؛ إنها تشبهه تمامًا، أمرها بنزع القبعة، فإذا بالشبه أكثر إزعاجًا؛ نفس الشكل والأنف والجبين والجمجمة، ظل الأمير فاغر الفم للحظة ولزم الماكو (أشرح فاغر الفم يعنى مصعوقًا، مندهشًا، مفتونًا، حسب بيان الخصوصيات القاموسية).

فكر جونسون برهة ثم انطلق وارتمى فى أحضان القديسة وقبلها من شفتيها، بعد عناق طويل وحار وأمسك بيدها وظلا يتحدثان كأنهما يعرفان بعضهما من زمان بعيد.

تحدث جونسون والقديسة كأنهما عاشا دومًا مع بعضهما، أمام ذهول الجميع؛ حشد الصعاليك والراهبات ذوات القبعات والمقاتلين بأسلحتهم، شعر كافة هؤلاء بذهول عظيم (ذهول يعنى مفاجأة صاعقة، حسب معجم لاوس).

أوضح الجنرال جونسون أنه يبحث من مدة عن قائد لفريقه النسائى، فاقترح الأمر على القديسة وتأهب لتعيينها عقيدًا وتقليدها فورًا الشارات، لكنها رفضت المنصب رفضًا قاطعًا؛ فذلك لم يكن هدفها قط، كانت قديسة وتفضل أن تبقى كذلك، تفضل أن تعتنى بالمعوزين والعجزة والأمهات اللائى لا موارد لهن والراهبات والتعساء كافة الذين ألقت بهم الحرب القبلية فى الشوارع، تفهم جونسون موقف الأم العليا القديسة ماريا بياتريس ولم يستطع أن يرفض لها طلبًا.

ثم توجه الاثنان يدًا في يد إلى المؤسسة وزاراها وشاهدا الدمار الذى سببه قصف المدفعية، تأسف جونسون لذلك غاية الأسف وعبر عن ندمه الخالص، كان تأثره واضحًا على قسماته فخشع ودعى وصلى وهو يوشك على البكاء، ورغم أنه طاف أكثر من مرة حول المؤسسة فإنه لم يلمح السرداب ولا

المدخل المؤدى إليه فاضطر إلى السؤال مباشرة لاسيما وأن القديسة قد اعترفت بنفوذه الآن، بل صارت صديقة له وأن قانون الإدارة الرشيدة يقتضى أن تنتقل إدارة الثروات إلى حكومته:

- أى ثروات تقصد؟

- الذهب وأكوام الدولارات الأمريكية والأطعمة الموجودة داخل سراديب المؤسسة، أين منفذها؟

- ليس للمؤسسة سراديب

- ماذا؟ ليس هناك سراديب؟!

كررت الأم أكثر من مرة عدم وجود سراديب بالمؤسسة ونفت الشائعات التى تروج حول المؤسسة، كما أكدت أن لا شىء لديها تخفيه، لا شىء بالمرة، بل دعت جونسون للتأكد من ذلك بنفسه، فطلب من رجاله تفتيش المؤسسة رأسًا على عقب (رأسًا على عقب يعنى فى أدق التفاصيل)، لكنهم لم يجدوا شيئًا، ولا دولارًا واحدًا!

تساءل جونسون في ريبة تامة:

- لكن من أين كنت تجدين كل الدولارات للنفقة اليومية؟

- من صـــدقات المحســـنين من المؤمنـــين فالله لا يترك أبدًا فمًا خلقه خاويا.

- هكذا إذن! هكذا إذن! (وهو يحوم حول نفسه عدة مرات). مستحيل شيء لا يصدق!

ظل جونســون في كامل ريبتـــه وشكوكه، فافورو نياماكودى!

لم يحل الاستيلاء على المؤسســـة مشكلة الموارد المضمونة والدائمة لعصابة جونسون، بل على العكس ضاعف عدد الأفواه التى يجب إعالتها دون الزيادة من الثروات، علاوة على أن كل المنظمات غير الحكومية والقلوب الطيبة التى اعتادت مساعدة الأم ماريا بياتريس عندما كانت مستقلة صارت تتردد فى إعانة مؤسسة تابعة لعصابة جونسون، لهذا تذمر حشد الصعاليك وأمهات الأطفال والأطفال أنفسهم وصاروا يتضورون جوعًا باستمرار، كما أصبح جونسون مدينًا معنويا

تجاه المؤسسة ورئيستها وكل نزلائها وتمنى لو أعاد لها استقلاليتها وحريتها، لكن الأوان كان قد فات بعد أن علمت كل البلاد بمقاومة القديسة البطولية وتبعيتها لجونسون فى نهاية المطاف (تبعية يعنى خضوع شخص لآخر حسب معجم لاروس)، وبموجب هذه التبعية كان لزامًا على جونسون مساعدة القديسة.

كان من الواجب إذن على عصابة جونسون فعل شيء ما وإيجاد نيونا نيونا، دار دار.

تعتبر الشركة الأمريكية للمطاط أكبر مزرعة بإفريقيا وتمتد على زهاء مائة كيلومتر مربع، والواقع أن كل جنوب شرق البلاد كانت تابعة لها وكانت تؤدى إتاوات مهمة (إتاوات تعنى حقوقًا تدفع إلى صاحب براءة أو مالك أرض مقابل استثمار معادنها وثرواتها)، وكانت هذه العائدات موزعة بين الفصيلتين القديمتين: عصابة تايلور وعصابة صمويل دو. وعندما قاطع جونسون تايلور طالب فورًا أن تقسم العائدات على ثلاث حصص مرجحًا أن فصيلته أيضًا تستحق نصيبًا (رجح يعنى غلب لصالحه)، لكن قادة المجتمع لم يقبلوا طلبه

وظلوا مترددين خوفًا من ثأر الفصيلتين (ثأر يعني هنا عقوبات مفروضة على خصم للانتقام من الضرر الذى سببه)، فراوغوا وواربوا (راوغ يعني لف وتردد لتعطيل قرار ما)، لذلك قرر جونسون أن يتصرف كولد، ولد له شيء ينتصب (تصرف كولد، يعني حسب بيان الخصوصيات، تصرف بشجاعة).

اختطف مسئولين من البيض من المزرعة وعندما أودعهما في مكان آمن، أرسل إنذار لرؤساء المزرعة، بماذا يهدد فى إنذاره؟ يقول فيه إذا لم يحصل خلال الساعات الأربع والعشرين اللاحقة على نصـــيبه من الإتاوات فسوف يرسل المسئولين البيض فوق مدراتين يحملها شخصين بكل تأكيد! بكل تأكيد! والجميع يعلم أن المستنير جونسون كان قادرًا على ذلك، وسيفعله لا محالة، والله!.

في المساء ذاته تقدم ثلاثة موظفين بيض من المزرعة إلى بوابة معسكر جونســـون، جاءوا بشكل ودى وبأياد غير فارغة كان معهم ست حقائب للوثائق بمعدل حقيبتين للشخص، لم نر ما كانت تحويه هذه الحقائب.

كانوا مسرعين وأرادوا أن يقابلوا جونسون نيونا نيونا، كانوا مثل المصابين بالإسهال الذين يرتادون المقذرة، استقبلهم جونسون بحفاوة وتحدثوا مثل أصدقاء وشربوا البيرة بحميمية مع بعض، ومن حين لآخر وسط قهقهة من الضحك كان جونسون يربت على أكتافهم، بعد ذلك خرج الرجال من المعسكر بأكملهم: ثلاثة زائد اثنان وكان هناك خمسة رءوس فوق عشرة أكتاف، فافورو!

وأصبحت الإتاوات تقدم كل آخر شهر، ورأى جونسون أن ذلك يستحق الاحتفال فنظم حفلاً كبيرًا في المعسكر وصرفت الأجور المتأخرة وحتى الأطفال الجنود نالوا نصيبهم من الدولارات لشراء الحشيش، فصار الجميع يرقص ويشرب ويأكل ويتعاطى المخدرات، ولكن فى عز البهجة أوقف جونسون الاحتفال فقد كان من الواجب مراعاة الموتى كثيرى العدد الذين تركناهم فى المدينة الحدودية وفى المدينة الماسية، ودعيت القديسة بصفتها عقيدًا لكنها رفضت لقلة وقتها وكثرة مسئولياتها، فقد كانت مشغولة طول الوقت بنزلائها وفضلت أن تقبض الدولارات التى ستصرف فى استضافتها، لتنفقها فى

أشياء أكثر أولوية، وبالفعل تسلمت دولارات أمريكية لا ليبيرية.

وتحسنت الأحوال تدرجيا، وصارت المواد رغم قلتها منتظمة وتمكن الجميع من أكل شيء ما مرة واحدة خلال اليوم.

لكن هناك لصوص قذرون أرادوا أن يعترف بهم أيضًا كفصيلة لها نصيب من الإتاوات فتجرؤوا على الدخول إلى المزرعة وخطفوا موظفين وطالبوا بفدية دفعها لهم مسئولو المزرعة بدولارات أمريكية لاهبة (لاهبة تعنى أوراق بنكية جديدة)، وألهمت هذه الممارسة جونسون فكرة القضاء على اللصوص النتنين وتقاضى أجر مقابل توفير الحماية ضد أعمالهم خصوصًا وأن قبض ثلث العائدات شيء جيد، لكن مهمة حماية المزرعة من شأنه أن يهدر أموالاً طائلة، فكر جونسون فى ذلك مليا أثناء ساعات الكفارة الطويلة خلال الظهيرة.

ذات صباح تقدم جونسون شخصيا إلى البوابة الرئيسية للمزرعة، مرفوقا بخمس سيارات 4X4 - اثنتان فى المقدمة وثلاث فى الخلف - ملأى كلها بمحاربين مسلحين تمام التسليح وطلب مقابلة الرئيس، فتم له ذلك، تحدث معه كصديق ونقل له ما يقوم به اللصوص القذرون، كما أدان هذه الممارسات التى تسيء إلى سمعة ليبريا كلها وأكد على ضرورة القضاء عليها وأنه - هو جونسون - قادر على منعهم من الاستمرار في الإساءة، وأنه جاء ليعرض خدماته المناهضة لأعمال هؤلاء اللصوص.

راح الرئيس يشرح بصبر وأناة أن توكيل مهمة حماية المزرعة له وحده إنما يعنى نوعًا من الانحياز والاعتراف الضمنى به كسلطة وحيدة بليبيريا وهو أمر لا يسعى إليه، وعلى أية حال لن ترضى الفصائل الأخرى بذلك.

أجاب جونسون أن حمايته ستكون سرية وأن الاتفاق لن يعرف به أحد، لكن الرئيس أوضح أنه لا يحق له توقيع اتفاق سرى مع فصيلة ما، وأن الوقت سيضحى السر علانية، ويعرف به الجميع.

لم يقتنع جونسون بذلك، لم يقتنع على الإطلاق فرجع إلى المعسكر حائرًا، ظل يفكر خلال ثلاثة أيام طيلة ساعات الكفارة بمنتصف النهار (نذكر أنه كان يصلى كل يوم فى منتصف النهار وهو جاثم فوق الحصى على ركبتيه إلى أن تصبحا داميتين)، ظل يفكر فى وسائل أخرى للحصول على حق حماية المزرعة من أعمال اللصوص بموجب اتفاق لا غنى عنه دجوكو دجوكو (دجوكو دجوكو يعنى مهما كلف الأمر)، خلال ثلاثة أيام كانت لازمة دجوكو دجوكو تدوى بنفس قدر الصلاة على المسيح عيسى (لازمة تعنى كلمة أو عبارة تعاد باستمرار)، فى نهاية اليوم الثالث أنارت ابتسامة وجه جونسون لأنه عثر على الحل.

وبعد أسبوعين لوحظ اختفاء ثلاثة عمال من المزرعة وجرى البحث عنهم في كل مكان دون جدوى، وذات صباح شوهد جونسون وهو يلج المؤسسة برفقة الثلاثة عمال المساكين بلباسهم الداخلى فقط، أعلن جونسون وهو يضحك ويشرب البيرة مع الرئيس أن رجاله فى دوريتهم العادية انتشلوا العمال من مخالب اللصوص النتنين، فتم تسليمهم بتباهٍ لرئيس المزرعة

(بتباهى يعنى فى عرض من الأبهة والبذخ)، شكر الرئيس جونسون بحرارة وأراد مكافأته بكثير من الدولارات لكن هذا الأخير رفض رفضا قاطعًا فيما لم يفهم الرئيس شيئاً.

بعد شهرين من الحادث اختفى ثلاثة عمال وموظفين زنجيين إفريقيين من المزرعة، تم البحث عنهم في كل مكان دون جدوى، وذات صباح جاء جونسون شخصيا إلى المزرعة بسيارته 4X4 ومعه خمسة الرجال، لكنهم كانوا عراة تمامًا، وأفاد جونسون أن رجاله تمكنوا فى اللحظة الأخيرة من تخليصهم من تعذيب اللصوص النتنين وسلمهم للرئيس وهو يظهر تمام تعاطفه لأن العمال الثلاثة كانوا منقوصين بعد بتر أيديهم اليمنى، بينما قطعت أذنا الموظفين الأسودين، شكر الرئيس جونسون مرتين؛ الأولى على تعاطفه والثانية على تخليص عماله وموظفيه من قبضة اللصوص النتنين، فأراد مكافأته هذه المرة بإصرار لكن جونسون أبى مرة أخرى قبول الدولارات اللاهبة والجديدة، كان ينظر إلى أبعد من ذلك ويسعى لأكثر بينما الرئيس مازال لا يفهم شيئاً.

بعد شهر وأسبوعين اختفى من المزرعة أربعة عمال وثلاثة موظفين وزنوج سود أفارقة وأمريكى أبيض، نعم أبيض حقيقى وتم البحث عنهم مطولاً فى كل أنحاء الغابة الليبيرية دون طائل، وجاء جونسون في المزرعة فى سياراته 4X4 بصحبة موظفين أسودين كانا عاريين لكنهم غير كاملين: ينقصهما اليدان والأذنان، كما كان هناك عامل أيضًا وكان منقوصًا أيضًا فقد جرد من كل جسده ولم يبق إلا رأسه المرفوع على عصا طويلة، صرخ الرئيس من فرط ذعره وسخطه وهوله بينما أفاد جونسون بهدوء والابتسامة فى فمه، أن الأمر لن يقف عند هذا الحد وأن اللصوص النتتين لازالوا يحتجزون أربعة سودًا وأبيض وإن لم يتدخل رجاله بسرعة وبجهود مضاعفة فسوف يفوت الأوان ولن يعثر إلا على خمسة رءوس فوق خمس عصى طويلة، عندئذ فهم الرئيس المقصود واستوعب الرسالة خمسة على خمسة (استوعب خمسة على خمسة يعنى فهمها وسمعها جيدًا).

جر الرئيس جونسون من يده واصطحبه إلى مكتبه وهناك تحدثا طويلاً وعاليا وفى النهاية وقعا اتفاقًا سريا يقوم جونسون بمقتضاه بحماية المزرعة مقابل كثير من الدولارات، في المساء نفسه جاء جونسون برفقة الرجال الخمسة المختطفين، كانوا خمسة أشخاص عراة لكن لا ينقصهم شيء لا الأذنين ولا اليدين ولا الجسم لأن رجال جونسون ضاعفوا الجهود، وهكذا توصل جونسون دجوكو دجوكو إلى عقد اتفاقه السرى.

نظم حفل فى المعسكر ورقص الجميع خاصة جونسون بجبة الراهب وبالكلاش، بدأ بالتململ خمس مرات ثم انتهى بالنط وتأدية رقصة القرد، والله! فافورو!

دام السر سرًا لمدة خمسة أيام، وفى اليوم السادس كانت ليبيريا بأكملها – من منروفيا إلى آخر خلوة فى البلد – على علم باتفاق جونسون ورئيس المزرعة السرى.

لم تستسلم الفصائل الأخرى، إذ سرعان ما طالب زعماؤها بمقابلة الرئيس وقدموا إنذارهم المكتوب طبقًا

للأصول الواجبة (مكتوب طبقًا للأصول الواجبة يعنى مصاغًا حسب القانون والأصول القانونية)، وللخروج من هذا المأزق قرر الرئيس أن يقسم حماية حدود المزرعة على ثلاث أو أربع حصص تخصص كل حصة منها لفصيلة، لكن مسألة تعيين حدود الأرض سببت مشكلة كبرى، وعندما استحالت إمكانية الاتفاق حول أية صيغة من الاقتراحات العديدة والمنطقية التى طرحها ترك الرئيس للفصائل مهمة التوافق بينها، كان ذلك كمن رمى عظمًا لثلاثة أو أربعة كلاب متلهفة، وهكذا اندلعت حرب شاملة على طول المزرعة.

جاءت قوات الوساطة ECOMAG وسحقت الجميع تحت القنابل فشتت شمل الجميع، أما نحن (يعنى العراف المسلم واللص الأعرج ياكوبا و أنا طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم)، فقد وجدنا أنفسنا بفعل أضحياتنا المستجابة (يعنى من حسن طالعنا) مطرودين إلى قرية هالكة على حدود المزرعة، لأن لله الأمر فى أمور الدنيا كافة.

وفى هذه القرية الهالكة - ويا المفاجئة - التقينا بصديقنا سيكو، وسيكو هو صديق ياكوبا وهو مضاعف الاوراق النقدية

مثله، أعطانا سيكو أخبارًا عن خالتى التى سلكت الطريق نحو سيراليون بحثًا عن عمها هناك، عندئذ لم نرد ولم نرغب فى العودة إلى جونسون. فعزمنا التوجه إلى سيراليون بكافة الطرق الممكنة.

(٥)

كانت سيراليون فى فوضى معقدة، يقال عن بلد إنها فى فوضى بسيطة عندما يتقاسمها قطاع طرق كبار كما هو الحال في ليبيريا، لكن عندما تتدخل - علاوة على اللصوص - جمعيات وديمقراطيون يتجاوز الأمر مرحلة ما هو بسيط، وفى سيراليون كانت أطراف عديدة تتقاسم الرقصة؛ جمعية الصيادين - الكماجور- والديموقراطى قباح إلى جانب اللصين فضى سانكوح وجونى كوروما إضافة إلى بعض اللصوص المهملين، لذلك يقال إن سيراليون غارقة فى فوضى كبيرة أو فوضى معقدة، بالبندجان تسمى جمعية الصيادين المحترفين المحترمة الكماجور، فافورو!

بسم الله الرحمن الرحيم! فلنبدأ من البداية

يعد سيراليون بلدًا إفريقيا صغيرًا هالكًا ويقع بين غينيا وليبيريا، وكان مرفأ للسلام والاستقرار والأمن طيلة أكثر من قرن ونصف، منذ بداية الاحتلال الإنجليزى سنة ١٨٠٨ إلى استقلاله فى ٢٧ أبريل ١٩٦١ (مرفأ يعنى ملجأ، ملاذًا)، كانت الأمور تسير ببساطة خلال هذه الفترة الطويلة من الناحية الإدارية، كانت البلاد منقسمة إلى طبقتين من الأفراد؛ أولاً طبقة الرعايا البريطانية التى تضم التوباب الكولونياليين الاستعماريين الإنجليز والمهجنين الكريول أو الكريو، ثانيًا الرعايا المحميين المكونين من الزنوج السود الأهليين المتوحشين من الأدغال. ينحدر المهجنون أو الكريو من العبيد المحررين القادمين من أمريكا، والله! كان الزنوج السود الأهليون يكدون ويتعبون مثل حيوانات متوحشة فيما يشغل المهجنون مناصب موظفين سامين فى الإدارات والمؤسسات التجارية، كان الكولونياليون المستعمرون الإنجليز واللبنانيون اللصوص المرتشون يتقاضون أرباحًا باهظة، ولم يأت هؤلاء الأخيرون إلا مؤخرا فى الفترة مابين الحربين، بينما كان المهجنون زنوجًا سودًا أثرياء وأذكياء متفوقين على الزنوج

السود الأهليين المتوحشين، لذا كان بينهم العديد من خريجى كليات الحقوق وحاملى الشهادات العليا مثل الدكتوراه فى الطب.

مع الاستقلال الذى تم فى السابع والعشرين من أبريل ١٩٦١ منح الزنوج السود الأهليون المتوحشون حق الانتخاب، منذ ذلك الحين توالت الانقلابات والاغتيالات وعمليات الشنق والإعدام وكل أنواع البلبلة والآفات في سيراليون، باختصار فوضى معقدة، وكل هذا بسبب أن البلد غنى بالماس والذهب وموارد الفساد كلها، فافورو!

بمجرد حصول الزنوج الأهليين على الاستقلال وحق الانتخاب حملوا إلى السلطة الزنجى الأسود الوحيد فى البلد الذى كان جامعيا وحاصلاً على ليسانس الحقوق وكان اسمه ملتون مركاى ومتزوجًا بإنجليزية بيضاء ليبرهن للجميع أنه أنفصل كليا عن عادات الزنوج السود الأهليين المتوحشين وطبائعهم.

كان ملتون مركاى عند توليه الحكم كبير السن وحكيمًا إلى حد ما، وسادت فى عهده عندما كان رئيس وزراء جلالة

الملك روح قبلية قوية لكن الفساد ظل فى مستوى مقبول، كما كان المانديون من أبناء سلالته مفضلين على الأعراق الأخرى وذلك شيء طبيعى؛ فمن له ظهر لا يضرب على بطنه (يعنى أن المرء يكون محميا إذا كان قريبًا من إنسان كبير ومسئول).

وعند موت ملتون فى الثامن والعشرين من أبريل ١٩٦٤ خلفه أخوه ألبيرت مركاى الملقب بـــ "بيك ألبيرت" ومعه تفاقمت روح القبلية والمحسوبية والرشوة إلى حد وقوع انقلاب فى السادس والعشرين من مارس ١٩٦٧ تم على إثره استبدال ألبيرت بالعقيد جوكستون سميث وهو من أصل غير ماندى.

استمرت الرشوة فى الانتشار فى عهد العقيد جوكستون الذى لم يدم حكمه طويلاً، ففى التاسع عشرة من أبريل ١٩٦٨ أسقط إثر مؤامرة دبرها ضباط صف أسسوا حركة ثورية مناهضة للفساد (ACRM)، ضد الفساد! (يا للخدعة! والله!)، لكنها لم تفلح فى القضاء على الفساد!

فى السادس والعشرين من أبريل ١٩٦٨ تولى الحكم سياكا ستيفنسر التمبى الأصل وأراد القضاء على الفساد

والرشوة لكنه لم يتمكن، وفى مايو عام ١٩٧١ وقع انقلاب آخر وطرد فى أعقابه سياكا ستيفنسر من العاصمة ومن قصره، لكنه عاد بمساعدة مظليين غينيين وتحت حمايتهم، وشعر بأنه على رسله.

وأسس دكتاتورية عظمى تضم حزبًا واحدًا وكثيرًا من الفساد، وأصدر سياكا أوامر بتعذيب كل معارضيه وشنقهم وإعدامهم، ورغم الفساد ساد جو من استقرار إبان حكمه الذى استمر حتى شاخ سياكا ستيفنسر وطعن فى السن فعين خليفة له على رأس الحزب-الدولة وهو رئيس الأركان العليا الجنرال سيدو جوزيف مومو الذى فقد حماية وحدات القوات المسلحة الغينية والذى اعترف علانية فى أغسطس ١٩٦٨ بأنه "لا يملك الوسائل للقضاء على الإتجار غير المشروع في الألماس" يعنى الفساد.

هكذا وبينما الفساد فى أوجه وسيل من الانقلابات يتعاقب الواحد تلو الآخر، بدأ ما يلدغ دون أضراس يتأهب خفية ضد النظام الفاسد والمجرم السيراليونى (عند الزنوج السود الأفارقة، تسمى المفاجأة غير السارة بما يلدغ دون أضراس)،

وذاك الذى سيلدغ ليبريا دون أضراس هو فضى سانكوح، العريف فوضى سانكوح الذى دخل شريكًا آخر فى رقصة سيراليون، حتى ذلك الحين كانت الأمور بسيطة، بسيطة جدا؛ لم يكن هناك سوى شريكين بغيين: النظام والجيش، فعندما يصبح الديكتاتور صاحب النفوذ فاسدًا وغنيا أكثر مما ينبغى يحل محله عسكرى بعد انقلاب عسكرى، وفى حالة نجاة الحاكم المخلوع من الموت يهرب بما فى حوزته دون أن يطالب بالبقية كأى لص جبان، وعندما يصبح الشخص الجديد بدوره أكثر فسادا وثراءً مما ينبغى يتم استبداله بدوره عن طريق انقلاب آخر، وإذا نجا من الموت يهرب بالمال وهكذا، ولكن قام فضى سانكوح بإدخال طرف بغى ثالث فى الرقصة الثنائية ألا وهو الشعب أى الغوغاء الزنوج السود الأهليون المتوحشون بإدغال سيراليون، بادئ ذى بدء من هو فضى سانكوح؟ العريف فضى سانكوح؟ نياماكودى!

التحق فضى سانكوح التمنى الأصل بالجيش السيراليونى سنة ١٩٥٦، وفى سنة ١٩٦٢ نال شارة العريف (لم يحز على غيرها طيلة مسيرته الطويلة العريضة) وانضم سنة ١٩٦٣

لوحدات القوات المسلحة للجنود السيراليونيين المكلفين بحفظ السلام فى الكونغو، وبعد الطريقة المشينة التى نحى بها باتريس لومامبا (أول رئيس للكونغو) فكر مليا وتأمل فاستنتج أن آلة منظمة الأمم المتحدة الضخمة تخدم دومًا مصالح التوبات الأوروبيين الكولونياليين الاستعماريين وليس مصلحة الزنجى الأسود الأهلى المتوحش المسكين.

لدى عودة فُضى سانكوح إلى بلاده كان أكثر وعيا تجاه فقر الطبقات الشعبية والفساد الفاحش الذى يسود البلاد لذلك قرر الانخراط فى العمل السياسى.

فى سنة ١٩٦٥ اشتبه فى مساهمته فى مؤامرة العقيد جون بنكورا ضد مركاى فقبض عليه ثم أطلق سراحه، فى سنة ١٩٧١ اتهم بالاشتراك فى انقلاب مومووح العسكرى ضد سياكا ستيفنسر فاعتقل لمدة عشر سنوات طوال درس خلالها ماوتسى تونج ومنظرى الحروب الشعبية وفكر طويلاً فتوصل إلى استنتاج مفاده أن ما سيقضى على الحكم العفن والقذر لسيراليون ليس انقلابًا عسكريا على الحكم إنما ثورة شعبية تأتى من القاعدة، لذلك سخر نفسه فى سبيل هذه الغاية.

بدأ النضال أولاً فى شرق البلاد ثم انتهى بالإقامة فى مدينة بو - وهى ثانى مدينة فى سيراليون - وانتحل صفة مصور وراح ينشر تدريجيا أفكالره حتى سنة١٩٩٠، فى بداية عام ١٩٩١جند جيشًا من ثلاثة مائة نفر وسمى رجاله بالمكافحين فى سبيل الحرية وجيشه الجبهة الثورية المتحدة (بالبندجان تسمى العبارة اختصارًا RUF)، ثم عمل على تدريب رجاله فأصبحوا محاربين حقيقيين، وعن طريق سلسلة من الكمائن حصلوا على أسلحة عصرية استبدلوا بها السواطير، وفى صباح الثالث والعشرين من مارس عام ١٩٩١ شن فُضى سانكوح حربًا أهلية على حدود ليبيريا بالتواطؤ مع تايلور لص البلد آنذاك.

بعد المفاجأة ثار الرئيس جوزيف مومومح واشتكى من تايلور وطلب المساعدة من دول CDEAO الأخرى، كما أرسل آلاف الجنود على الحدود لدفع متمردى RUF وطرد الغزاة، لكن هؤلاء الجنود أخلوا مكانهم والتحقوا بفريق المكافحين فى سبيل الحرية RUF فتفاقمت الأوضاع وساءت الأحوال وأصبحت سيراليون على حافة الهلاك، ولم يتماسك

جوزيف مومو فطرد من الحكم عقب انقلاب آخر ثم هرب نيونا نيونا بالأموال، فحل محله الكابتن ستراسير.

كان برنامج ستراسير يرتكز أولاً على محاربة طامة الفساد (طامة يعنى خطر يحدق باستمرار) وثانيًا التصدى لفضى سانكوح وجيشه RUF، ولهذا الغرض جند أربعة الآف شاب من بين الشباب المعوز الجائع فصاروا جنودًا يعنى جنودًا نهارًا وثوارًا ليلاً، فالتحقوا بدورهم بمكافحى RUF، فى الخامس عشر من أبريل سنة ١٩٩٥ صباحًا قام فضى سانكوح بهجوم من الغرب باتجاه العاصمة فريتاون واحتل بلا مقاومة تذكر مدينة ميل ترتى - إيكت الاستراتيجية والمنطقة الماسية والذهبية كلها وضيعات إنتاج البن والكاكاو والسعف الزيتى، ومن تلك اللحظة لم يعد يهتم بأى شىء، فهو يسيطر على سيراليون النافعة، والله! لم يعد فالنتين ستراسير يملك أى شىء ولا فرنكًا واحدًا فشعر بضيق شديد ولجأ إلى الديمقراطية، فأجاز الأحزاب السياسية ونظم مؤتمرًا قوميا (المؤتمر القومى هو ذلك المعرض السياسى الكبير الذى نظم فى كل البلدان الإفريقية قرابة سنة ١٩٩٤ والذى يتحدث أثناءه كل واحد عما

يجول بخاطره) ثم قرر - بإيجاز من منظمة الأمم المتحدة - تنظيم انتخابات حرة ونزيهة، لكن فضى سانكوح لم يستسلم للعبة الديمقراطية، كلا ثم كلا رفض كل شيء، لم يرد لا المؤتمر القومى ولا انتخابات حرة ونزيهة، لم يرد شيئًا، كل ما كان يهمه هو المنطقة الماسية من سيراليون، المنطقة التى يحكم قبضته عليها أى سيراليون النافعة، ولا شيء آخر يهمه، وأول ما طالب به هو طرد ممثل منظمة الأمم المتحدة الذى يعتبره عدوًا لدودًا اعتبارًا من الكونغو كما هدد أنه لن يتخلى عن مناجم الألماس والذهب التى يتحكم بها ما دام ممثل الأمم المتحدة مقيما بسيراليون.

شعر فالنتين ستراسير بالضيق واحتار فيما يجب فعله، فكر أولاً بضرورة الحفاظ على عاصمته وما تبقى من الأراضى القليلة بحوزته. لذا لجأ إلى الغوركاس النيبالى ثم إلى المرتزقة جنوب إفريقيا "البويرس"، لكنه لم يجد متسعًا من الوقت للمضى أبعد من ذلك، فسرعان ما أسقطه مساعده جوليوس ماندا بيو نائب رئيس مجلس الحكومة المؤقت، فأخلى الكابتن ستراسر المكان نيونا نيونا مثل لص جبان.

في السادس عشر من يناير ١٩٩٦ أقام مانادا بيو فى قصر لومبى بيتش (مقر إقامة رؤساء وسادة سيراليون)، ومن يومها ضغطت منظمة الأمم المتحدة ودول CDEAO على مانادا بيو وفرضوا عليه الإبقاء على المسلسل الانتخابى المقرر عقده منذ حكم ستراسير فى السادس والعشرين من فبراير وفى الثامن والعشرين من يناير شرع فى حوار مع وفد فضى سانكوح الذى رفض الانتخابات الديمقراطية، ولم يقر بشىء (فلا شىء ما دام يتحكم في القسم النافع من سيراليون).

تمت الجولة الأولى من الانتخابات رغم اعتراضه، لذلك استشاط فضى سانكوح غيظًا (استشاط يعنى أطلق العنان لغضب عنيف وانطلق سبًا وتهديدًا)، قبل الشروع فى المحادثات اشترط فضى سانكوح عدم إقامة الجولة الثانية من الانتخابات لأنه لا يقر بانتخابات حرة، لكن كيف يتم له ذلك؟ كيف تمنع الجولة الثانية من الانتخابات؟ أطرق مليا، وعادة عندما يكون كذلك لا يستهلك خمرًا ولا نساء، والله! امتنع عن الطعام واختلى بنفسه لأيام وأيام.

فى نهاية اليوم الخامس من هذه الحمية الماسطة (الماسطة أى ذات المفعول القوى والحاسم) جاءه الحل طبيعيا كأنه إلهام على شكل عبارة مقتضبة "لا انتخاب دون أياد" (مقتضب يعنى مجزا ومكثفًا)، وكان الأمر بديهيا فمن لا يد له لا يمكنه التصويت (بديهى يعنى واضحًا ومؤكدًا)، يجب إذن بتر أيدى أكبر عدد ممكن من الأشخاص، أغلبية مواطنى سيراليون، يجب على السلطات الحكومية قطع يد كل سيراليونى معتقل قبل إرساله إلى المنطقة المحتلة، أعطى فضى الأوامر والتعليمات فطبقت فورًا، نفذت الأكمام القصيرة والأكمام الطويلة؛ أما الأكمام الطويلة فهى عندما تبتر السواعد من المرفقين، أما الأكمام القصيرة فعندما تُقطع اليدان عند مستوى الكوعين.

كانت عمليات البتر عامة ودون استثناء أو شفقة، حتى عندما تتقدم امرأة بطفل علـى ظهرها كانت تبتر هى وطفلها أيا كان عمره، فالأنجح بتر المواطنين أطفالاً، فهم ناخبو الغد.

ذهلت المنظمات غير الحكومية لرؤية توافد سيل من الجامعات بأكمام طويلة وقصيرة، فضغطت على مانادا بيو

(ذهلت حسب لوبتى روبير يعنى انتابها ذعر وخوف شديدان)، هاج مانادا بيو وسعى إلى التفاوض ولكنه فى حاجة إلى شخص يقنع فضى سانكوح بالإنصات، شخص ذو نفوذ فى نظر الجميع، لهذا قصد حكيم إفريقيا السوداء فى ياموسوكرو.

ويسمى هذا الحكيم هوفويت بوانيى، إنه ديكتاتور مسئول وعجوز أبيض أصهب بالرشوة أولاً، ثم بالسن وفرط الحكمة، أخذ هوفويت بوانيى الأمر بمنتهى الجدية والاستعجال، فأرسل وزير شئونه الخارجية أمرًا لاصطحاب فضى سانكوح إلى غينتة فى الغابة الاستوائية الدغلة المتوحشة (غينة أى مكان دغل فيه رجال المقاومة).

أتى آمارا فضى سانكوح سليمًا بلحمه وشحمه إلى ديكتاتور ياماسوكور العجوز الذى رحب به وقبله من شفتيه واستقبله بحفاوة وبذخ مستهجن (مستهجن يعنى الذى يبدو بطبيعته غير المألوفة وكأنه تحد للوضع العادى)، وضع كل شىء رهن إشارته وأغدق عليه كثيرًا من المال واحتفى به ببذخ مستهجن لا يمكن أن يوفره إلا ديكتاتور عجوز بمعنى الكلمة، ابتهج فضى سانكوح وانتشى هو الذى لم يرى فندقًا فاخرًا طيلة

حياته التى عاشها فى قوة وكد (انتشى يعنى أحس بنشوة عارمة)، ولما كان كل شىء متوفرًا بكثرة وبذخ صار يستهلك أى شىء ببذخ ودون تحسب؛ السجائر والكحول والهاتف الخلوى ولاسيما النساء (ببذخ يعنى فوق الحدود المعقولة). فى ظل هذا الوضع وافق فضى سانكوح فورًا على وقف إطلاق النار.

تمت الجولة الثانية من الانتخابات رغم كل شىء، فرغم بتر أيادى أغلبية مواطنى سيراليون تحمست الطبقات الشعبية للتصويت لاعتقادها الراسخ أنه أنجح وسيلة لإيقاف الألم المبرح الذى تكابده (ألم مبرح يعنى لوعة جسدية ومعنوية)، يا للوهم! قصد الناخبون مكاتب التصويت، حتى ولاسيما مبتورى الأيدى كثيرى العدد الذين صوتوا بمساعدة أخ أو صديق يرافقهم داخل حجرة الاقتراع.

وعقب الانتخابات اختير أحمد تيجان قباح بنسبة ٦٠% من الأصوات في السابع عشر من مارس ١٩٩٤، فاستقر الرئيس المنتخب ديمقراطيا بقصر لومبى بيتش ثم أرسل على الفور وفدًا إلى ياموسوكرو للمشاركة فى المحادثات.

لم يرض فضى سانكوح الاعتراف بأحمد تيجان قباح رئيسًا (لا يهمه شيء مادام يتحكم بسيراليون النافعة).

وبعد شهر من النقاشات المطولة انتهى فضى سانكوح بالتعقل، فدرست أدق تفاصيل البيان الختامى الذى لم ينشر إلا بعدما قبل فضى بكل ما ورد فيه، ثم ترك ليعود إلى بذخه المستهجن بكحوله ودخانه ونسائه وهاتفه الخلوى.

بعد شهر من ذلك أعلن فى تصريح مجلجل (يعنى مثيرًا) أنه يرفض كل شيء، وأنه لم يقبل شيئًا أصلاً، لم ولن يعترف أبدًا لا بانتخابات ولا بأحمد تيجان، ولن يوقف إطلاق النار.

تجددت المفاوضات مرة أخرى، كانت مكثفة وحاسمة (مكثفة يعنى أخذت بصرامة وجدية)، لكنها نجحت فى النهاية، وتمت مناقشة البيان الختامى عدة مرات، نقطة نقطة وفاصلة فاصلة، فتمت الموافقة عليه في النهاية بحماس شديد، ثم هنأ الجميع فضى بذلك وقبله الديكتاتور العجوز من شفتيه، فأعيد إلى فندقه وبذخه المستهجن، وسرعان ما استرد عاداته وعيوبه ورذائلة (رذيلة يراد بها هنا نزعة جنسية مضادة للطبيعة)، بعد

شهر من ذلك، باتاتراس! نقض كل شيء! لم ولن يعترف فضى أبدًا بالانتخابات ولا بالسلطات الناتجة عنها، لا أبدًا، أبدًا لم ولن يعترف بأحمد تيجان قباح رئيسًا (لا يهمه شيء مادام يتحكم بسيراليون النافعة).

هرع كل من شارك فى المحدثات (هرع يعنى جاء مسرعا) فتجددت النقاشات بعناء ثم فحصت بنود الاتفاق نقطة نقطة إلى أن صيغ البيان النهائى بعد مناقشات مكثفة أكثر من ذى قبل حيث وجب الاتفاق على كل كبيرة وصغيرة بشكل قطعي ونهائى، فلابد من حسم الأمر بالنقطة والفاصلة والأهلة، وهاهو سعيد بالتوصل إلى إجماع في الرأى صحيح، كانت المحادثات صعبة لكنها أفضت إلى نتيجة نهائية.

فافورو! بعد شهرين من ذلك وبعد اعتبار قضية وقف إطلاق النار والمفاوضات محسومة، طفى فضى من جديد عبر تصريح راعد (طفى حسب لاوس يعنى برز، ظهر)، لم يوافق على شيء ولم يوقع أى اتفاق ولم يعترف بأى شيء؛ لا بالانتخابات ولا بالرئيس وبالتالى سيعود محاربوه إلى القتال (لا يهمه شيء مادام يتحكم فى سيراليون النافعة!).

هرع المفاوضون إلى فندق إفوار الفخم حيث يقيم فضى بعيوبه ورذائله، لكن لا أثر له! جرى البحث عنه فى كل مكان، في المواضع الأكثر ريبة وعفونة فى تريشفل (الحى الساخن فى أبدجان، عاصمة ساحل العاج) لكن لا أثر له، لذلك اعتقد الجميع أنه خطف وتوجسوا خيفة على حياته، أرهقت الشرطة بالبحث بينما شعر الديكتاتور هوفويت بوانيى بغيظ شديد بوصفه مضيفه والمسئول عما حدث له واستشاط ضد جهاز أمنه، فاستكمل البحث بدقة وأناة لكن لا أثر لفضى!

وبعد ثلاثة أسابيع من اختفائه عرف أنه تم القبض عليه بلاجوس فى نيجيريا بتهمة الاتجار غير المشروع بالأسلحة، ماذا دهاه للتوجه إلى نيجيريا؟ تالله! فديكتاتورها سانى أباشا عدوه اللدود، ماذا دهاه ليحط فى فم السبع، هذا السبع الذى يدعى سانى أباشا؟

يكمن السر في الحقد بين الديكتاتورين - الديكتاتور هوفويت بوانيى والديكتاتور سانى أباشا - فى القصة التالية؛ كانت قوات سانى أباشا هى التى تحارب لدى هوفويت بوانيى، وعنده أيضًا كانت تقام المحادثات من أجل السلام وكان مواطنو

سانى أباشا هم الذين يموتون بسيراليون، في حين أن الصحف العالمية تتحدث عن هوفويت بوانيى وتعتبره حكيم إفريقيا السوداء، كأن سانى أباشا - كما يقول الزنوج السود الأهليين - يجلس تحت المطر بينما يخرج هوفويت بوانيى السمك من النهر، أو كما يقال بالفرنسية هوفويت بوانيى هو الذى يلتقط الكستناء من النار، وللثأر من هذا الوضع نصب الديكتاتور سانى أباشا فخًا حقيقيا لفضى سانكوح فأرسل مخبرًا سريا إلى أبدجان ليقترح على فضى صفقة المغبون (المخدوع)، فطلب منه التوجه سرًا إلى لاجوس حيث سيستقبله سانى أباشا ليتحدثان فى سرية عن أنجح الوسائل لإزاحة قوات ECOMAG النيجيرية من سيراليون، فوقع فضى سانكوح فى الفخ وبمجرد وصوله إلى لاجوس ألقى القبض عليه كمهرب للأسلحة ثم اعتقاله، وبعد حجزه وإقصائه بدأت المباحثات ميدانيا مع مساعديه لعلهم يتعاملون بليونة أكثر منه، لكنهم أبوا التعاون ورفضوا النقاش فى غياب زعيمهم الذى صرخ من داخل سجنه بصخب وبدون تحفظ بصوت أجش مدو قائلاً لا ثم كلا.

احتار الديكتاتور سانى أباشا بأمر المزعج فضى سانكوح (المزعج يعنى المشوش لو بتى روبر) فسلمه إلى السلطات السيراليونية وبالتحديد إلى الرئيس المنتخب أحمد قباح الذى أخضعه لنظام معيشى شاق وصعب، فحبسه ومنع عنه كل شيء من النساء والدخان إلى الكحول والزيارات، ومع ذلك استمر فضى في الصراخ كلا ثم كلا، لم يشأ فهم أى شيء ولا التنازل عن أى شيء، لذلك تم اللجوء إلى حكيم إفريقيا الجديد - الديكتاتور إياديما - لأن الديكتاتور هوفويت بوانيى العجوز الذى كان يلعب ذلك الدور منذ عقود، لقى حتفه خلال ذلك الوقت (لقى حتفه يعنى مات) تاركًا لورثته من بعده إحدى أكبر ثروات إفريقيا السوداء، أى أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة مليار فرنك CFA!

نحن الآن فى عام ١٩٩٤، لنستبق الأمور (استبق يعنى قال الشيء قبل أوانه).

يستدعى حكيم إفريقيا الجديد إياديما فضى سانكوح إلى لومى عاصمة طوجو، ويعيد له كافة حقوقه ورذائله، يعطيه كل شيء؛ النساء والسجائر والهاتف الخلوى والخطب المملة

فيصبح حرًا فى تصرفاته وتتم إعادة المحادثات من الصفر، فيقول اللص فضى سانكوح مرة أخرى كلا ثم كلا، لن يقبل الاعتراف بالسلطات المنتخبة ولن يرضى بوقف إطلاق النار، لن يقبل بأى شىء (لن يهمه شىء مادام يتحكم بسيراليون النافعة).

عندئذ يبتكر الديكتاتور إياديما فكرة هائلة وعبقرية تدعمها بفاعلية الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا ومنظمة الأمم المتحدة، وتستهدف تلك الفكرة اقتراح تغيير، فى تغيير دون تغيير، يقترح إياديما - بموافقة المجتمع الدولى - على فضى سانكوح منصب نائب رئيس جمهورية سيراليون مع الاحتفاظ بالسيادة على كافة المناجم التى سيطر عليها بالسلاح أى على سيراليون النافعة، دون تغيير في وضع اللص بحيث لا تقام ضده أية دعوة ودون المساس بثروته، وبما أنه سيتمتع بعفو شامل فإن فضى سيجيب بنعم، نعم ثم نعم لوقف إطلاق النار ولنزع سلاح الفلاحين فى سبيل الحرية، وتبًا للأكمام القصيرة والأكمام الطويلة ثم تبًا للمعوزين المساكين.

مقابل هذا الثمن يعود اللص فضى سانكوح نائب رئيس جمهورية سيراليون الديمقراطية المتحدة ومستغل مناجمها، تلك هى المناورة التى ستوقف الحرب القبلية بسيراليون، فافورو! لكننا لم نصل بعد إلى هذا الحد، كل ذلك سيحصل لكن فيما بعد بكثير.

بعد أن ترحلنا في المنطقة التى يحتلها فضى سانكوح ومكافحوه فى سبيل الحرية (ترحل يعنى قضى وقته مغامرًا حسب لاروس)، لم يتغير حالنا (يعنى ياكوبا اللص الأعرج ومضاعف الأوراق النقدية والعراف المسلم وأنا براهيما طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم السمول سولدجير).

كنا في رحلة بحث عن الخالة التى تركت ليبريا بحثًا عن عمها بسيراليون).. والله!

بدأنا فى الطواف فى هذه المنطقة بعد أسبوعين بالضبط من الخامس عشر من أبريل سنة ١٩٩٥ تاريخ الهجوم السريع الذى مكن فضى من الإطاحة بسلطات سيراليون والتحكم بالجزء النافع منها واحتجزنا مكافحو RUF فى سبيل الحرية

بالتجمع السكنى المسمى ميل تيرتى إيكت على قرابة ثمانية وثلاثين كيلومترًا من فريتاون، عاصمة هذا البلد الهالك الملعون سيراليون.

كان الجنرال - السيد المطلق البشر - الذى أسرنا فى ميل تيرتى إيكت يسمى تييفى، وكان يشبه فضى سانكوح بالكامل؛ اللحية الشيباء ذاتها، قلنسوة القناص ذاتها، الولع بالملذات ذاته، والابتسامات والضحكات العجاب ذاتها (عجاب يعنى مدهشة حد الإزعاج)، وهم الجنرال بإرسالنا فورًا إلى المجزر - ذلك المكان الذى تقطع فيه أيادى الموظفين السيراليونيين لمنعهم من التصويت - لكن لحسن حظنا استشعر ياكوبا ذلك فذكر وظيفته ككريكريمان شديد المفعول ضد الرصاص، ثم قدم بطاقة هويته المزورة كمواطن من ساحل العاج، وسعد تييفى بكوننا من ساحل العاج فقد كان يحب هوفرييت بوانيى رئيس البلد لأنه كان ثريا وحكيمًا وشيد بازليكا (كنيسة قديمة إيوانية الشكل) وأخبرنا أننا سعيدو الحظ، فلو كنا غينيين أو حتى أجنبيين لقطعت أيدينا لأن غينيا تتدخل في شئون سيراليون الداخلية، عندئذ جذب ياكوبا إليه بطاقتى

هويتنا الغينيتين عندما فطن إلى أفضلية عدم تقديمها (فطن يعنى استبصر). وأرسل ياكوبا وهو قرير العين إلى إقامات الكريكريمان الوافرة الطعام، فشرع فى العمل وصـــنع تعويذة لا مثيل لها للجنرال تييفى.

كان بودى أن أصبح سبع الثورة الصغير، والسباع هم أولئك الأطفال الجنود المكلفون بمهام قاسية ووحشية مثل وضع نحلة فى عين مريض - حسب تعبير الزنوج السود الأهليين المتوحشين:

بابتسامة فياضة سألنى تييفى:

- هل تعرف ما هو السبع؟

أجبت بالنفى.

- السباع هم كلاب متوحشون يصيدون فى جماعات ويفترسون كل شىء من الأم إلى الأب مرورًا بأى شىء، وعندما ينتهون من توزيع الضحية يختلى كل واحد منهم لينظف نفسه ومن يعود منهم ولو بقطرة دم واحدة على وبرة يعتبر

جريحًا فيفترسه الآخرون، هو ذا السبع هل فهمت الآن؟ لا شفقة لديه ولا رحمة، ثم خبرنى هل لديك أم؟

- لا.

- أب؟

- أجبت بالنفى. فانفجر تيبفى ضاحكًا و أضاف:

- لست محظوظًا يا براهيما الصغير، لن تستطيع أبدًا أن تصبح سبعًا صغيرا للثورة لأن والديك ماتا ودفنا، فلكى تصبح سبع الثورة الصغير لابد لك قبل ذلك أن تقتل واحدًا من والديك بنفسك، وعندئذ فقط يمكنك بداية السلوك.

- وهل بإمكانى أن أصبح سبعًا صغيرًا فقط؟

قهقه من جديد قبل أن يجيب:

- كلا ثم كلا! لست ماندينا أنت ولا تفهم معنى ذلك، أنت ملانكى وحفلات وطقوس التهيؤ

والسلوك عندنا ترقص وتغنى بالماندى، وفى النهاية لابد لكل سبع أن يأكل كرة لحم من صنع السحرة بكثير من التوابل ولحم البشر، لكن الملانكيين عكس الماندييين إذ يشمئزون من أكل لحم البشر (اشمأز يعنى نفر)، بيد أن قليلاً من اللحم منها ضرورى أثناء الحروب القبلية لأنه يقوى القلب ويحفظ من الرصاص، بل ربما أنه أحسن وقاية ضد الرصاص الصفار، أنا تييفى مثلاً لا أقصد أبدًا جبهة القتال دون قدح من الدم البشرى، لأنه يقوى الجأش ويجعل المرء متوحشًا قاسيا، ناهيك عن أنه يحفظ من الرصاص الصفار.

ويهيأ السبع الصغير فى الغابة فيرتدى تنورة من الرافيا (نوع من النخيل) ويرقص ويغنى ويبتر بشراهة أيادى المواطنين السيراليون، ثم يتناول كرة من اللحم البشرى حتمًا وهى تؤكل كوجبة شهية ولذيذة فى نهاية حفل المهيئين، نياماكودى!

ومن ثم لا يمكننى أن أنتمى إلى صفوة الأطفال الجنود من السباع الصغار، ولذلك لا حق لى فى الحصة المضاعفة من الأكل والشرب ولا فى المخدرات ولا فى الأجر المثلث الذى يتقاضاه السباع الصغار، باختصار كنت مجرد بائس تافه فالتحقت بالفريق المكلف بحراسة المناجم المكون من عمال أنصاف عبيد يتقاضون أجرًا لكنهم ليسوا أحرارًا فى تصرفاتهم.

لنعد الآن إلى حكومة هذا البلد الهالك الآهل بالملاعين المعتوهين وسياسته.

انتخب أحمد تيجان قباح بنسبة 60% من الأصوات فى السابع عشر من مارس ١٩٩٦، واستقر كرئيس منتخب فى قصر لومبى بيتش فى الخامس عشر من أبريل وحيدًا فى مواجهة مصيره يعنى فى مواجهة الجيش السيراليونى، وينطبق ذلك على الرؤساء المنتخبين كلهم، كانت أشباح كل الأسلاف الذين فروا أو قتلوا فى القصر تسكن أرجاءه لذا لم يتمكن أحمد تيجان قباح من النوم ليلاً، لم ينام إلا نومة التمساح بعين نصف مفتوحة، فكر كثيرًا فى الوسيلة التى ينهى بها تلك المواجهة

الضارية مع الجيش السيراليونى متقلب المزاج، والحق أنه اعتبارًا من القرن الـــ ١٩ يوجد فى سيراليون على غرار بلدان إفريقيا الغربية كافة جماعة الفرو الماسونية (جمعية سرية تهيئ السالكين) تضم كبار الصيادين الذين يعدون سالكين متمرسين وسحرة أشداء وكذلك الشوافين الملقبين بالكاماجور أو جمعية الصيادين التقليديين المحترفين.

واستدعاهم قباح إلى القصر وتحدث معهم بجدية، فقبلوا أن يكونوا فى خدمته، ثم استبدلوا البنادق التقليدية بكلاشات حديثة، و ابتداءً من ذلك اليوم استطاع الرئيس المنتخب أن ينام نومًا عميقًا، نوم رضيع بائعة اللبن (رضيع بائعة اللبن ينام فى سلام ليقينه أنه سيحصل على الحليب مهما حدث)، منذ تلك اللحظة انقسم البلد إلى معسكرين وخمسة شركاء؛ يضم المعسكر الأول النظام المنتخب ديمقراطيا والجيش السيراليونى يرأسه قائد الأركان جونى كوروما علاوة على ECOMAG (قوات الوساطة التى لا تتوسط قط) ثم الكامجور أو جمعية الصيادين التقليديين، أما المعسكر الثانى فيتكون من مكافحى RUF وفضى سانكوح، هكذا كان هناك معسكران وخمسة

شركاء وكان كل شريك يجوب سيراليون الواسعة ذهابًا وإيابًا ويمتص دم الشعب السيراليونى إلى آخر نقطة (امتص دم يعنى استغل).

كنا بميل تيرتى إيكت (نحن، أى اللص الأعرج وأنا طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم) فى منطقة نفوذ RUF فى إقطاعية فضى سانكوح.

ذات مساء بعد مغيب القمر سمعت وشوشات ونعيق الغابة المجاورة قرابة المعسكرات، فأطلق الخفر عيارات نارية مدوية، لكنها لم تسترع انتباه أحد وبقى الجميع نائمًا نوم بطل مصارعة سنغالى انتصر على كل أبناء جيله، فالعيارات تدوى كل ليلة، وكل ليلة هناك لصوص يتسكعون على جنبات المناجم، لذلك لم توقف تلك الطلقات المتفرقة الوشوشات.

منذ ومضات الفجر الأولى دوت طلقات كلاش حول القرية بينما تعالى نشيد الصيادين الذى تردده آلاف الأصوات بشكل جماعى، وكان الكاماجور قد هاجمونا وحاصرونا ووصلوا ليلاً وطوقونا على طريقتهم قبل أن يطلع النهار،

أصبنا بالدهشة لا سيما ونحن نعرف أن الرصاص لا يصيب الصيادين، لذلك صار أطفال جنود الفريق المذعورون يرددون: الرصاص لا يخترقهم، الرصاص لا يعنى لهم شيئًا! "والناس يتقافزون في كل الاتجاهات محاولين الفرار بجلودهم، وقبل منتصف النهار كانوا قد قطعوا الطرق كلها واستولوا على جميع المنشآت جميعها، بينما اختفى زعماؤنا كلهم.

نظم الصياديون الكاماجور كعادتهم بعد النصر حفلاً تقليديا، لم يكن لديهم من الأشياء العصرية إلا الكلاش، أما ثيابهم فعبارة عن أقمصة مشبوك بها آلاف الأحجبة والتعاويذ علاوة على المخالب وزغب الحيوانات، كما كانوا يرتدون كلهم قلنسوات خاصة و يغنون بصوت عال ويرقصون وهم يطلقون النار.

وبعد الحفل احتلوا الأماكن والمعسكرات والمناجم وجمعوا الأسرى، كنت أنا وحاميى ياكوبا لدى الكماجور، وأودى هجوم الصيادين المحترمين بحياة ستة أطفال جنود، والزمت نفسى بقراءة تأبين واحد منهم لأنه كان صديقى وكان يجد الوقت أكثر من مرة ليلا بالمعسكر ليقص على مشوار

حياته (المشوار حسب لو بتى روبير هو الطريق الذى يتبعه شخص ما)، قرأت تأبينه وحده لأن لى الأمر ولست مجبرًا على ذلك بالنسبة للآخرين، فالأمر لى كما أن لله الأمر فى أمور الدنيا كافة.

بين الأموات كان هناك جثمان جونى الصاعقة بلا مزاح كان نيوسونيوسو المعلمة هو الذى أضاع جونى الصاعقة ورماه في أحضان الأطفال الجنود (نيوسونيوسو حسب بيان الخصوصيات هو الفرج، عضو المرأة التناسلى)، نعم فرج المعلمة هو الذى أوصله إلى مراتع الأطفال الجنود، وها هى الحكاية ...

جونى بازون هو اسم جونى الصاعقة الحقيقى وكان يسمى كذلك عندما كان يتردد على مدرسة مان قبل الالتحاق بالأطفال الجنود، وبالصف الثانى الابتدائى كان هناك درج يوضع فوقه مكتب المعلمة، وكان الجو حارًا بل شديد الحرارة وذلك ما كان يشعر المعلمة بالنعاس و يجعلها تستحلى استقبال الهواء بين فخذيها، فتفتحها على الآخر بينما يتسلى التلاميذ بالدخول تحت الطاولات ليستمتعوا برؤية ذلك المنظر

ويغتنمون كل فرصة فى سبيل تلك المتعة، كما كانوا يضحكون ملء أشداقهم على ذلك فى فترة الاستراحة (ملء أشداقهم يعنى بصوت عالٍ دون تحفظ).

وذات صباح خلال الدرس سقط قلم جون، فانحنى بحركة آلية ودون أدنى سوء نية لالتقاطه، لكن ذلك اليوم كان يوم شؤم إذا لم تكن المعلمة تنتظر سوى تلك الفرصة بعد أن أخبرت أو اكتشفت اللعبة بنفسها، فجن جنونها وصاحت بهستيرية (يعنى بتوتر شديد): "رذيل! خسيس! رذيل!" ثم ضربت جون بالمسطرة على يديه ورجليه وركلته بعنف ووحشية حتى اضطر إلى الفرار لكنها أرسلت فى أعقابه مخلَّعًا يدعى تورى، توقف جون بازون على بعد بضعة أمتار من تورى فجمع حجرًا ثم هاك! رمى به تورى على وجهه فسقط كثمر ناضج، نعم سقط ميتا! وتابع جونى جريه المحموم حتى منزل خالته وقال لها "قتلت شخصًا! قتلت زميلاً لى فى المدرسة!" بسرعة خبأته خالته المذعورة عند جار لها، وعندما جاءت الشرطة تبحث عن الجانح أجابت الخالة أنها لم تره منذ الأمس، ترك جون المدينة ليلاً فى اتجاه قرية مجاورة على

طريق غينيا وهناك استطاع أن يصعد متخفيا بحافلة ليلحق بعمه في غينيا بنزيريكورى (متخفيًا يعنى دون أن يتعرف عليه أحد)، لم تكن الرحلة مريحة فقد أوقف قطاع الطرق الحافلة على الحدود الليبيرالية الغينية بكلاشاتهم واستولوا على كل محتوياتها وحتى قطع غيارها، وجاء قناصون فى تلك اللحظة فهرب قطاع الطرق على الفور، جمع القناصون الركاب ساقوهم إلى معسكرهم ثم دعوا من أحب منهم أن يعود راجلاً إلى مان التى تقع على بعد يومين مشيًا. صاح بازون: "أنا أعود إلى مان؟ أبدًا، أبدًا، أريد أن أصبح طفلاً جنديا"، وهكذا التحق جون بازون بالأطفال-الجنود وصار جونى الصاعقة.

أما كيف أصبح جونى بازون جونى الصاعقة، فتلك قصة أخرى وهى قصة طويلة ولا رغبة لى فى حكيها فلى الأمر فى هذا الشأن ولست مجبرًا على ذلك، كان جثمان جونى الصـــاعقة مضرجًا وكان ذلك شيئًا يؤلمنى بل يؤلمنى للغاية، بكيت دموعًا ساخنة لرؤية جونى مضرجًا هكذا، ميتًا هكذا، وهذا كله لأن الرصاص لا يخترق أجساد الصيادين، ولأن

جونى لم يدرك فى الوقت المواتى أن الصيادين هم الذين هاجمونا، والله! بسم الله الرحمن الرحيم!

كان بميل تيرتى إيكت فتيات ونساء، وكانت النساء يطبخن، وكانت الفتيات فتيات جنود مثلنا وكن يشكلن فريقًا ترأسه لعينة بدينة تسمى الأخت حاجة كبرييلا أمينتا.

كانت الأخت حاجة كبرييلا أمينتا ثلث مسلمة وثلث كاثوليكية وثلث كاهنة وثنية، وتشغل منصب عقيد بوصفها ذات خبرة كبيرة في الفتيات لأنها ختنت زهاء ألف فتاة طيلة عشرين عامًا (ختن يعنى قطعًا فى فترة التهيؤ بظر الفتيات).

كانت الفتيات تعشن مجتمعات بداخلية إحدى المدارس العتيقة بميل تيرتى إيكت، وكانت البناية تتكون من عدة عمارات مشيدة فوق ضيعة مستطيلة كل جانب منها محصن بمركز قتال محمى بأكياس رملية، كانت الفتيات الجنود تحرس وكان المكان محدوذا ومطوقًا بأعمدة تعلوها جماجم بشرية، وهذا ما تقضيه قوانين الحرب القبلية، كانت البناية عبارة عن مدرسة داخلية تديرها الأخت أمينتا بيد من حديد.

كانت الفتيات يستيقظن كل يوم فى الرابعة صباحًا فتتوضأن وتركعن لصلاة الصبح المسلمة سواءً كن مسلمات أم لا، لأن النهوض المبكر ينشط الجسد بينما الوضوء الصباحى يطرد رائحة البول القوية التى تفوح دومًا من الفتيات الزنجيات السوداوات الأهليات، وبعد صلاة الجماعة تمر الفتيات إلى سخرة تنظيف المؤسسة ثم إلى التدريبات البدنية متبوعة بحصص استعمال السلاح حيث تزعق الأخت أمينتا بأعلى صوتها وتوبخ الفتيات اللواتى يستعملن السلاح برخاوة وفتور، وبعد ذلك تصطف الفتيات وبخطى موقعة يتجهن نحو النهر وهن يغنين أناشيد وطنية سيراليونية، وهناك يستمتعن ويلعبن ثم يعدن إلى المعسكر المعزول بخطى منتظمة وهن يغنين أناشيد وطنية مثلما فى الذهاب، وبعد وجبة الغذاء تمر الفتيات إلى الواجبات اليومية؛ دروس محو الأمية ودروس تعليم الخياطة والطهى فى حين تراقب أمينتا التفاصيل كلها وهى مسلحة بكلاشها.

رفضت الأخت أمينتا رفضًا باتًا طيلة مشوارها الثرى كمختتنة أن تختن أية فتاة فقدت بكارتها، لذلك قررت خلال هذه

المدة المشوشة من الحرب القبلية أن تصون مهما حدث بكارة الفتيات العذراوت فى انتظار عودة السلام إلى سيراليون الوطن الحبيب، وكانت تنفذ هذه المهمة بالكلاش وبصرامة كبيرة ودون أدنى شفقة، ورغم ذلك كانت تعتبر بالنسبة لفتيات الفريق أختًا وأمًا غيورة تحميهن ضد كل محاولات الأقتراب، حتى تلك التى يقوم بها زعماء أمثال تييفى، كما كانت تقصف الفتيات اللواتى يتصرفن بتهور وكذلك كل من يتجرأ على اغتصابهن.

ذات يوم عثر بين المعسكرات الثلاثة لعمال المناجم على جسد فتاة مغتصبة ومقطوعة الرأس، تم التعرف عليها وكانت تسمى سيتا وتبلغ من العمر ثمانى سنوات، قتلت بطريقة بشعة، بطريقة شنيعة تدعو إلى البكاء الحار حتى إن شخصًا يعيش فى بحور الدماء مثل الأخت الحاجة كبرييلا أمينتا ذرفت دموعها ساخنة، بسرعة جرى البحث عن الجانى لمدة أسبوع كامل لكن دون جدوى إذ لم يسفر البحث عن شيء.

في بداية الأسبوع الثانى بدأت الأمور تتداعى، فقد صار يختفى عمال المعسكرات الثلاثة الذين يغامرون ليلاً خارج

حصونهم لأسباب ملحة ليعثر عليهم فى اليوم التالى مقتولين ومقطوعى الأعضاء التناسلية والرأس تمامًا مثل التعيسة سيتا، علاوة على ورقة تحمل ما يلى "على يد الدجا، روح سيتا المنتقمة"، ذهل سكان المعسكر فأرسلت مجموعة من الأطفال الجنود لحمايتهم لكن القتل لم يتوقف، بل كان يسيطر عليهم كل ليلة المقنعون الذين جاءوا لخطف سكان المعسكرات، وكل صباح يتم العثور على المخطوفين مقتولين ومقطوعى الأعضاء التناسلية والرأس تمامًا مثل التعيسة سيتا، علاوة على ورقة تحمل مايلى "على يد الدجا، روح سيتا المنتقمة"، أضرب العمال ولجأ بعضهم إلى معسكرات أخرى مجاورة، لكن القتل لم يتوقف ولم يتغير الوضع، فالوقت لايزال يتعقبهم أينما ذهبوا.

كان ذلك فى عهد الجنرال تييفى، وأجرى الجنرال تييفى - السيد المطلق وغير المنازع للناس والأماكن - تحقيقًا وانتهى بفهم اللغز، فاستدعى جمعًا من أهالى المعسكرات دعى إليه الأخت الحاجة كابرييلا أمينتا ومساعداتها المقربات، فجاءت كلهن بالكلاشنيكوف بينما أرتدت العقيدة زى حاجة مسلمة

جاءت لتوها من الديار المقدسة بكلاش تحت أهذاب وزرتها، وذلك إجراء تقتضيه قوانين الحرب القبلية، وجرى نقاش حاد طيلة الظهيرة وعند مغيب الشمس انتهى أهالى المعسكرات إلى تعيين صعلوك مسكين أجمعوا على أنه المسئول عن موت الصغيرة سيتا، هو بعينه ولا أحد سواه، فتم تسليمه إلى الأخت الحاجة كابربيلا أمينتا، ولا حاجة لذكر ما عملت به، فلى الأمر فى عدم كشف كل شيء فى هذا الهراء فافورو!

عندما قدم الكاماجور إلى ميل نيرتى إيكت وشاهدوا عدد الفتيات الهائل كلهن مجتمعات فى مكان واحد، سال لعابهم شهوة وطاروا فرحًا، كان هناك العديد من الفتيات الجاهزات للزواج، استقبلت الأخت الحاجة كابربيلا أمينتا فورًا العقيد الشيخ الذى يتزعم فيلق الصيادين، وشرحت له أن ليس لديها فتيات للزواج بل للصيانة والإبقاء على الطريق المستقيم كما أخبرته بعزمها الأكيد على المحافظة على بكارتهن حتى عودة السلام واستتباب الأمن، عندئذ ستختتهن وتسلمهن لعوائلهن، وقتها فقط تصبحن مؤهلات فعلا لزواج يليق بهن، ثم حذرت وأنذرت أنها ستقتل بلا شفقة كل من حاول إغواء واحدة من

بناتها، لكن تهديدها أثار سخرية الصيادين الشبقين (الشبق يعنى الشهوانى، الذى يبحث دومًا عن ملذات جنسية).

وفى يوم من الأيام غامرت إحدى الفتيات بالظهور خارج سور البناية لتوديع أمها التى جاءت لزيارتها، فاستوقفها بعض الصيادين وأخذوها إلى بستان من الكاكاو، وهناك اغتصبوها بطريقة جماعية، وجدت الأخت الحاجة أمينتا الفتاة غارقة فى دمائها، كانت تسمى ميرتا وعمرها اثنتا عشرة سنة، قصدت الأخت أمينتا العقيد الأكبر - شيخ كل صيادى سيراليون - فوعدها أن يقوم بتحقيق عاجل، لكن البحث لم يتقدم قط، ولم يسفر عن أية نتيجة.

كان هناك صياد يحوم ليل نهار حول ثكنة الفتيات حتى شكت الأخت أمينتا فى أمره، فتم إغرؤه بإخراج إحدى الفتيات تتسكع حول الثكنة، هدد الصياد الفتاة بالكلاش واصطحبها إلى بستان الكاكاو، وفى اللحظة التى استعد الشهوانى للانقضاض على المتسكعة، ظهرت فتيات مسلحات من الغابة وقبضن عليه ثم أقر أنه شارك فى اغتصاب سيتا الجماعى، وبطلقات متواترة أخرسته الأخت أمينتا نهائيا، فرميت جثته من أعلى السور على

طريق محاذ تحت ترديد الفتيات الجماعى: "لقد شارك فى اغتصاب ميرتا!"، واحتج الصيادون عند رؤية جثة زميلهم ونددوا بالفضيحة، فثاروا وهجموا على معسكر الأخت الحاجة كابرييلا المعزول ثم حاصروه ليلاً ونهارًا لكن ذلك لم يمنع الأخت الحاجة كابرييلا من التسلل ثلاث مرات ليلاً وزرع الرعب بين الصيادين، ففى كل مرة كانت تحصد أرواح ثلاثة صيادين على الأقل، وبمنتهى الغضب جاء الصيادون على متن مصفحة رشاش، ورغم أن الأخت أمينتا تمكنت بلباس الحاجة وبالكلاش من أن تزحف حد المصفحة وتصعد إليها فى محاولة قتل مشغلها، إلا أن صيادًا كامنًا أطلق عليها النار من الخلف، فسقطت صريعة وماتت ببطولة.

سبب موت الأخت أمينتا حرجًا شديدًا لجمعية الصيادين، فقد كانت الأخت أمينتا كابرييلا امرأة لكنها ماتت كبطلة حرب، ولأن مدونة شرف جمعية الصيادين تنص على معاملة كل من مات كبطل حرب معاملة كبار الصيادين وأن يدفن بإكبار وإجلال يليق بالصيادين الكبار فقد طرح السؤال على كبير الصيادين، فكان جوابه واضحًا ولا لبس فيه (لا لبس فيه يعنى

لا غبار عليه)، فرغم كونها امرأة إلا أنها حاصرت لمدة أسبوعين فيلقين من الصيادين وقتلت خلال مناورتها الليلة تسعة صيادين، كما ماتت على متن مصفحة، لذلك فهى تستحق تمامًا جنازة الأبطال وكبار الصيادين وذلك بمعزل عن جنسها، وهكذا خصت الأخت أمينتا بجنازة من طراز الصياد الكبير، شيخ الصيادين.

ومنذ اللحظة التى اعتبرت فيها من كبار الصيادين، فقد أصبح من المفروض أن تملك نيامات لا تحصى (نيامات يعنى الأشباح الثائرة لمن قتل من البشر أو الحيوان)، وصار لزامًا جنى نياماتها، لذلك جمعت فى قرعة ثم جاء الصورا وهو شاعر وساحر الصيادين ليتلو صلاة التأبين بينما شرع الصيادون يطوفون - حسب أقدميتهم - حول جثمان الفقيدة وهم رافعون بنادق النخاسة على صدورهم بشكل منحرف مخللين الغناء بهزات صدر مرة على اليمين ومرة على اليسار، وعقب الرقصة حمل الجثمان مباشرة إلى حافة القبر فجاء ثلاثة صيادون كبار وانحنوا على قبر الأخت أمينتا، فاستخرجوا القلب وجنوه ثم أخذوه بعيدًا عن المأتم الجنائزى وقلوه فوضعوه

في حمام زيت داخل كنارى أحكم سده ودفن فى قلب التراب (كنارى يعنى مجمرًا، آنيـــة من الطين)، وبمجرد اختفـــاء الصيادين الثلاثة ودع الصيادون الآخرون الأخت الحاجة كابرييل أمينتا المختتنة الفاضلة والبطلة التى ورى جثمانها الثرى بإجلال وتعظيم يليق بكبار الصيادين، ودعها الصيادون جميعًا على طريقتهم بتسديد طلقات متوالية من بنادق النخاسة على حفرة موازية للقبر، مما سبب غيمة من الدخان غلفت القبر ومن حوله فى اللحظة التى تمت تغطية جثة الأخت أمينتا كابرييلا بالتراب، وعند الغروب بدأت السهرة فى المكان نفسه الذى عاشت فيه الأخت أمينتا كابرييلا حيث تحدث عنها الصيادون طيلة الأمسية كما لو أنها لا تزال حية، وبعد أربعين يوما من موتها تمت ممارسة طقس من شأنه أن يطهر روح الفقيدة ويطهرها وذلك بحرق المطرة.

وكل سنة بين أوائل مارس وأواخر مايو تنظم جمعية الصيادين الدنكون سولا، وهى أكبر احتفالية ومناسبة لقاء لدى جماعة الصيادين، يتناولون أثناءها وجبة جماعية يتم عقبها إخراج الدكاس كونونس من قلب الأرض، أى المجامر التى

تحوى قلوب الصيادين الأبطال، فيأكلها الصيادون خفية لأنها تمنح الحماسة والشجاعة.

لذلك يقال أو بالأحرى يردد الجميع أن قلب أمينتا كابرييلا عقيد الجيش السيراليونى استخدم كمسك ختام وجبة لذيذة وشهية في نهاية حفل مرو (حفل مرو يعنى وجبة شرب أثناءها كثير من نبيذ الذخن)، فافورو! نياماكودى!

(٦)

بمجرد أن استولى التقليديون المحترفون على منطقة ميل تيرتى إيكت رفضت السعادة أن تبقى معنا فى القرية نفسها (هكذا يقول الزنوج الأهليون السود للتعبير على أنهم فقدوا السعادة)، نحن - يعنى ياكوبا اللص الأعرج، الكريكريمان، مضاعف الأوراق النقدية وأنا، عبدكم، طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم - أخذوا منا كل شىء وفتشونا حتى اللباس الداخلى، وعندما وصلوا إلى لباس ياكوبا الداخلى اكتشفوا أكياسًا صغيرة مليئة بالماس والذهب بدلاً من مؤخرة محترمة، فهناك تحت القميص الفضفاض المنشى داخل السروال الواسع يحتفظ اللص الأعرج بمدخراته، وجدوا عندى أيضًا أثناء تفتيشى قليلاً من الذهب والألماس، لكن لم يكن ما بحوزتى شىء بالمقارنة بما مع ياكوبا، الذى أصبح يشبه فى مشيته من يعانى من فتق فى الخصيتين من فرط ما كان يحمل من أكياس

حول حزامه وداخل ثنايا سرواله (فتق يعنى علة ينتأ فيها جزء أو كل من أحد الأعضاء)، لكن الصيادين أخذوا منه كل شيء؛ أخذوا منا كل شيء، بعد ذلك ألقوا بنا داخل أرض مسورة، كنا كثيرى العدد من جنود وأطفال جنود ونساء، كنا حشدًا من الجياع تابعين لقوة الحرب القبلية من أجل كسرة خبز، ألقوا بنا داخل أرض مسورة دون أن يعطونا شيئًا يسد رمقنا، صرخنا من شدة الجوع، وذكر ياكوبا وظيفة ككريكريمان لكن ذلك لم يكف ولم ينفع، وكلما ازددنا جوعا تعالى صراخنا أكثر؛ وبما أنهم لم يجدوا شيئا يعطوننا إياه اضطروا إلى إطلاق سراحنا بعد استجوابات موجزة، وها نحن أحرار دون قيد ولا شرط ولا فلس ولا سلاح، وما من حل سوى النهب والسلب، لم يكن الصيادون بحاجة إلى ياكوبا العراف فقد كانوا كلهم عارفين، أنا أيضًا كنت حرًا طليقًا، فالصيادون المحترفون التقليديون الكاماجور لم يكونوا بحاجة إلى الأطفال الجنود لأن قانونهم يمنع استخدام الأطفال فى الحرب، ففى عرفهم يستطيع المشاركة فى الحرب من كان مهيئًا كصياد، وهكذا وللمرة الأولى واجهنا (أنا وياكوبا) الحقيقة وهشاشة الحرب القبلية.

وفى هذه الظروف أدهشنى حسن تصرف ياكوبا فى مواجهة هذه الواقعة، تركنا ميل تيرتى إيكت متجهين نحو فريتاون، وهناك تسلح بثلاثة جذوع شجر وقليل من القش وصنع منها خصًا (خص يعنى حسب بيان الخصوصيات كوخًا من القش) وأقام داخله كعراف وكريكريمان شديد يتميز بقدرة استبدال الرصاص الصفار بالماء، كانت البداية صعبة وكنت أقوم أنا بمهمة صبى عراف، ومع مرور الوقت بدأنا نضمن قوتنا اليومى، صحيح أننا لم نكن فى فندق من أربعة نجوم لكن استطعنا أن نأكل يوميا، وبهذه الآونة بالضبط حدث ما حدث كدليل مرة أخرى أن الله لا تأخذه سنة ولانوم وأنه يرعى كل من على الأرض حتى التعساء من أمثالنا.

انتهت الأمور إلى التوافق بين رجال الديمقراطى تيجان قباح ورجال قطاع الطرق الأربعة الذين يرغون ويزبدون فى سيراليون، وهم رجال اللص العقيد النيجيرى قائد قوات ECOMAG ورجال اللص قائد القوات السيراليونية ثم رجال اللص فضى سانكوح فرجال اللص هيكان نرمان وزير الدفاع ثم القائد الكاماجور أو الصيادون التقليديون، نعم حدث توافق

بين كل هؤلاء الخصوم والعصابات المختلفة عندما تدخل صندوق النقد الدولى، تم التوافق بين حــوالى ثمانمائة صياد تقليدى وعشرة آلاف جندى وعشرين ألف مغوار من رجال فضى سانكوح وعدد سرى من قوات ECOMAG وكان جنود الجيش المنتظم يتقاضون حصة شهرية تقدر بأربعين ألف أرز علاوة على دولار واحد لكل جندى، أما الصيادون فكانوا يمنحون حصة شهرية تبلغ عشرين كيس أرز، واكتشف صندوق النقــد الدولى .. والله إن رجال البنــوك لا رحمــة ولا قلب لهم وأن العساكر يستهلكون أكثر مما يجب من الأرز وأنهم يكلفون المجتمع الدولى ثمنًا باهظًا، فقرر أن يقلص عددهم من خمسمائة ألف إلى سبعة آلاف، واحتج الجنود وأقسموا بكل آلهتهم أنهم لا يبالغون فى الأكل، ولكنهم فقط عندما يشرعون في تناول حصتهم المتواضعة هناك دومًا من يقاسمهم إياها سواء كان عضوا من العائلة أو أحد المعارف، وبسبب عادة التضامن المؤسفة هذه توزع حصة الأرز بين عدد لا يحصى من المستهلكين، لكن صندوق النقد الدولى لا يأخذ بعين الاعتبار قاعدة التآزر الإفريقية فى هذا البلدسيراليون،

ومع ذلك أصر الجيش على كلمته الأخيرة ورفض قطعا أن يقبل أقل من أربعة وثلاثين ألف كيس فى الشهر.

ولتوفير الأكياس الأربعة آلاف كيس الإضافية وتوزيعها (يعنى الفرق بين الأربعة وثلاثين ألف كيس والثلاثين ألف كيس)، اضطرت الحكومة الديمقراطية المسكينة التابعة لتيجان قباح المسكين أن ترفع سعر الوقود فى البلاد كلها، لكن الزيادة تلك لم تغير شيئًا، فقد استطاعت الحكومة بالكاد خلال الشهر الأول أن تسدد الثلاثين ألف كيس من الأرز لكنها لم تباع إلا ألفين في الشهر الثانى بينما لم تتمكن سوى من جمع ثمن خمسمائة كيس فى الشـــهر - الثـــالث مايو ١٩٩٧ - خمسمائة كيس فحسب، عندما قدم الطعام للضباط لم ينل العساكر والجنود من الأرز نصيبًا، لذا لم تتأخر العواقب قط حيث اندلع انقلاب مسلح في الخامس والعشرون من مايو، لا سيما وأن تيجان قباح كان يمارس الحيد العرقى (حيد يعنى أن حكومة تيجان قباح كانت تفضل عرق الماندييين).

فى الخامس والعشرين من مايو فجرًا بدأت مواجهات دامية بين قوات ECOMAG وأعضاء الجيش النظامى، ثم

سرعان ما هاجت فريتاون كلها وارتمى الرئيس المنتخب تيجان قباح فى إحدى المروحيات ECOMAG فى اتجاه كوناكرى عاصمة غينيا إلى جانب الديكتاتور لاسانا كونتى حيث كانت الأوضاع أكثر راحة واستقرار، وهناك وجد الوقت والهدوء لمناقشة دول أعضاء CDEAO مساعدته فى استرداد نفوذه، وكان محقا بالنفاد بجلده، فبعد فراره من فريتاون صار الجميع يقصف الجميع فى حين دكت سفن ECOMAG النيجيرية من البحر خطوط الخصم بفوضوية، دام القصف يومين وحقق أبهى انقلاب بمعنى الأكثر دموية وفتكًا فى هذا البلد الهالك من سيراليون الذى عرف عدة انقلابات أخرى، وأسفر القصف عن قرابة مائة قتيل وبعد يومين من الدمار بدأت الأمور تنتظم شيئًا فشيئًا، فقد حل المجلس السياسى الجديد البرلمان وعلق الدستور وحظر الأحزاب كما فرض منع التجول ثم تكونت حكومة المجلس الثورى للقوات المسلحة (AFRIC).

أجمع قادة الانقلاب (مجموعة مسلحين استولوا على السلطة) على جونى كوروما كرئيس بعد قبوله اقتراحهم، فحرروه من السجن حيث كان نزيلاً إثر محاولة انقلاب أولى،

كما عينوا نائبًا له فضى سانكوح الذى أمر وهو فى سجنه فى نيجيريا أتباعه الضائعين فى الأدغال بالامتثال لأوامر المجلس الحاكم.

عند ذاك انتفض المجتمع الدولى احتجاجًا على تعيين فضى سانكوح نائبًا للرئيس وعارض ذلك بالإجماع، لم يعد أحد يطيق ذلك البلد الهالك أبا الكوارث كلها سيراليون.

منذ السابع والعشرين من شهر مايو أعلن مجلس الأمن عقب مداولاته أنه "يندد بقوة بهذه المحاولة ويطالب فورًا بإعادة النظام الدستورى"، وكحدث يحمل دلالة مهمة وجه مجلس الأمن نداء للدول الإفريقية كافة وكذا المجتمع الدولى للامتناع عن الاعتراف بالنظام الجديد ورفض دعم القائمين عليه بطريقة أو بأخرى.

وعقد مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية (OUA) الثالث و الثلاثين بهارارى فى زمبابوى من الثانى إلى الرابع من يونيو، وفى بيانه الختامى ندد المؤتمر بانقلاب الخامس والعشرين من مايو وطالب بحل الأزمة فى إطار CDEAO.

وCDEAO هى نيجيريا، ونيجيريا تعنى ديكتاتور نيجيريا اللص المجرم سانى أباشا الذى مل أكثر مما يمكن تصوره من سيراليون ذلك البلد الفوضوى، سانى أباشا الذى ندد به رؤساء الدول جميعهم بعد حادث اغتيال ممثلى الشعب الأوكونى (المندد به يعنى المبعد باحتقار الجميع)، سانى أباشا الذى كان فى أمس الحاجة إلى إعادة بكارته (استرداد براءة ضائعة والانطلاق مجددًا على طريق صحيح)، سانى أباشا الديكتاتور المجرم الذى يسعى إلى الاضطلاع بزعامة جهوية (زعامة يعنى هيمنة)، سانى أباشا الذى يريد لعب دور شرطى إفريقيا الغربية، لكل هذه الأسباب استدعى سانى أباشا سفن حربية عدة لتقصف مدينة فريتاون - العاصمة الشهيدة لهذا البلد الهالك سيراليون - من مياهه الإقليمية، اعتقدت نيجيريا وECOMAG أن المسألة مجرد نزهة وأنها ستطيح بالمجلس الثورى للقوات المسلحة (AFRIC) خلال أسبوع أو ثلاثة على أكثر تقدير، لكن ذلك كان خطأ تمامًا، فقد قاوم جونى كوروما وRUF كقوة واحدة رغم الخسائر التى سببتها قوات ECOMAG.

في الثالث عشر من يونيو قصد جونى كوروما الصيادين التقدين أو الكاماجور مطالبًا إياهم - باسم الوطن سيراليون - وقف آلة الحرب ومحاربة قوات الاحتلال إلى جانب AFRIC، ردًا على جونى كوروما هاجم الكاماجور مسلحين بقاذفات الصواريخ والقنابل فى ثلاث نقـــاط مختلفة الكتيبة الثامنة والثلاثين لمدينة كوريبوندو الواقعة على بعد مائتى كيلو متر جنوب شرق مدينة فريتاون، وقد دفع الهجوم المجلس الحاكم إلى إرسال دعم عسكرى لكوريبوندو التابعة لبو وموبامبا.

ومثل ما حدث فى كوريبوندو كانت مقاطعات الغرب والشرق كلها غارقة فى مجابهة دامية لاسيما بعد التحالف الرسمى بين AFRICA وRUF ضد النيجيريين والكاماجور، هذا التحالف الذى ضاعف من حدَّة الفوضى وأعطى ركيزة جديدة لقوات (RUF) التى كانت قبل تلك اللحظة مناهضة لأى حل توفيقى، واتخذ رد فعل المجتمع الدولى شكلين يتماثلان فى الضغط والتفاوض.

فى مجال التفاوض ومن أجل تفعيل قرارات مجلس الأمن آثر مجلس وزراء خارجية دول CDEAO تأسيس لجنة

وزارية تضم ممثلين من نيجيريا وساحل العاج وغينيا وغانا وانضم إليهم ممثلون عن OUA وCDEAO، وكانت مهمة هذه اللجنة الرباعية تتبع تطور الأوضاع بسيراليون والشروع فى مفاوضات مع المجلس الحاكم للتوصل إلى إعادة الشرعية الدستورية فى ذلك البلد.

أما فى مجال الضغط فقد تم التركيز على فرض الحصار وتوطيده فاحتلت القوات النيجيرية مطار لونجى واستعملته كقاعدة لمدفعية قوية لم تتوقف عن قصف المدينة، كما وضعت السفن النيجيرية مياه سيراليون الإقليمية تحت المراقبة وراحت تقصف بفوضوية، وهكذا حُرمت سيراليون من كل شىء اعتبارًا من الطعام حتى الأدوية.

كانت أولى النتائج التى أسفر عنها الضغط هى لقاء اللجنة الرباعية بوفد من المجلس الحاكم فى الفترة ما بين السابع والثامن عشر من يوليو بالطابق الثالث والعشرين من فندق إفوار بأبدجان.

فى نهاية اللقاء تبلور عن البيان بصيص أمل فى عودة الرئيس المنتخَب ديمقراطيا إلى كرسى الرئاسة، وكانت إرادة

ممثلى جونى كوروما قوية لدرجة أن اللجنة قبلت تهدئة الضغط والقصف وإعطاء ممثلى AFRIC الوقت للعودة إلى ديارهم ثم الرجوع بمقترحات ملموسة.

افتتحت الجولة الثانية من مفاوضات أبدجان يومى التاسع والعشرين والثلاثين من يوليو سنة ١٩٩٧ بالدور الثالث والعشرين نفسه من فندق إفوار (جولة يعنى دورة من مفاوضات عسيرة)، وكان من المفروض أن يتضمن جدول أعماله كيفية إعادة الشرعية الدستورية وشروطها، لكن ويا للمفاجأة! جاءت اقتراحات المجلس الحاكم الجديدة مناقضة تمامًا للمكاسب التى تم التوصل إليها خلال لقاء السابع عشر من يوليو، فقد طالب المجلس تعليق الدستور والبقاء فى الحكم حتى عام ٢٠٠١، أعربت اللجنة عن استيائها الشديد بينما لم يذعن المفاوضون لتقلبات رأى المجلس الحاكم، وطبقًا لقرارات لجنة السادس والعشـــرين من يوليـــو بكوناكرى علقت اللجنة المفاوضات وطالبت بتعزيز الحصار الذى تم تشديده فعلاً على المجلس الحاكم الذى ندد به المجتمع الدولى.

واعتبارًا من أوائل شهر أغسطس سنة ١٩٩٧ اجتاحت سيراليون معارك دامية دون توقف، فصارت المدينة عرضة لقصف ECOMAG المهول وهجوم الكاماجور كما أنها تأثرت من جرّاء العزلة التى فرضتها عليها دول CDEAO، وللتخفيف من حدة الضغوط الخارجية والداخلية حاول المجلس الحاكم أن يهدأ الأوضاع فطلب مساعدة غينيا لدفع المحادثات المتوقفة منذ التاسع والعشرين من يوليو، فاستقبل الديكتاتور السادر (السادر يعنى المتمسك بعادات سيئة) لاسانا كونتى فى التاسع من أغسطس بقصر بولبينى الصغير وفدًا سيراليونيا يرأسه خال الميجور جونى كوروما - الرئيس الأسبق جوزيف سيدو مومو - واتضح من اللقاءات الثنائية أن المجلس الحاكم" مستعد لاستئناف المفاوضات مع اللجنة الرباعية التى فوضوها CDEAO وذلك من أجل العودة إلى السلام ويؤكد علانية أن تاريخ نوفمبر ٢٠٠١، المعلن عنه كتاريخ العودة إلى النظام الدستورى قابل للنقاش، فالأمر يحتاج إلى تحديد جدول زمنى انتقالى".

في هذه اللحظة بالذات عقد المؤتمر العشرون لدول CDEAO بأبوجا (نيجيريا) في السابع والثامن والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٩٧ لمناقشة دور CDEAO في حل الأزمة بسيراليون ولم يناد المؤتمر إلا بشيء واحد هو توطيد الحصار والتأكيد عليه.

وابتداء من سبتمبر ١٩٩٧ حُرمت سيراليون من الغذاء والوقود فعَرفت كسادًا خطيرًا نتج عنه توقف الأنشطة الاقتصادية كلها، وإذا كانت عواقب الحصار وخيمة على الاقتصاد فإن تداعيات الحرب لم تكن أقل تخريبًا لحالة البلاد الصحية، فعلاوة على تدمير مطار لونكى الذى تحتله القوات النيجيرية، سبب قصف عدة نقاط استيراتيجية في العاصمة خسائر مادية كبرى، ناهيك عن الرقابة الصارمة المفروضة على المياه الإقليمية والتى منعت مرور السفن والجيابة (القوارب) والجذعيات (زوارق من تجويف جذوع الأشجار).

انتفضت الطبقات الاجتماعية المهنية من موظفين وأساتذة وأطباء وطلبة وبادرت بعملية تمرد مدنية سببت خللاً إداريًا

ضاعفته الأزمة الاقتصادية (خلل يعنى اضطرابًا، صعوبة فى التسيير) فحدث نقص فى كل شىء، ولاسيما الأدوية والوقود.

كان الوضع العام مأساويًا ولا يمكن له أن يكون أسوأ من ذلك، والله! بالمقابل كانت أحوالنا جيدة، فافورو! نحن يعنى ياكوبا اللص الأعرج والعراف المسلم مضاعف الأوراق النقدية وأنا براهيما طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم، الطفل الجندى، نياماكودى! تم استدعاؤنا وتسلّمنا الشغل فورًا!

قفز ياكوبا اللص الأعرج على رجل واحدة وصرخ، والله! الله كان معنا، وها نحن نستطيع استئناف العمل، ياكوبا ككريكريمان وأنا كطفل جندى.

زاول الأطفال الجنود مهمتهم الاعتيادية وهى التجسس، وأثناء إحدى المهمات التجسسية قتل الصيادون ثلاثة أطفال جنود من بينهم سيبونى الأفعى، ألزمت نفسى قراءة تأبينه لأننى أرغب فى ذلك، أما بالنسبة له - هو سيبونى - فإن الغياب المتكرر من المدرسة هو الذى كان سببًا فى ضياعه، ففى الصف الثانى الابتدائى بمدرسة توليبلو رسب مرتين نظرًا لعدم

مواظبته ثم عاد فسجّل رقمًا قياسيا فى الغياب إلى أن ضاق ذرعًا بكل شيء فترك كل شيء وباع كل شيء من القلم إلى الكتاب إلى اللوحة، حتى المحفظة باعها أيضًا واشترى بثمنها موزًا، وهذه الصفقة قام بها صباحًا، لكن عندما حل الليل طُرح مشكل رجوعه إلى المنزل، فكيف يمكنه دخول منزله دون محفظة؟ من المؤكد أن أمه ستهينه وتُضربه وكذلك زوجها وسيُحرم من الأكل، لا لم يكن بإمكان سيبونى العودة إلى منزله، لكن أين الملاذ؟ لم يجد أمامه سوى التسكع دون هدف إلى أن وصل إلى ضواحى أحد الفنادق فرأى لبنانيا ضخم الجثة فتقدم منه وقدم له نفسه كطفل شريد لا أب له ولا أم يبحث عن عمل كخادم صغير، وهمس اللبنانى "لا أب ولا أم! هو ذا من يلزمنى لأشغله دون راتب" واتخذه صبيا خادمًا لتوه.

فى اليوم التالى ترك سيبونى توليبلو برفقة سيده الجديد فى اتجاه مدينة مان وبعد بضعة أسابيع فى خدمة سيده المدعو فراس لاحظ سيبونى أن فراسًا يعود كل يوم بمال كثير ويحتفظ به فى خزانة لا تفارقه مفاتيحها، لكن حدث ذات مساء قبل أن يتوجه فراس إلى الحمام أن علَّق سرواله على مشجب دون أن

يزيل المفتاح فأخذه سيبوني وفتح الخزانة فسرق حقيبة الوثائق المليئة بالأوراق النقدية ثم خبأها في الحديقة قبل أن يعود لتوديع سيده، وفي الليلة نفسها ذهب بالحقيبة للقاء عجوز يدعى تيجان توري الذي كان يدَّعي أنه أخ أم سيبوني على الطريقة الإفريقية يعني خاله بالمصادفة، احتفظ تيجان بالحقيبة وفي الصباح الباكر استقلا حافلة للذهاب إلى مدينة داناني وهناك عُهد بسينوبي إلى أحد أصدقاء تيجان، وبعد شهور عديدة رجع تيجان بملامح متشنجة وعقب شروح مطولة ومحرجة خلص إلى الأهم: لقد سرقت منه حقيبة الوثائق، نعم سرقت منه بكل محتوياتها ورغم تظاهره وشروحاته بقي سيبوني في ريبة من أمره فطرح عليه عدة أسئلة من إجابته عنها استنتج استحالة تصديق تصريحات تيجان، بل أقر بعدم الانخداع والاستسلام، لذا هرع إلى أقرب قسم شـــرطة واعترف وبلغ عن مخبأ الأشـــياء المسروقة، فتم البحث فورًا عن تيجان والقبض عليه وتحويله إلى قسم الشرطة وبالتعذيب انتهى بالاعتراف، فسيق الاثنان (هو وسيبوني) إلى الحبس؛ الأول بالسجن المركزي والثاني بإصلاحية الأطفال.

فى إصلاحية الأطفال تعرف سيبونى على جاك الطفل الشغوف والحالم بالأطفال الجنود من فرط ما كان يسمع عنهم، فنقل عدوى حماسته إلى سيبونى (حماسة يعنى انبهار) فقرر الاثنان أن يذهبا معًا إلى ليبيريا لدى الأطفال الجنود، وانتظرا الفرصة التى جاءت مواتية عندما ذهب فريق السجن لخوض مباراة ضد فريق القرية الخَورنية على بعد بضعة كيلومترات من مدينة مان، استغل سيبونى وجاك الفرصة للفرار والتوغل داخل الغابة وبعد ترحال طويل ومرير التقيا بمغاور زودوهما بالسلاح وعلمهما كيف يســتعملان الكلاش، وها هما طفلان جنديان، وعلى هذا النحو أصبح سيبونى طفلاً جنديا، أما كيف حصل على لقب الأفعى فذلك بسبب مرواغات عدة منها الفخ الذى نصبه لأهالى قرية سوبريسو، ففى حين كان الأطفال الجنود يهاجمون عن طريق المواجهة، كيف تمكن سيبونى من التسلل لمباغتة القرويين من الخلف وليقطع عليهم طريق الانسحاب فيستسلمون؟ كيف استطاع سيبونى أن يخدعهم كأفعى حقيقية؟

بدون عناء اندمجنا فى جيش جونى كوروما الذى استقطب حشدًا من الأطفال الجنود، بعد أن زدات الأمور سوءًا على سوء ومن المفارقة أن يكون الأطفال الجنود بخير وعلى خير كلما سارت الأشياء إلى أسوأ، كانوا أكثر شراسة وضراوة حيث يشُترط فيهم قتل آبائهم قبل أن يُقبلوا أعضاء بين الأطفال الجنود، وذلك ليبرهنوا على تخليهم عن كل شيء وتنازلهم عن أية رابطة على الأرض ماعدا تلك التى تجمعهم بجماعة جونى كوروما، كان رؤساء مجموعات جيش جونى كوروما قساةً ومتوحشين وبيل (بيل أى أشداء جدا)، والدليل على ذلك أنهم كانوا مطاَلبين بأكل قلوب ضحاياهم لاسيما أولئك الذين عُرفوا بالبسالة ورباطة الجأش قبل موتهم، وهكذا آكل لحم البشر فى عرفهم مُهابا ويُشار إليه بالبنان، ذلك الذى يزداد فخرًا كلما ازداد فظاظة وغلظة قلب وكلما تمكن من مزاولة كل أنواع البربرية والوحشية.

كنا أعضاء فى عصابة سوروكو (عصابة يعنى مجموعة من الأشخاص تحارب لواء واحد ووراء زعيم واحد)، كان سوروكو زعيمًا فى جيش جونى كوروما، وكنا فى طريقنا نحو

الغرب عندما التقينا (يا للمفاجأة!) بسيكو - صديقنا المنحوس - منحدرًا نحو الشرق، كان فى صحبة صبية بوكارى، خرجنا من طابور العصابة وأخذناهما على حدة، يتعين على أن أذكركم بالمعلون اللص سيكو صديق ياكوبا، ماذا كان يفعل فى بلاد الكاسايا كاسايا؟ (الكاسايا كسايا يعنى المعتوهين)، سيكو هو الكاهن الذى علم ياكوبا أسرار العرافين ومضاعفى الأوراق النقدية بأبدجان، إنه الرجل الذى يُخرج فى لمح البصر من أكمام قميصه الفضفاض المنشى ديكًا أبيض مقوقئًا.

لم يشأ ياكوبا أن يراه؛ أولاً لأنه غريمه وثانيًا لأننا كلما التقيناه ينبؤنا بأخبار شؤم، كان سيكو كمن يشكو من فتق فى مؤخرته من فرط ما كان يحمل من أكياس الماس والذهب فى حزامه داخل سرواله الواسع، فافورو! عند رؤيته لم أتماسك نفسى وانفجرت ضحكًا فغضب على ولم يتركنا نتبادل التحية الطويلة التى يتبادلها الديولاس والمانديكوس (كما يسمون بالبندجان) عندما يلتقون، فباح لنا بدهشته ومفاجأته لرؤيتنا متجهَين نحو الغرب، وسألنا قائلاً: "إن الديولاس والملانكيون

والمانديكوس فى ليبيريا جميعا يقصدون الشرق، فماذا دهاكم للذهاب إلى الغرب؟".

لم نكد نجيب حتى استطرد ناقلاً لنا حادث ليبيريا وسيراليون، حيث تحالف كل الأفارقة السود المتوحشين فى هذين البلدين علاوة على السود الأمريكان العنصريين فى ليبيريا ضد الملانكيين الماندكوس وقرروا طردهم خارج ليبيريا وسيراليون أيا كان أصلهم سواءً أكانوا من غينيا أم ساحل العاج أم ليبيريا، نعم قرروا طردهم وسحقهم جميعًا بعنصرية لكن زعيم حرب ملانكى يدعى الحاج كوروما (لا يجب خلطه مع جونى كوروما ذى الأصل السيراليونى) انبرى من موقعه لإنقاذ الملانكيين فجمعهم فى قرى الشرق لذلك كان الملانكيون جميعهم نازحين نحو الشرق.

أجاب ياكوبا أن لم يسبق له وسمع بشىء من هذا القبيل فى سيراليون بجيش جونى كوروما، وعلى أى حال فهو - ياكوبا - يعيش فى أحسن الأحوال ككريكريمان مسلم مهاب ويحتفى به الجميع فى جيش جونى كوروما كما أنه لم يتلق

أدنى تهديد ولذا لم يثق بسيكو ولا بأخباره وسيستأنف مسيرته نحو الغرب مع جماعة سوروكو.

علق سيكو أنها ليست مشكلته إن لم يثق ياكوبا بأخباره، لكن الخالة من جانبها هى صدقت تهديدات السود الأفارقة الأصليين المتوحشين فى ليبيريا وسيراليون، فتوجهت مع جماعة من الملانكيين نحو الشرق إلى قلعة الحاج كوروما (قلعة يعنى مكانًا مسوَّرًا) وأولئك هم من كان - هو وسيكو - يقتفى أثرهم ، وكدنا نقع من طولنا (ذهلنا من هول المفاجأة)، وهكذا إذن كانت الخالة تتواجد بالشرق فى قلعة الحاج كوروما وليس لنا بدا من إنقاذها، لذا وجب علينا الانفصال سرا عن جيش وجماعة جونى كوروما، فتركنا سيكو وصبيه العراف يكملان طريقهما الجهنمى نحو الشرق بوعد اللحاق بهما بعد ذلك حيث كنا بحاجة إلى بعض الوقت للتسلل خفية (التسلل يعنى الانسحاب بمهارة وخفة)، عند أول توقف للجيش انتهزنا الفرصة للتملص (تملص يعنى هرب دون أن يُشعر به)، وبعد يومين مضينا قدمًا على الطريق نحو الشرق فى اتجاه الحدود الإفوارية، مسلحَين بالكلاش المدثر بأقمصتنا الفضاضة، وذلك

إجراء تقتضيه الحرب القبلية، وللتباهى بوظيفته ككريكريمان مسلم علَّق ياكوبا كثيرًا من التعاويذ فى عنقه والطلاسم فى ذراعيه متدلية إلى ساقيه، وأنا أيضًا كنت مذرعًا بالتمائم وفى يدى قرآن نصف مفتوح، لذا تحاشانا كل من التقينا به على الطريق من السود الأهليين المتوحشين من ليبيريا، بل تركوا لنا الطريق دجونا دجونا، متوقفين على الحافة السفلى لنمر بسلام.

مشينا بهذه الطريقة لمدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع عند عطفه طريق مرسوم وجدنا أنفسنا وجهًا لوجه أمام سيدو تورى المسلح على نحو مدهش، فقد كان يحمل ليس أقل من ست كلاشات؛ اثنان فى العنق واثنان معلقان بكل ذراع وحول خصره حزام من الرصاص تتدلى منه أطواق من التعاويذ؛ كان ملتحيا وشعره أشعث (غير مسرح)، ورغم منظره المقرف ارتميت فى أحضانه معانقًا إياه فرحا بلقائه.

بعد القبلات والأحضان تأملته من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى فحدق بى وقال مقهقها: "فى بلاد الكاسايا، كاسايا مثل ليبيريا، لا يكفى أقل من خمس كلاشات لردعهم (ردْع يعنى إثناء العزم عن اتخاذ قرار ما)!".

كان قريبى سيدو تورى أكبر مشاغب وأكبر كذاب وأخطر مدمن كحول فى شمال ساحل العاج ومن شدة ما كان يشرب ويتشاجر كان دائمًا فى المحاكم والسجن بحيث لا يكاد يبقى طليقا أكثر من شهر كل ستة أشهر، واستغل قريبى الآخر الدكتور مامادو دومبيا إحدى الفرص النادرة التى كان فيها القريب سيدو طليقًا ليكلفه بمهمة محفوفة بالمخاطر، بعد استنفاد جميع الوسائل طلب منه البحث عن أمه - الخالة ماهان - فى هذا البلد الهالك من ليبيريا مقابل مكافأة قدرها مليون فرنك CFA فقبل سيدو بكل فرح، وللتذكير الخالة ماهان هى التعيسة التى نبحث عنها أيضًا منذ ثلاث سنوات فى ليبيريا الحرب القبلية، فرحنا بلقاء سيدو وقررنا متابعة السفر بصحبته.

كان القريب سيدو تورى به مس من الخيال (يستبدل حدثًا حقيقيا بحكاية خيالية) كما كان فكها ويحب الدكتور مامادو دومبيا كثيرًا لأنه أرسل له مالا أكثر من مرة فى فترات سجنه المتكررة، لذلك كان يتحدث عنه دائمًا بحنو (حنو يعنى شعورًا بالحب والصداقة).

فى السابعة من عمره قطع الصغير مامادو مائة وثمانين كيلومترًا مشيا برفقة أمَة عجوز محررة وفتاة صغيرة، وفى تلك الفترة كان الأفارقة السود الأهليون المتوحشون لا يزالون أغبياء لا يفقهون شيئًا، كانوا يأوون ويطعمون كل الغرباء الوافدين على القرية، وهكذا استضيف مامادو ومرافقتاه وأطعموا هدية (مجانًا) طيلة أيام السفر العشرة بأكملها.

وذات مساء وصلوا إلى بونديالى فتوقفت المرافقتان وشرحتا بواعث مهمتهما؛ ففى القرية وهب الله الصياد العنيف - الأخ الأصغر لرب العائلة وشيخها البطريرك تورى - جوقة من الأطفال فقرر الصياد العنيف أن يهدى أخاه الأكبر نصيبًا من تلك الجوقة، أى حصته فى سلالة الصيد التى تتكون من الصغير مامادو، ولهذا الغرض جاءتا بصحبته لتسليمه للشيخ تورى ومنحه حق الحياة والموت على الصغير مامادو بحيث لا يأتى عملاً إلا بأمر من العم ولا ينام إلا فى المكان الذى يحدده له، شكر العم تورى المرافقتين ثم أخذ الصغير مامادو الذى أصبح ينتسب إليها ابتداءً من تلك اللحظة، كانت زوجة البطريرك الأولى تسمى طانيا أم سيدو.

عندما وصل الصغير مامادو إلى بونديالى كانت الدراسة قد بدأت بالمدرس، لذا أخذ البطريرك ابن أخيه عند القائد الأبيض التوباب الكولونيالى المستعمر الذى قبل تسجيل مامادو بمدرسة بونديالى.

كان سيدو والصغير مامادو يرتادان المدرسة معًا لأنهما بنفس العمر، لكن سيدو كان يغار من مامادو لأن أمه كانت تعامل هذا الأخير بفيض من الحنان، فكان يتشاجر معه مرارًا فتتدخل الأم دومًا لصالح مامادو.

كان سيدو ومامادو ينامان على حصير تحت سرير الأم طانيا وكان الصغير مامادو يتبول دومًا فى فراشه إذ لم يكن نظيفًا، بل كان قذرًا ومنفرًا بحيث كانت سرفة ذباب تعج دومًا حول الحصير فابتكر سيدو فكرة للتخلص من مامادو، ولما كان هذا الأخير جبانًا وخجولاً فلم يتمكن من الدفاع عن نفسه، بل صمت وبكى مسجلاً بذلك دليل إدانته، غضبت طانيا أم سيدو وأرسلت مامادو لينام مع الخدم فى كوخهم عقابًا له، فجعلوه ينزوى وحيدًا فى قاع الكوخ واستمر فى التبول والعيش فى

أحضان سرفات الذباب التى تنمو تحت حصير طفل غير نظيف.

استمر سيدو ومامادو فى ارتياد المدرسة معًا، فاتضح أن مامادو كان ذكيا للغاية بينما سيدو فى منتهى الغباء، فقد كان يشكو من صعوبات بالغة حيث كان ينطق بكل شيء ردئ ويكتب بخربشات تشبه أرجل الذباب، ولو كان فى بلد متقدم لاستدعى حالته علاج طبيب نفسانى، وفى سن العاشرة طرد سيدو من المدرسة.

وخلال السنوات الأربع التى دامتها الحرب الخيرة استمر مامادو فى الذهاب إلى المدرسة وحيدًا، لكن لم يكن هناك معلم وبعد انتهاء الحرب فات الأوان وصار عمر مامادو لا يسمح له بالعودة للصف الثانى الابتدائى فطرد هو الآخر.

لكن معلم القرية هيأ مامادو للشهادة الابتدائية وقدم له أوراقه فحصل عليها فعلاً، واعتُبر ذلك إنجازًا كبيرًا بالنسبة للسود الأفارقة قليلى المبادرات، إنجازًا قرر القائد ومدير قطاع البيض أن يشجعانه فغيَّرا الحكم المتّم لعقدة ولادة الصغير

مامادو، فأصبح عمره المدوَّن أقل بخمس سنوات من عمره الحقيقى واستطاع أن يستوفى كل شروط القبول بالمدرسة الابتدائية العليا (EPS) فى بانجيرفيل، فالتحق بها ثم بالمدرسة العليا بكورى، فمدرسة الطب بدكار.

بينما كان مامادو يتابع دراساته اللامعة بتفوق بدأ سيدو ينخرط فى حياته الجهنمية التى لم تعد أكثر من عراك على عراك وسجن على سجن وهروب من سجن إلى آخر، ففرار عبر ساحل العاج AOF ثم مغامرات فى صحراء نيجيريا وتيبتا وليبيا وعودة إلى القرية، فسجن على سجن إلى الإفراج الأخير الذى كلفه مامادو أثناءه بالتغلغل فى الغابة الليبيرية قصد العثور على والدته.

حدثنا سيدو عن حياته اللعينة وعن مشوار الدكتور مامادو دومبيا طوال طريقنا بليبيريا الحرب القبلية لمدة ثلاثة أيام بنهارها وليلها، وفى اليوم الرابع أشرفنا على قرية وروسو القريبة من الحدود الإفوارية، نحن - يعنى ياكوبا مضاعف الوراق العراف المسلم وسيدو اللص المكلف بأمر من الدكتور مامادو بالعثور على الخالة ماهان وأنا طفل الشارع الذى لا

خوف عليه ولا لوم، الطفل الجندى - كان معسكر الحاج كوروما موجودًا بوروسو وهو معسكر محدود بجماجم بشرية مرفوعة على أوتاد مثلما هو الحال فى كافة معسكرات الحرب القبلية فى ليبيريا وسيراليون والله العظيم! فتلك هى قوانين الحرب القبلية، تقدمنا نحو ما يمكن تسميته بوابة، مشار إليها بجمجمتين مرفوعتين فوق وتدين وفى الوسط طفلان جنديان مسلحان، وعند تأهبنا للتحية بالملانكى طوّقنا على حين غرة بعشرات المغاور المسلحين تمام التسليح، كانوا ملتصقين بالأرض فى الغابة المجاورة للمعسكر فوقفوا فجأة فى لمح البصر، أردنا تحيتهم مجددًا لكنهم لم يأبهوا لذلك، بل أمرونا بصرامة أن نرفع أيدينا إلى أعلى فأطعنا ثم جردونا من سلاحنا وفتشونا حتى اللباس الداخلى، فقوانين الحرب القبلية هى التى تقتضى استقبالا من هذا النوع. بعد ذلك طلبوا من كل منا تقديم نفسه على حدة.

كان سيدو هو الأول فحكى قصصا عجيبة من وحى خياله حول إنجازاته المتعددة، ورغم مجيئه مباشرة من سجن بونديالى فقد ادّعى انه كان فى بادئ الامر عقيدًا عند الحركة

المتحدة لتحرير ليبيريا والدليل أنه يملك ست كلاشات، والواقع أنه عندما كلفه الدكتور مامادو بالبحث عن أمه اشترط سيدو الحصول على السلاح فاصطحبه الدكتور مامادو دومبيا إلى مدينة مان على الحدود الليبيرية حيث تباع الكلاشات بأثمان زهيدة، فهمّ الدكتور بشراء واحد لكن سيدو اصر على ستة، فقبل الدكتور على اساس أنه قد يحتاج إليها كوسيلة للمقايضة المربحة فى سفره، وعلى هذا النحو توغل فى الغابة الليبيرية للحرب القبلية مسلحًا بست كلاشات.

تابع سيدو ادعاءاته معلنًا أنه سُر غاية السرور عندما علم أن الحاج كوروما انسحب مع الملانكيين للتفرغ إلى حماية العرق الملانكي، كان سعيدا بذلك لحد ترك الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا الذين أبوا إخلاء سبيله بسبب منصبه وخبرته، لذلك طلب منه زعماؤها البقاء إلى جانبهم فرفض واتهمهم علانية بقتل العديد من الملانكيين، وذلك ما لم يرق لهم فنصبوا له فخا وقبضوا عليه وجردوه من سلاحه فكتفوه ثم رموه فى السجن، وكان سيدو هو الذى يسرد مغامراته، ولم يدرك زعماء الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا ان لا شيء يمكنه ان يثني سيدو

عن عزمه ويبقيه بالحجز، فصدَّع جدران السجن وتقدم إليهم ويديه طليقتين دون سلاسل، عنــدئذ قام كل زعماء الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا وكل جنــودها وكل أعضـــائها بإطلاق النار عليه دون جدوى، فقد كان الرصاص يتحول إلى ماء ويسيل على جسده، ذعر زعماء وأطفال جنود الحركة المتحدة لتحرير ليبيريا وفروا جميعًا تاركين أسلحتهم، فجمع سيدو ست كلاشات لإهدائها للحاج كوروما.

بعد سيدو جاء دور ياكوبا لتقديم نفسه، فشرع هو الآخر في الادعاء والكذب قائلاً إنه كان يحتل باستحقاق منصب ملازم عقيد كركريمان لدى جوني كوروما بسيراليون، وقد توصل إلى نتائج باهرة لأنه أبطل مفعول قصف سفن وطائرات ECOMAG، فكل طلقات الطائرات والسفن والمدفعيات تحولت إلى ماء وهكذا صار جنود ECOMAG يقصفون الشعب السيراليوني دون طائل، فرصاصهم أصبح باطلاً وقنابلهم لم تعد تنفجر قط وعلى هذا المنوال سحر ياكوبا جيشًا بكامله بكل معداته الحربية، ولم يكتف بذلك، بل توصل أيضًا

إلى إخفاء كل محاربى وأطفال جنود جونى كوروما عن أنظار مهاجمى ECOMAG الذين صاروا يقصفون دون هدف.

بعد العراف ياكوبا جاء دورى.

عقب سماعى الشاطرين سيدو وياكوبا يكذبان مثل خاطفى دجاج أردت - أسوة بهما - أن أعلى من قدرى، فقلت إننى حاصل أنا أيضًا على رتبة قائد بجماعة الأطفال الجنود لدى جونى كوروما، وأننى بطل فى التجسس وأننى استطعت التسلل إلى إدارة ECOMAG المركزية وخطف أوراقها كلها وأحبطت خططها بحيث صارت قواتها تقصف بطريقة عشوائية (يعنى كيفما اتفق) فأخلْت المكان، كما وضعتُ مسهلا فى كأس ويسكى قائد الإدارة فأصيب بإسهال حاد وبواسطة زورق جذعى استطعت النفاذ إلى سفن المياه الإقليمية فى عز قصفها فسمَّمت طعام البحارة الذين سقطوا مثل ذباب واعتقدوا أنه وباء فتركوا السفن، لذلك توقف القصف.

وإثر خرافتنا بدأ المغاور يردون على تحايانا بالملانكى فرحبوا بنا ومن طريقة كلامنا عرفوا أننا ملانكيون حقيقيون

ولسنا كراهنس، أو جيوس جاءوا للتجسس عليهم، شعرنا بأمان بوروسو فى معسكر الحاج كوروما بسبب احتفائهم بنا لكوننا مواطنين يحق لنا الالتحاق بجيش الحاج كوروما والاحتفاظ بالرتب التى كنا عليها فى مناصبنا الأصلية، وذلك لأن جيش الجنرال الأكبر الحاج كوروما أى الجيش الوطنى الضخم كان بحاجة إلى ضباط من طرازنا.

هكذا صرنا جميعا ضباطًا ساميين فى جيش الحاج كوروما نتمتع براحة شاملة ويحق لنا تقاضى راتب من الجيش ولاسيما حصة مضاعفة من الأكل.

لكن رغم هذه الميزات فقد كان الغذاء رديئًا وغير كاف عند جماعة الحاج كوروما حيث كنا نحصل فى زاوية الصحن على قبضة أرز لا تسمن ولا تغنى من جوع جدة هالكة مشرفة على الموت.

كان نظام الحاج كوروما قائمًا على استغلال اللاجئين والنصب والاحتيال على المنظمات غير الحكومية، حيث كنا – نحن أعضاء الفرق – نحتجز بالقوة لاجئين ملانكيين يستوجب

على المنظمات غير الحكومية كفالتهم ونفرض على هذه الأخيرة أن تمرر عبرنا كل ما يُفترض أن يصل إلى اللاجئين من طعام وأدوية وإعانات، وكنا نُشبع معدتنا قبل التفكير فى المُرسل إليهم، وهكذا كلما جاءت المنظمات غير الحكومية محمّلة بالأرز والأدوية تجد أمامها لاجئين مساكين تم تأطيرهم جيدًا ماثلين أمام بوابات المنظمات، يرددون التصريحات ذاتها: "لماذا لا تثقون بإخواننا رجال الحاج كوروما، لقد أنقذوا حياتنا ولا يتوانون فى إمدادنا بكل ما تعطونا إياه وهم إخواننا، وكل ما يعهد لنا به يصلنا يدًا بيد، وبما أننا لا نستطيع الخروج من المعسكر لتسلم هباتكم وأنتم لن تتمكنوا من الدخول إلينا فإننا نحن - لاجئى معسكر وروسو - نتخلى ونرفض أى مساعدة لا تمر عبر إخواننا أعضاء الحاج كوروما.

وأمام أوضاع اللاجئين المذرية وعزيمتهم القوية لا تجد المنظمات غير الحكومية بدا من القبول، لذا كنا نشبع معدتنا جيدًا قبل التفكير فى اللاجئين.

دامت الأمور على هذا النحو يوميا لمدة ثلاثة أشهر، لم ننس خلالها مهمة البحث عن الخالة، لا بل كنا نفعل ذلك بدأب

لكن بتحفظ وسرية، نحن - يعنى العقيد سيدو الأفاق والملازم العقيد الكريكريمان ياكوبا اللص الأعرج وأنا العقيد براهيما طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم - نبحث فى تحفظ وسرية لأنه لو حدث وتم التعرف على سبب وجودنا وبحثنا عن الخالة لخسرنا ميزاتنا وشاراتنا كلها.

فى أحد الأيام جاء سيدو يخبرنا بشىء لا يكاد يصدق، فى البداية اعتقدنا - أنا وياكوبا - أنه ضرب آخر من خرافته التى لا تنتهى لكن عندما أخذ بيدى وساقنى إلى منزل الجنرال الأعلى تأكدت من صحة نبأه، وبالفعل كان الدكتور مامادو دومبيا موجودًا بلحمه وشحمه فى معسكر الحاج كوروما بوروسو، نعم جاء الدكتور بنفسه بعد ما لجأ مباشرة إلى الجنرال الأكبر الحاج كوروما طالبًا عونه فى البحث عن الخالة ماهان، وفعلاً أعطى الجنرال الأكبر تعليماتة فتوالت مجموعة من التحقيقات عثر عقبها على أثر الخالة التى وصلت إلى المعسكر مريضة ومصابة على وجه الاحتمال بالملاريا وحمى شديدة ألزمتها الحصير (السرير)، وفى تلك الفترة كان الملانكيون - كل ملانكى المعسكر - قد قاطعوا المنظمات غير

الحكومية، قاطعوها ورفضوا التعامل معها لأنها رفضت بدورها التعاون مع الحاج كوروما منقذ الملانكيين، ونظرًا لتردى أوضاع اللاجئين أرسلت المنظمات غير الحكومية حمالات لنقل المرضى إلى المركز الصحى، لكن الخالة مهان رفضت تمامًا، رفضت ارتياد المستشفى تضامنًا مع كل لاجئى المعسكر، فلزمت الحصير لمدة ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع ماتت مثل كلب، فليغمرها الله برحمته.

بفضل مساعد المعسكر اهتدينا إلى المكان الذى عاشت به الخالة، كانت آخر كلماتها تخصنى لأنها لم تطمئن على مصيرى وذلك حسب أقوال لاجئ المعسكر من قرية طوكوبالا أزرها فى اللحظات الأخيرة، بكيت دموع ساخنة فيما خرَّ العقيد سيدو على الأرض، أما ياكوبا فتلى بعض الدعوات وانتهى بالقول إن الله لم يكتب لى رؤية خالتى، وأن مشيئته يجب أن تسرى على الأرض وكذا فى السماء، وعندما رأيت سيدو يخر ويضرب الأرض بكلتا يديه تقززت ومسحت دموعى لأن سيدو قال وهو ينتحب: "كم يؤلمنى موت الخالة، يؤلمنى ألمًا شديدًا فسوف لن يكون بمقدورى ردها للدكتور وسوف يكون لهذا

الأخير الأمر ولن يكون مجبرًا أن يمنحنى المليون!" إذن كان سيدو يتأسف على المليون وليس على موت الخالة.

كان اللاجئ الذى رافق الخالة خلال لحظاتها الأخيرة يسمى صدقى، وقد سلم صدقى وزرة وقميصًا رثين كانت ترتديهما الخالة عند موتها للدكتور الذى قبّلهما باكيا، فافورو! مشهد فعلاً مثير للشفقة.

احتفظ صدقى أيضًا – ضمن تركات الموتى – بأغراض لاجئ مات هو الآخر احتراما لتعليمات المقاطعة، كان مترجمًا ملانكيا واسمه فارسوبا دياباتى، ومن يحمل اسم دياباتى عند الملانكيين ينتسب إلى فصيلة الكريوت (أى أنه كريوت أبًا عن جد ولا يحق له الزواج من شخص غير كريوت)، وكان فارسوبا ذكيا مثل كل أناس فصيلته، وكان يفهم ويتكلم عدة لغات؛ الفرنسية والإنجليزية والبندجان والكراهانس والجيو ولغات السود والزنوج الأهليين المتوحشين الأخرى لهذا البلد الهالك من ليبيريا، ولذلك كان يشغل منصب مترجم فى المفوضية العليا للاجئين (HCR)، وكان يملك الكثير من المعاجم: هارابس ولاروس ولو بتى روبير وبيان

الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء علاوة على معاجم أخرى للغات السود الزنوج المتوحشين بليبيريا، وكان كلما قدم شخص مهم من المفوضية العليا للاجئين لزيارة ليبيريا يرافقه فاراسوبا دياباتى.

وذات مرة رافق فاراسوبا دياباتى شخصًا مهمًا إلى سانيكوللى - بلاد الذهب - وهناك اكتشف المنقبين عن الذهب وسمع عن أرباحهم الطائلة فتخلى عن الشحص المكلف بمرافقته وبقى بسانيكوللى واستقر بها كمنقب عن الذهب، وبدأ يربح كثيرًا من المال حتى جاء الكراهنس إليها، ولم يرضوا بالملانكيين منقبين عن الذهب بها لذلك ترك فاراسوبا دياباتى المدينة دجونا دجونا، دار دار، والتحق بمعسكر الحاج كوروما ملاذ الملانكيين- بكل معاجمه - وذلك بغية العودة إلى أبدجان ومزاولة مهنته هناك كمترجم، لكنه وصل إلى المعسكر فى حالة صحية يرثى لها وبسبب المقاطعة لم يستفد من العلاج، فمات ورمى فى حفرة جماعية، واحتار صديقى بالمعاجم فأهدانى إياها، فاخترت واحتفظت من بينها بلاروس ولو بتى روبير للفرنسية وبيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا

السوداء وهارابس والبندجان، وهى المعاجم نفسها التى استعملتها فى هرائى هذا.

بتوجيه من مساعد المعسكر اهتدينا إلى الحفرة الجماعية التى رميت بها الخالة، جلسنا القرفصاء على حافتها من أجل صلاة أمَّها ياكوبا الذى لم يكن ينتهى من الدعاء والتكبير حتى لمحنا سيكو آتيا من حيث لا ندرى، فانضم إلينا وانحنى بخشوع، على فكرة سيكو هو صديق ياكوبا، الذى يخرج من أكمامه فى لمح البصر ديكًا أبيض وهو كركريمان مضاعف الأوراق النقدية مثل ياكوبا، وتلى ياكوبا الأدعية والصلوات بصوت متميز وصاف حد الصعود مباشرة إلى السماء لكنها لم تقبل بالضرورة فقد كان بين الأشخاص السبعة القابعين حول الحفرة ثلاثة لصوص، أما الأشخاص السبعة فهم: الدكتور ومساعد معسكر الجنرال الأكبر وياكوبا وسيكو وسيدو وصبى سيكو العراف وأنا براهيما طفل الشارع الذى لا خوف عليه ولا لوم، أما اللصوص الثلاثة قطاع الطرق - الذين لا دين لهم ولا ملة والذين بسببهم قد لا تقبل الصلوات والأدعية - فهم

سيدو وياكوبا وسيكو، لذلك سنقوم بصلوات كثيرة أخرى يقودها أئمة آخرون طلبًا فى طمأنينة روح الخالة.

يبدو الطريق الآن مائلاً - طريق أبدجان عبر مان - ونحن الآن خمسة فى سيارة الدكتور مامادو من نوع باسيرو 4X4 وخمسة الأشخاص هم الدكتور وسائقه وياكوبا وسيكو وأنا، لم يكن سيدو بيننا لأنه لم يرد السفر لكنه تشجع فى اللحظة الأخيرة وسأل الدكتور:

ماهان كانت خالتى وكان على أن أبحث عنها دون مكافأة، لكنك وعدتنى بالمليون وهيأت نفسى على ذلك وصرت أحلم طوال الوقت أن أصبح مليونيرًا، كنت أنوى فتح بقالة بالمليون والآن ماتت الخالة قل لى صراحة هل ستمنحنى نصيبًا من المليون؟

أجابه الدكتور. لا، لا شىء بالمرة، فمصاريف مأتم أمى تنتظرنى.

عندئذ التفت سيدو قائلاً: "حسنًا سأبقى هنا بوروسو على الأقل سأنعم بمنصبى كعقيد".

كنت فى خلف السيارة 4X4 محاصرًا بياكوبا وسيكو وكانت الطريق مائلة بينما اللصان قاطعا الطريق سعيدان، فثنايا سرواليهما الفضفاضين مليئة باكياس من ذهب والماس، كما أن الدكتور وعد كلا منهما بالتدخل لصالحه فى بونديالى من أجل الحصول على مستخرج رسمى لشهادة الميلاد يخول له التمتع ببطاقة هوية جديدة تضمن ممارسة حرفة اللص ومضاعف الأوراق النقدية بأبدجان على مرأى ومسمع من الجميع، والله العظيم!

تصفحت المعاجم الأربعة التى ورثتها مؤخرًا وهى معجم لاروس ولو بتى روبير وبيان الخصوصيات القاموسية لفرنسية إفريقيا السوداء وهارابس، وعندئذ التمعت فكرة مذهلة فى نافوخى (رأسى)، فكرة سرد مغامراتى من الألف إلى الياء، حكيها بالكلمات البليغة لفرنسية الفرنسيين والتوباب الكولونياليين المستعمرين والعنصريين والكلمات النابية للإفريقى الاسود الزنجى المتوحش والكلمات الدنيئة الزنجية للبندجان وهى اللحظة نفسها التى اختار الدكتور مامادو لسؤالى:

- "قل لى يا براهيما الصغير، خبرنى عما رأيت وسمعت وفعلت، قل كل شىء، احك كل ما جرى".

استندت وعدلت جلستى وبدأت أحسم العنوان الكامل لهرائى هذا وهو: لله الأمر فى شئون الأرض كافة... ثم تابعت لخبطاتى طيلة بضعة أيام.

فى البداية... أولاً، اسمى براهيما، أنا زنجى صغير... ليس لأننى أسود وطفل... لا... إلخ... إلخ...

وثانيا... مدرستى لم أتقدم فيها كثيراً... فى الصف الثانى الابتدائى توقفت عن الدراسة وتركت مكانى بالمدرسة لأن الجميع... إلخ... إلخ.

فافورو! نياماكودى!

المؤلف فى سطور

أحمدو كوروما

ولد بساحل العاج سنة ١٩٢٧، وتوفى بباريس سنة ٢٠٠٤. هو أحد أهم كتاب القارة الإفريقية، له إصدارات عديدة منها: شموس الاستقلالات ١٩٧٦، فى انتظار تصويت الحيوانات المفترسة ١٩٩٨، قائل الحقيقة ١٩٩٨ (مسرح)، ياكوبا الصياد الإفريقى ١٩٩٨. وكلها مؤلفات تستحق الدراسة والترجمة والتأمل.

المترجمة فى سطور:

ثريا إقبال

كاتبة ومترجمة. أستاذة مؤطرة بالمدرسة العليا للأساتذة – مراكش – المغرب.

من أهم إصداراتها :

الترجمـــة

- ديوان شعرى للشاعر منعم الفقير(اعتزال قلب) Retraite d'un coeur عن دار النشر L'harmattan باريس ١٩٨٩.
- ديوان شعرى للشاعر منعم الفقير(نادرا)Rarement, عن دار النشر مرسم – الرباط – المغرب ٢٠٠٢
- ديوان شعرى Propos Précoce s عن دار النشر مرسم ٢٠٠٣
- ديوان شعرى L'épître du désir عن دار النشر مرسم ٢٠٠٤

المراجعة فى سطور :

أمل حسن الصبان

* حصلت على ليسانس اللغة الفرنسية من كلية جامعة عين شمس ، تقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف فى مايو ١٩٨٢.

* وفى مايو ١٩٨٥ حصلت على دبلوم الترجمة التحريرية والفورية المعادل للماجستير، كلية الألسن – جامعة عين شمس، بتقدير جيد جدًا.

* وفى فبراير ١٩٩١ حصلت على دكتوراه فى اللغة الفرنسية والترجمة ، كلية الألسن – جامعة عين شمس ، تقدير مع مرتبة الشرف الأولى.

* وتعمل أستاذًا مساعدًا بقسم اللغة الفرنسية، كلية الألسن – جامعة عين شمس.

ومن أعمالها المنشورة فى مجال الترجمة :

١ – قاموس "المصطلحات السياسية ومصطلحات المؤتمرات"، وحدة رفاعة الطهطاوى للترجمة والبحث وتطوير المصادر اللغوية (١٩٩٥).

٢ – ترجمة كتاب "الجمهورية العـالمية للآداب" لباسكال كازانوفا، المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠٢).

٣ – ترجمـة كتاب "الولع الفرنسى بمصـر من الحلم إلى المشروع" لأحمد يوسف ، المجلس الأعلى للثقافة ، يناير (٢٠٠٣).

٤ – قاموس كلمات باريس – دار نشر اليبس (٢٠٠٣).

٥ – ترجمة فصل من الجزء الثانى من موسوعة "جامعة كل المعارف" ، المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠٥).

٦ – الاشتراك فى ترجمة كتاب "وصف مصر" ، الصادر عن الهيئة القومية للكتاب.

٧ – سلسلة طويلة من المقالات المتخصصة فى مجال الترجمة فى مجلة الألسن للترجمة ومجلة Azhar الصادرة فى إسبانيا.

المحرر فى سطور :

أحمد مجاهد

دكتور بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، قسم اللغة العربية ، متخصص فى الأدب الحديث ونقده .

مشرف على الإدارة المركزية للشئون الثقافية وأمين عام النشر بالهيئة العامة لقصور الثقافة .

له دراسات نقدية عديدة أهمها : " أشكال التناص الشعرى" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و "مسرح عبد الصبور : قراءة سيميولوجية" جزءان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنمـيـة ثقـافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	چون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	چورچ چيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	ڤيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورچ سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	چيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روچر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدي أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد علي
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستي	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التدعيمي	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسي سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحي
٥٥-	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	علي يوسف علي
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود علي مكي
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبري محمد عبد الغني
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعي
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدي أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسي العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	جين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومي

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أوناموتو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	آرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيفال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مي التلمساني
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	پول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيڤا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- في عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألڤين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتازار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وأخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وأخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديڤيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وأخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	چوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	چون هيتون وچودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٢٠٣- أقدم لك: بوذا	چين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧- أقدم لك: الشعور	ديڤيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٢٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٢١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٢١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٢١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٢١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧- بلا غد	س. شير لايموڤا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩- صور دريدا	جايترى سبيڤاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليڤى برو ڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوچين كليتياور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٢٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٢٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٢٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٢٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧- فلسفة الولاء	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٢٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	پول ديڤيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديڤيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	توبور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديڤيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوڤا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلي
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	ڤولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روي متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعي	محمود علاوي
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باي إنكلان	ثريا شلبي
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافي
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياڤللي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديڤيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجي رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلي النعماني	جلال الحفناوي
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابي (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوي
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتي روي	فخري لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتي
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السيد	تراث شعبي إسباني	الطاهر أحمد مكي
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محي الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزي وأوسكار زاريت	محيي الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

-٤٥٥	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
-٤٥٦	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
-٤٥٧	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولار أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
-٤٥٨	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
-٤٥٩	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
-٤٦٠	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
-٤٦١	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
-٤٦٢	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
-٤٦٣	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
-٤٦٤	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
-٤٦٥	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
-٤٦٦	حكايات حب وبطولات فرعونية	ڤيولين فانويك	فاطمة عبد الله
-٤٦٧	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
-٤٦٨	روح الفلسفة الحديثة	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
-٤٦٩	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
-٤٧٠	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
-٤٧١	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
-٤٧٢	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
-٤٧٣	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
-٤٧٤	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
-٤٧٥	صوت مصر: أم كلثوم	ڤرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
-٤٧٦	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
-٤٧٧	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
-٤٧٨	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
-٤٧٩	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
-٤٨٠	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
-٤٨١	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
-٤٨٢	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير چاك تيبو	فاطمة عبد الله
-٤٨٣	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
-٤٨٤	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
-٤٨٥	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
-٤٨٦	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
-٤٨٧	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
-٤٨٨	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
-٤٨٩	هُسِّرل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
-٤٩٠	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
-٤٩١	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
-٤٩٢	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى ڤارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي
٤٩٥-	اللوبي	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري
٤٩٦-	الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ١)	إكوانو بانولي	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	نادية العلي	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد علي بدوي
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكي	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء في الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبدالباقي جلبنارلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدوني	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومي عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطي دوجلاس	فدوى مالطي دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	آرنولد واشنطون ودونا باوندي	صبري محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٥٢٠-	الولع الفرنسي بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٣-	الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٥٢٥-	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيي الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكي والماركسية	طارق علي وفِلّ إيفانز	جمال الجزيري
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردي	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	پاتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	على عبد الرءوف البمبي
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول ڤاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن

٦٠٩-	الانتخاب الثقافي	أجنر فوج	شوقي جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	علي إبراهيم منوفي
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيري إيجلتون	فخري صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسيني	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيريني	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولي	عايدة الباجوري
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعي
٦٢١-	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعي
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أي تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازي
٦٢٣-	نوادر جحا الإيراني	سعيد قانعي	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلواني
٦٢٥-	الجرح السري	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق علي منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدي محمود المليجي
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسي
٦٣٠-	سيرتي الذاتية	أحمد بللو	صبري محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روي ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوي
٦٣٥-	التثبيت والتكيف في مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعي
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعي
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشي
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدري عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادي	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ
٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سبهر ذبيح	عبد الوهاب علوب

٦٤٧- رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	چي دي موباسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوي
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبري التهامي
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبري التهامي
٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبري التهامي
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	ولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألفن جولدنر	علي ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشي	ليلى الجبالي
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	رول شوينكا	نسيم مجلي
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١- قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	علي عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوي
٦٧٤- ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٧- تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨- تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق علي منصور
٦٨٠- المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١- هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستانلي فش	أحمد الشيمي
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبري محمد حسن
٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	تي. م. ألوكو	صبري محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي

٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادي	ماجدة العناني
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش في فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسي وأوسكار زاريت	حمدي الجابري
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعي (المحرقة)	حاييم برشيت وآخرون	جمال الجزيري
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدي الجابري
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودي جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسي	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيري
٧٠٠- الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١- الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢- مدونة جوستنيان في الفقه الروماني (ميراث الترجمة)	جوستنيان	عبد العزيز فهمي
٧٠٣- تاريخ الأدب في إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربي
٧٠٤- فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومي	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالي	عبدالحميد مدكور
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧- أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨- فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩- معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباي وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١- درة التاج	ميرزا محمد هادي رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢- الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٣- الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٤- حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥- سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحي زغلول
٧١٦- جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧- جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨- جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩- مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠- مداخل إلى البحث في تعلم اللغة الثانية	دونام جونسون	علي شعبان وأحمد الخطيب
٧٢١- فلسفة المتكلمين في الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغني
٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى	بشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري

٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمني	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باجين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	أن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)   فيرجينيا وولف   فاطمة ناعوت
٧٦٢- المسلم عدوًا و صديقًا   ماريا سوليداد   عبدالعال صالح
٧٦٣- الحياة فى مصر   أنريكو بيا   نجوى عمر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)   غالب الدهلوى   حازم محفوظ
٧٦٥- ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)   خواجه مير درد الدهلوى   حازم محفوظ
٧٦٦- الشرق المتخيل   تييرى هنتش   غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧- الغرب المتخيل   نسيب سمير الحسينى   غازى برو
٧٦٨- حوار الثقافات   محمود فهمى حجازى   محمود فهمى حجازى
٧٦٩- أدباء أحياء   فريدريك هتمان   رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا   بينيتو بيريث جالدوس   صبرى التهامى
٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا   ريكاردو جويرالديس   صبرى التهامى
٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة   إليزابيث رايت   محسن مصيلحى
٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (جـ٢)   جون فيزر وبول ستيرجز   بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات   مجموعة من المؤلفين   حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥- مرآة العروس   نذير احمد الدهلوى   جلال الحفناوى
٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)   فريد الدين العطار   محمد محمد يونس
٧٧٧- الانفجار الأعظم   جيمس إ. ليدسى   عزت عامر
٧٧٨- صفوة المديح   مولانا محمد أحمد ورضا القادرى   حازم محفوظ
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى   نخبة   سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠   غلام رسول مهر   سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١- الطريق إلى بكين   هدى بدران   نبيلة بدران
٧٨٢- المسرح المسكون   مارفن كارلسون   جمال عبد المقصود
٧٨٣- العولمة والرعاية الإنسانية   فيك جورج وبول ويلدنج   طلعت السروجى
٧٨٤- الإساءة للطفل   ديفيد ا. وولف   جمعه سيد يوسف
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان   كارل ساجان   سمير حنا صادق
٧٨٦- المذنبة (رواية)   مارجريت أتوود   سحر توفيق
٧٨٧- العودة من فلسطين   جوريه بوميه   إيناس صادق
٧٨٨- سر الأهرامات   ميروسلاف فرنر   خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩- الانتظار (روايه)   هاجين   مى الدروبى
٧٩٠- الفرانكفونية العربية   مونيك بونتو   جيهان العيسوى
٧٦١- التطور وعوامل التطور فى مصر القديمة   محمد الشيمى   ماهر جويجاتى
٧٦٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ   منى ميخائيل   منى إبراهيم
٧٩١- ثلاث رؤى للمستقبل   جون جريفيس   رءوف وصفى
٧٦٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)   هوارد زن   شعبان مكاوى
٧٦٥- مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)   نخبه   على عبد الرءوف البمبى
٧٦١- آفاق جديدة فى دراسه اللغة والذهن   نعوم تشومسكى   حمزة المزينى
٧٦٧- الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)   نخبة   طلعت شاهين
٧٦٨- الإرشاد النفسى للأطفال   كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد   سميرة أبو الحسن

٧٩٩- سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المصرية	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحيى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تشكل العالم الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	آنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح البدو والمستوطنون والذين يقضون [illegible]	دونالد پ. كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى

٨٣٧- عناكب فى المصيدة — ناتاليا فيكو — على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى — نعوم تشومسكى . — لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية — ستيوارت سين وبورين ڤان لون — جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة — جوتهولد ليسينج — فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك — وليم شكسبير — محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢) — فريد الدين العطار — محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى — نخبة — محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة — كريمة كريم — سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام — نيكولاس جويات — طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية — ألفريد أدلر — عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية — مايكل ألبرت — أحمد محمود
٨٤٨- تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة) — يوليوس فلهاوزن — عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير — وليم شكسبير — بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة — مقالات مختارة — جابر عصفور
٨٥١- الطب التجريبى (ميراث الترجمة) — كلود برنار — يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة — ريتشارد دوكنز — مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١) — باسيليو بابون مالدونادو — على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢) — باسيليو بابون مالدونادو — على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب — جيرارد ستيم — محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى — فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا — عائشة سويلم
٨٥٧- نادجا (رواية) — أندريه بريتون — كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية — ثيو هرمانز — بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم — إيف شيمل — مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا — ڤان بملن — عادل صبحى تكلا
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا — جين سميث — محمد الخولى
٨٦٢- بيغاء الكاكاتو — أرتور شنيتسلر — محسن الدمرداش
٨٦٣- لقاء بالشعراء — على أكبر دلفى — محمد علاء الدين منصور
٨٦٤- أوراق فلسطينية — دورين إنجرامز — عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥- فكرة الثقافة — تيرى إيجلتون — شوقى جلال
٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس — مجموعة من المؤلفين — محمد علاء الدين منصور
٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية) — ديڤيد مايلو — صبرى محمد حسن
٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر — ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى — محمد علاء الدين منصور
٨٦٩- تطور الثقافة — روبن دونبار وآخرون — شوقى جلال
٨٧٠- عشر مسرحيات (جـ١) — نخبة — حمادة إبراهيم
٨٧١- عشر مسرحيات (جـ٢) — نخبة — حمادة إبراهيم
٨٧٢- كتاب الطاو — لاوتسو — محسن فرجانى
٨٧٣- معلمون لمدارس المستقبل — تقرير صادر عن اليونسكو — بهاء شاهين
٨٧٤- النهر الخالد (مج١) — جاويد إقبال — ظهور أحمد

٨٧٥-	النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٦-	دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧-	أدب الجدل والدفاع فى العربية	موريتس شتينشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠-	الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١-	المستنيرون : خدمة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢-	أغانى شيراز (جـ١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣-	أغانى شيراز (جـ٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤-	تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥-	روح الإرهاب	جان بودريار	بدر عروبكى
٨٨٦-	الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧-	غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨-	أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت
٨٨٩-	سارتورس (ميراث الترجمة)	وليم فوكنر	ميخائيل رومان
٨٩٠-	منتخبات أشعار فراغى	مخدومقلى فراغى	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١-	مفاوضات مع الموتى	مارجريت أتوود	عزة مازن
٨٩٢-	تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣-	عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤-	الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥-	وادى الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦-	شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧-	اختراق الجزيرة العربية	ديفيد جورج هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨-	الإسلام والعلم	برويز أمير على	محمود خيال
٨٩٩-	الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال
٩٠٠-	تيارات نقدية محدثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٩٠١-	مختارات من شعر لى جاو شينج	لى جاو شينج	عبد العزيز حمدى
٩٠٢-	آلهة مصر القديمة وأساطيرها	روبرت أرنولد	مروة الفقى
٩٠٣-	أفلام ومناهج (مج١)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٤-	أفلام ومناهج (مج٢)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٥-	تراث الهند	ج. ت. جارات	جلال السعيد الحفناوى
٩٠٦-	أسس الحوار فى القرآن	هيربرت بوسه	أحمد هويدى
٩٠٧-	أرثر.. متعة الحياة (رواية)	فرانسواز چيرو	فاطمة خليل
٩٠٨-	الحلقة النقدية	ديفيد كوزنز هوى	خالدة حامد
٩٠٩-	الفنون والآداب تحت ضغط العولمة	چوروست سمايرز	طلعت الشايب
٩١٠-	بروميثيوس بلا قيود	داڤيد س. ليندس	مى رفعت سلطان
٩١١-	غبار النجوم	جو ، جريبين	عزت عامر
٩١٢-	ترجمات يحيى حقى (جـ١) (ميراث الترجمة)	روايات مختارة	يحيى حقى

٩١٣-	ترجمات يحيى حقي (جـ٢) (ميراث الترجمة)	مسرحيات مختارة	يحيى حقي
٩١٤-	ترجمات يحيى حقي (جـ٣) (ميراث الترجمة)	ديزموند ستيوارت	يحيى حقي
٩١٥-	المرأة في أثينا: الواقع والقانون	روجر جست	منيرة كروان
٩١٦-	الجدلية الاجتماعية	أنور عبد الملك	سامية الجندي وعبدالعظيم حماد
٩١٧-	موسوعة كمبريدج (جـ١)	نخبة	إشراف: أحمد عتمان
٩١٨-	موسوعة كمبريدج (جـ٤)	نخبة	إشراف: فاطمة موسى
٩١٩-	موسوعة كمبريدج (جـ٩)	نخبة	إشراف: رضوى عاشور
٩٢٠-	خليل جبران: حياته وعالمه	جين جبران و خليل جبران	فاطمة قنديل
٩٢١-	لله الأمر (رواية)	أحمدو كوروما	ثريا إقبال

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٣١٥٥ / ٢٠٠٦